سالم
موقع التفريغ
للدروس العلمية والبحوث الشرعية
www.attafreegh.com

شرح

الشيخ عبد الرزاق البدر

على

اقتضاء العلم العمل

للخطيب البغدادي رَحِمَهُ اللَّهُ

النُّسخة الإلكترونية (١)

الشيخ لم يراجع التفريغ

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلس الأول

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله وسلم عليه وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين.

اللّٰهُمَّ علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علمًا، وأصلح لنا شأننا كله، ولا تكلنا إلىٰ أنفسنا طرفة عين، اللّٰهُمَّ آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

أما بعد..

فهذا مجلسٌ نسأل الله ﷻ أن يجعله مباركًا علينا أجمعين، وأن يُمدّنا فيه بالمعونة والتوفيق والسداد والإخلاص، وأن يجعل هذا المجلس زادًا لنا أجمعين لنيل رضاه جلّ في علاه، ومذاكرةٌ في مؤلفٍ قيم، وكُتيب نافع للحافظ أبي بكر البغدادي رحمه الله تعالىٰ، المعروف بالخطيب البغدادي صاحب التصانيف الشهيرة والمؤلفات المتنوعة، ومنها ما يتعلَّق بأدبِ طالب العلم وحِليته، وما ينبغي أن يكون عليه في العلم الذي يحصِّله، وأنّ مقصود العلم العمل، فلا يُنال عملٌ صالح إلا بالعلم، فالعلم باب العمل وطريقه، «**ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا، سهل الله له به طريقًا إلىٰ الجنة**» [صحيح مسلم].

ومؤلَّفه رحمه الله تعالىٰ هذا الذي بين أيدينا؛ الموسوم بـ«اقتضاء العلم العمل» مؤلَّفٌ غاية في الأهمية؛ لأنه يتناول جانبًا أساسًا ومهمًّا للغاية، ينبغي أن يكون نَصبَ عيني طالب العلم، فليس العلم يُطلب للتكثُّر به أو المباهاة، ولا لطلب المحمدة والثناء، ولا للسُّمعة والمراءاة، وإنما يُطلب ليكون طالبه من أهله العاملين به، إذ هذا مقصود العلم، ولهذا ينبغي أن يكون هذا الأمر نَصْب عيني طالب العلم، وأن يحرص مع ازدياده في العلم وتحصيله أن يزداد في العمل، وليتذكَّر في طلبه للعلم أنّ الله ﷻ سائله عن علمه ماذا عمل به، فإنه لا تزول قدم عبدٍ يوم القيامة حتىٰ يُسأل عن أربع، وذكر منها عليه الصلاة والسلام: «**عن علمه ماذا عمِل فيه**» [صحيح الترغيب].

ولمّا كانت هذه المسألة مسألةٌ كبيرة، يحتاجُ طالب العلم إلىٰ أن يُذكّر بها، أفرد الخطيب البغدادي رحمه الله تعالىٰ مصنَّفه هذا لبيان هذه المسألة العظيمة، وسمّاه «اقتضاء العلم العمل».

والله تبارك وتعالىٰ وحده المُعين لا شريك له، الذي بيده التوفيق، وبيده التسديد، وعلىٰ طالب العلم أن يلجأ إلىٰ الله دومًا وأبدًا، أن يعلِّمه ما ينفعه، وأن ينفعه بما علمه، وألا يكون ما تعلمه حجة عليه، ونسأل الله ﷻ لنا أجمعين التَّوفيق والسداد، والعلم النافع والعمل الصَّالح، والتوفيق لرضاه، نسأله جلّ وعلا أن يبارك لنا في مجلسنا هذا، وأن يجعله حجةً لنا لا علينا، وأن يُثيب خير الثواب القائمين علىٰ هذا الجامع، لترتيبهم

لهذا اللقاء، ورغبتهم في إقامته، وتوفير أيضًا كتاب الخطيب البغدادي رَحِمَهُ اللَّهُ «اقتضاء العلم العمل»، فجزاهم الله خيرًا وأثابهم وأثابكم أيضًا أنتم أيها الحضور الكرام علىٰ حرصكم ورغبتكم، ونفعنا الله أجمعين في مجلسنا هذا، وألهمنا فيه الصواب، وجنبنا الزلل، إنه سميع الدعاء، وهو أهل الرجاء، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

ونشرع مستعينين بالله تبارك وتعالىٰ في قراءة هذه الرسالة.

بسم الله الرحمن الرحيم

أخبر الشيخ الإمام العالم الحافظ شمس الدين أبو الحجاج يوسف بن خليل بن عبد الله الدمشقي، وذلك في سنة ثمان وثلاثين وستمائة بمدينة حلب قال: أخبرنا أبو طاهر بركات بن إبراهيم بن طاهر بن بركات الخشوعي، قال: أخبرنا الفقيه الأمين جمال الأمناء أبو محمد هبة الله بن أحمد بن محمد الأكفاني.

وقال شمس الدين يوسف: وأخبرنا به أيضًا الشيخ الثقة أبو محمد عبد الخالق بن عبد الوهاب بن محمد بن الحسين الصابوني قال: أخبرنا القاضي الشهيد أبو الحسين محمد بن محمد بن الحسين ابن الفراء قالا: أخبرنا الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي نضّر الله وجهه، قال:

نَشْكُرُ اللهَ سُبْحَانَهُ عَلَىٰ مَا أَلْهَمَنَا، وَنَسْأَلُهُ التَّوْفِيقَ لِلْعَمَلِ بِمَا عَلِمْنَا فَإِنَّ الْخَيْرَ لَا يُدْرَكُ إِلَّا بِتَوْفِيقِهِ وَمَعُونَتِهِ، وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ مِنْ خَلِيقَتِهِ، وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ سَيِّدِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَعَلَىٰ إِخْوَانِهِ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ، وَعَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ.

ثُمَّ إِنِّي مُوصِيكَ يَا طَالِبَ الْعِلْمِ بِإِخْلَاصِ النِّيَّةِ فِي طَلَبِهِ، وَإِجْهَادِ النَّفْسِ عَلَىٰ الْعَمَلِ بِمُوجَبِهِ، فَإِنَّ الْعِلْمَ شَجَرَةٌ وَالْعَمَلَ ثَمَرَةٌ، وَلَيْسَ يُعَدُّ عَالِمًا مَنْ لَمْ يَكُنْ بِعِلْمِهِ عَامِلًا، وَقِيلَ: الْعِلْمُ وَالِدٌ وَالْعَمَلُ مَوْلُودٌ، وَالْعِلْمُ مَعَ الْعَمَلِ، وَالرِّوَايَةُ مَعَ الدِّرَايَةِ، فَلَا تَأْنَسْ بِالْعَمَلِ مَا دُمْتَ مُسْتَوْحِشًا مِنَ الْعِلْمِ، وَلَا تَأْنَسْ بِالْعِلْمِ مَا كُنْتَ مُقَصِّرًا فِي الْعَمَلِ، وَلَكِنِ اجْمَعْ بَيْنَهُمَا وَإِنْ قَلَّ نَصِيبُكَ مِنْهُمَا، وَمَا شَيْءٌ أَضْعَفُ مِنْ عَالِمٍ تَرَكَ النَّاسُ عِلْمَهُ لِفَسَادِ طَرِيقَتِهِ، وَجَاهِلٍ أَخَذَ النَّاسُ بِجَهْلِهِ لِنَظَرِهِمْ إِلَىٰ عِبَادَتِهِ، وَالْقَلِيلُ مِنْ هَذَا مَعَ الْقَلِيلِ مِنْ هَذَا أَنْجَىٰ فِي الْعَاقِبَةِ، إِذَا تَفَضَّلَ اللهُ بِالرَّحْمَةِ، وَتَمَّمَ عَلَىٰ عَبْدِهِ النِّعْمَةَ.

فَأَمَّا الْمُدَافَعَةُ وَالْإِهْمَالُ، وَحُبُّ الْهُوَيْنَىٰ وَالِاسْتِرْسَالُ، وَإِيثَارُ الْخَفْضِ وَالدَّعَةِ، وَالْمَيْلِ مَعَ الرَّاحَةِ وَالسَّعَةِ، فَإِنَّ خَوَاتِمَ هَذِهِ الْخِصَالِ ذَمِيمَةٌ، وَعُقْبَاهَا كَرِيهَةٌ وَخِيمَةٌ.

استهل رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ رسالته هذه بهذا الحمد والثناء علىٰ الله جلّ وعلا بما هو أهله، وأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يُلهم ما شاء من عباده التوفيق، ويهدي من شاء منهم إلىٰ صراطه المستقيم، فالهداية بيده، والتوفيق بيده، والخلق كلهم طوع تدبيره وتسخيره جلّ وعلا، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا بالله تبارك وتعالىٰ، وأنّ الخيراتِ كلها لا تُنال إلا بتوفيقه ومَنّه وفضله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ثم شرع في وصية عظيمة النَّفع، كبيرة الأهمية، استهل بها رسالته هذه يوصي بها طالب العلم، وأول ما بدأ به رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ وصيته: الإخلاص، وذلك بأنْ يبتغي طالبُ العلم بطلبه للعلم وجه الله عَزَّوَجَلَّ، فالعلم عبادة؛ بل ما تقرب متقرب إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بأفضل من طلب العلم، إذ إنّ العبادات كلها لا يُعرف صحيحها ومقبولها من باطلها

ومردودها إلا بالعلم، فالعلم به يمِيز المرء بين السنة والبدعة، والحق والباطل، والهدىٰ والضلال، ومن لم يكن ذا علمٍ اختلطت عليه الأمور والتبست.

وهذا يبين لنا أنّ العلم قربة عظيمة يُتقرَّب بها إلىٰ الله ﷻ، والقرَب لا يقبلها الله جلّ وعلا إلا بالإخلاص، ولهذا ينبغي علىٰ طالب العلم أن يجاهد نفسه علىٰ إخلاص نيته وإطابة مقصده، فإنّما الأعمال معتبرة بنياتها، فمن كانت نيته في طلب العلم وجه الله وطلب رضاه ﷻ قبِل الله منه طلبه للعلم، ومن كانت نيته في طلبه للعلم غير ذلك من الأغراض والمقاصد فله ما نوىٰ، والله جلّ وعلا يقول في الحديث القدسي: «**أنا أغنىٰ الشركاء عن الشرك، من عمل عملًا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه**» [صحيح مسلم].

ثم حثّ رحمة الله عليه علىٰ المجاهدة، مجاهدة النفس علىٰ الطلب للعلم وعلىٰ العمل به، والله ﷻ يقول ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٦٩﴾ [العنكبوت]، وذكر أمثلة جميلة تتَّضح بها مكانة العلم، كقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ العلم: (الْعِلْمَ شَجَرَةٌ وَالْعَمَلَ ثَمَرَةٌ). وكقوله: (الْعِلْمُ وَالِدٌ وَالْعَمَلُ مَوْلُودٌ). ومعلومٌ أنّ قيام الشجرة إنما يكون علىٰ أصلها، وأصل العمل العلم، وبه يُبدأ، كما قال الله ﷻ: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد:١٩]، فبدأ جلّ وعلا بالعلم قبل القول والعمل، وإذا لم يكن العمل قائمًا علىٰ العلم المستمدِّ من الكتاب والسنة لم يقبله الله، لقوله عليه الصلاة والسلام: «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ**» [صحيح مسلم]. وإنما يُعرف أمره مما ليس من أمره بالعلم، ولهذا يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَلَا تَأْنَسْ بِالْعَمَلِ مَا دُمْتَ مُسْتَوْحِشًا مِنَ الْعِلْمِ). لا تأنس بالعمل ما دُمت مستوحشًا من العلم، كيف يستوحش المرء من الأساس الذي به يصلح العمل!؟

(ولا تأنس بالعلم ما كنت مقصِّرًا في العمل). وكلٌّ من الأمرين طرفا نقيض، فالتخلي عن العلم والتفريط فيه بالعمل والإقبال عليه بلا علم، أو كذلك الاشتغال بالعلم مع التفريط في العمل، كلاهما طرفا نقيض، والحق وسط بين ذلك، الحق قوامٌ بين ذلك، بأن يكون المرء ذا عناية بالعلم مع محافظة علىٰ العمل، يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ مؤكدًا علىٰ أهمية الجمع بينهما: (وَإِنْ قَلَّ) النَّصِيب، (مَا شَيْءٌ أَضْعَفُ مِنْ عَالِمٍ تَرَكَ النَّاسُ عِلْمَهُ لِفَسَادِ طَرِيقَتِهِ)؛ أي: أنّ عنده علم بلا عمل، طريقته ومسلكه فاسد، عنده علم لم ينفعه الله به. (وجاهِلٍ أخذ الناس بجهله بنظرهم إلىٰ عبادته)، وهذه أيضًا مصيبة أخرىٰ، وأكثر ما يضر الناس في باب العمل والعبادة هذان: العالم المفرط في باب العمل، أو الجاهل المقبل علىٰ العمل والعبادة بدون علم، فكلٌّ من هذين له مضرته علىٰ الناس:

أما **الأول**: فإنّ من يراه مع توسعه في العلم مفرطًا في العمل يقول: إذا كان هذا بهذا الحظ من العلم ولم

يعمل فأنا من باب أولىٰ.

وأما **الثاني**: فإن من يراه في مجاهدته لنفسه علىٰ العمل والعبادة يغتر بعمله، مع أنَّ عمله غير قائم علىٰ هَدْيٍ واتباع للرسول الكريم صلوات الله وسلامه وبركاته عليه.

ولهذا يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: (القليل من هذا مع القليل من هذا أنجىٰ في العاقبة، القليل من هذا) أي: العلم، (والقليل من هذا) أي: العمل (أنجىٰ في العاقبة)، أما أن يستكثر المرء من العلم بلا عمل، أو من العمل بلا علم، فكل منهما يُفضي إلىٰ عاقبة وخيمة. قال: (القليل من هذا مع القليل من هذا أنجىٰ في العاقبة).

(إذا تفضل الله بالرحمة وتمّم علىٰ عبده النعمة)، وهذا أيضًا تنبيه مهم، ألا يغتر الإنسان لا بكثرة علم عنده، ولا بكثرة عمل، وليتذكر في هذا المقام قول النبي عليه الصلاة والسلام: «**لن يدخل الجنة أحدا عمله**» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة**» [متفق عليه]، وهذا معنىٰ قوله: (إِذَا تَفَضَّلَ اللهُ بِالرَّحْمَةِ، وَتَمَّمَ عَلَىٰ عَبْدِهِ النِّعْمَةَ).

قال: (فَأَمَّا الْمُدَافَعَةُ وَالْإِهْمَالُ وَحُبُّ الْهُوَيْنَىٰ وَالِاسْتِرْسَالُ، وَإِيثَارُ الْخَفْضِ وَالدَّعَةِ وَالْمَيْلِ مَعَ الرَّاحَةِ وَالسَّعَةِ، فَإِنَّ خَوَاتِمَ هَذِهِ الْخِصَالِ ذَمِيمَةٌ، وَعُقْبَاهَا كَرِيهَةٌ وَخِيمَةٌ). فينبغي أن يحذر من ذلك طالب العلم، ألا يكون مُسوفًا متراخيًا كسولًا، إن أقبلت نفسه علىٰ علمٍ سوّف وأجّل، وإن أقبلت علىٰ عبادة مال إلىٰ الراحة والإمهال... وهكذا حتىٰ يمضي به الوقت، وينصرم العمر، فلا يحصِّل علمًا ولا عملًا.

❀❀◈❀❀

وَالْعِلْمُ يُرَادُ لِلْعَمَلِ كَمَا الْعَمَلُ يُرَادُ لِلنَّجَاةِ، فَإِذَا كَانَ الْعَمَلُ قَاصِرًا عَنِ الْعِلْمِ، كَانَ الْعِلْمُ كَلًّا عَلَىٰ الْعَالِمِ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عِلْمٍ عَادَ كَلًّا، وَأَوْرَثَ ذُلًّا، وَصَارَ فِي رَقَبَةِ صَاحِبِهِ غُلًّا.

يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: إنّ (الْعِلْمُ يُرَادُ لِلْعَمَلِ، كَمَا الْعَمَلُ يُرَادُ لِلنَّجَاةِ، فَإِذَا كَانَ الْعَمَلُ قَاصِرًا عَنِ الْعِلْمِ، كَانَ الْعِلْمُ كَلًّا عَلَىٰ الْعَالِمِ)، ومعنىٰ (كان كلًّا علىٰ العالم) أي: حِملًا، مثلما جاء في الآية ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ﴾ [النحل:٧٦]، أي: حِمل ثقيل وعبء، لأنّ عنده علم حمله ولكنه لم ينفعه ولم ينتفع به، وسيأتي معنا في الكتاب فيما رواه رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ من الآثار ما يوضح ذلك ويبينه، قال: (نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عِلْمٍ عَادَ كَلًّا)؛ أي: لم يكن له ثمرة في صاحبه إلا أنه حمل حملًا ثقيلًا دون أن ينتفع به، أو يستفد منه.

❀❀◈❀❀

قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: الْعِلْمُ خَادِمُ الْعَمَلِ، وَالْعَمَلُ غَايَةُ الْعِلْمِ، فَلَوْلَا الْعَمَلُ لَمْ يُطْلَبْ عِلْمٌ، وَلَوْلَا الْعِلْمُ لَمْ يُطْلَبْ عَمَلٌ، وَلَأَنْ أَدَعَ الْحَقَّ جَهْلًا بِهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَدَعَهُ زُهْدًا فِيهِ، وَقَالَ سَهْلُ بْنُ مُزَاحِمٍ: الْأَمْرُ أَضْيَقُ عَلَىٰ الْعَالِمِ مِنْ عَقْدِ التِّسْعِينَ، مَعَ أَنَّ الْجَاهِلَ لَا يُعْذَرُ بِجَهَالَتِهِ، لَكِنَّ الْعَالِمَ أَشَدُّ عَذَابًا إِذَا تَرَكَ مَا عَلِمَ فَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ.

يقول فيما نقله رَحِمَهُ اللَّهُ عن سهل بن مزاحم رَحِمَهُ اللَّهُ قال: (الْأَمْرُ أَضْيَقُ عَلَىٰ الْعَالِمِ مِنْ عَقْدِ التِّسْعِينَ)، عقد التسعين، العقود حساب معروف عند العرب بإشارة اليد، والأرقام بدءًا من الواحد الآحاد والعشرات والمئات والآلاف... كلها تُعرف عندهم بالإشارة باليد، وكل إشارة تشير إلىٰ رقم معين، وعقد التسعين هو عقد ضيق جدًّا، فيُضرب به المثل في الأمر الضيق، ولهذا قال هنا رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ: (الْأَمْرُ أَضْيَقُ عَلَىٰ الْعَالِمِ مِنْ عَقْدِ التِّسْعِينَ).

وصفة هذا العقد أن يعطف السبابة حتىٰ تلامس الكف، ثم يضغط عليها بالإبهام، فإذا أشار هذه الإشارة يعرف من يعرف حساب العقود أنّ هذه إشارة تعني تسعين، إذا عطف السبابة حتىٰ لمست الكف ثم ضغط عليها بالإبهام يُعرف أنّ هذا العقد عقد التسعين، لو تنظر في الفتحة التي بقيت في الداخل ضيقة جدّا، فيُضرب بها المثل في الأمور الضيقة، قال: (أضيق من عقد التسعين).

قال: (مَعَ أَنَّ الْجَاهِلَ لَا يُعْذَرُ بِجَهَالَتِهِ، لَكِنَّ الْعَالِمَ أَشَدُّ عَذَابًا) منه، وهنا يُنبه رَحِمَهُ اللَّهُ، عندما يُقال: إنّ العلم يقتضي العمل، وأنّ العالم والمتعلم يُسأل عما تعلم، لا يعني ذلك أن نترك العلم، ويقال: طالما أننا إذا تعلمنا سُئلنا فالحل أن نترك العلم! لا ليس هو الحل، ينبه علىٰ ذلك بقوله: (مَعَ أَنَّ الْجَاهِلَ لَا يُعْذَرُ بِجَهَالَتِهِ)، مأمور بأن يطلب العلم، وأن يتفقه في دين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وتفقهه في الدين من أمارات إرادة الخير به، فيحذر من أن يُفرّط في طلب العلم، وأيضًا في الوقت نفسه يحذر من أن يكون ما يتعلمه من العلم حجة عليه لا له، فيجمع بين الحرص علىٰ العلم والعمل به، وقد كان نبينا عليه الصلاة والسلام يدعو بالأمرين كل يوم بعد صلاة الصبح: «**اللَّهُمَّ إني أسألك علمًا نافعًا، ورزقًا طيبًا، وعملًا مُتقبلًا**» [صحيح ابن ماجه].

قَالَ الشَّيْخُ: وَهَلْ أَدْرَكَ مِنَ أَدْرَكَ مِنَ السَّلَفِ الْمَاضِينَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَىٰ إِلَّا بِإِخْلَاصِ الْمُعْتَقَدِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَالزُّهْدِ الْغَالِبِ فِي كُلِّ مَا رَاقَ مِنَ الدُّنْيَا. وَهَلْ وَصَلَ الْحُكَمَاءُ إِلَىٰ السَّعَادَةِ الْعُظْمَىٰ إِلَّا بِالتَّشْمِيرِ فِي السَّعْيِ، وَالرِّضَىٰ بِالْمَيْسُورِ، وَبَذْلِ مَا فَضَلَ عَنِ الْحَاجَةِ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ؟ وَهَلْ جَامِعُ كُتُبِ الْعِلْمِ إِلَّا كَجَامِعِ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ؟

بيّن رحمة الله عليه أنّ السلف رحمهم الله إنما أدركوا وبلغوا المنازل العالية بالمجاهدة للنفس، والعناية بالإخلاص، ومعالجة النية، والحرص علىٰ العمل، والزهد في الدنيا، فبهذه الخصال الشريفة والأوصاف العظيمة بلغوا المبلغ الرفيع، والمكانة العلية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ورحمهم.

وَهَلْ جَامِعُ كُتُبِ الْعِلْمِ إِلَّا كَجَامِعِ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ؟ وَهَلِ الْمَنْهُومُ بِهَا إِلَّا كَالْحَرِيصِ الْجَشِعِ عَلَيْهِمَا؟ وَهَلِ

الْمُغْرَمُ بِحُبِّهَا إِلَّا كَكَانِزِهِمَا؟ وَكَمَا لَا تَنْفَعُ الْأَمْوَالُ إِلَّا بِإِنْفَاقِهَا.

هذا ورد فيه حديث يُرفع إلىٰ النبي ﷺ أنه قال: «**مثل علم لا يُنتفع به كمثل كنز لا يُنفق منه في سبيل الله**» [حسن إسناده الالباني في تخريج مشكاة المصابيح]، فأشار رحمة الله عليه إلىٰ هذا المثل قال: (جَامِعُ كُتُبِ الْعِلْمِ) ما مثله (إِلَّا كَجَامِعِ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ؟ وَهَلِ الْمَنْهُومُ بِهَا إِلَّا كَالْحَرِيصِ الْجَشِعِ عَلَيْهِمَا؟ وَهَلِ الْمُغْرَمُ بِحُبِّهَا إِلَّا كَكَانِزِهِمَا؟) وهذا تنبيه أنه ليس المقصود أن يستكثر المرء من العلوم، وأن تكون كتبه كثيرة ومكتبته كبيرة، وعنده من الكتب ما ليس عند غيره، أو أن تكون مجرد منافسة: كم عندك من الكتب؟ وكم الرفوف التي في مكتبتك؟ وأنا أكثر منك وأنت أقل... وهكذا، ليس هذا هو المقصود، ولو أبصر من يفعل ذلك ما في بطون الكتب التي عنده لقامت عليه بها الحجة، لكنه لا يُحسن نظرا فيها، وإنما وضعها في رفوفه زينة ومباهاة، فلا ينتفع، فهو يُحذّر رحمة الله عليه من ذلك، أن يكون جمع الكتب لمجرد الاستكثار والتباهي والتفاخر علىٰ الآخرين، فإنّ مَثل من يصنع ذلك كمثل الذي يجمع الذهب والفضة ويكنزهما ولا ينفق منهما في سبيل الله، والإنفاق من العلم في سبيل الله بالعمل، ويكون عمل المرء بعلمه صدقة منه علىٰ نفسه، ودعوته الآخرين إلىٰ ما نفعه الله به من علم صدقة منه علىٰ الآخرين، فإن لم يفعل هذا فهو كانز، وعنده كنز لم ينفعه الله تبارك وتعالىٰ به.

وَكَمَا لَا تَنْفَعُ الْأَمْوَالُ إِلَّا بِإِنْفَاقِهَا، كَذَلِكَ لَا تَنْفَعُ الْعُلُومُ إِلَّا لِمَنْ عَمِلَ بِهَا، وَرَاعَىٰ وَاجِبَاتِهَا فَلْيَنْظُرِ امْرُؤٌ لِنَفْسِهِ، وَلْيَغْتَنِمْ وَقْتَهُ، فَإِنَّ الثَّوَاءَ قَلِيلٌ، وَالرَّحِيلَ قَرِيبٌ، وَالطَّرِيقَ مَخُوفٌ، وَالِاغْتِرَارَ غَالِبٌ، وَالْخَطَرَ عَظِيمٌ، وَالنَّاقِدَ بَصِيرٌ، وَاللهُ تَعَالَىٰ بِالْمِرْصَادِ، وَإِلَيْهِ الْمَرْجِعُ وَالْمَعَادُ ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة].

ختم رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ هذه الوصية العظيمة النافعة بالتنبيه علىٰ النظر إلىٰ العاقبة، وأن يتأمل المرء في نفسه محاسبًا لها، في جانب العناية بالعلم وجانب العمل به، محاسبًا لنفسه، وليذكّر نفسه دومًا بأنّ الثواء قليل، أي المُقام في هذه الحياة الدنيا، وأنه مدة قصيرة سرعان ما تنقضي، ثم يكون الحساب ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر:١٨]، فيحاسب نفسه، فإنّ محاسبته لنفسه خير له، **حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا** [مقولة لعمر بن الخطاب– تاريخ دمشق]، فمحاسبة النفس ووزن الأعمال قبل العرض علىٰ الله تبارك وتعالىٰ خير للعبد، فحثّ علىٰ ذلك وبيّن أنّ (الرحيل قريب، والطريق مخوف)، والقدوم علىٰ الله ﷻ، والله يجازي العباد علىٰ الأعمال قلّت أو كثرت ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾.

الحاصل أنّ هذه الوصية التي استهلّ بها وصية عظيمة جدًّا، وجدير بطالب العلم أن يُمعِن النظر فيها، وأن

يُعاود النظر فيها والتأمل في مضامينها، راجيًا من ربه ﷻ أن ينفعه.

١- أَخْبَرَنَا الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ أَحْمَدَ الْحَرَشِيُّ، بِنَيْسَابُورَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ الْأَصَمُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ الصَّغَانِيُّ، قَالَ: أَنَا الْأَسْوَدُ بْنُ عَامِرٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّىٰ يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ**» [صحيح الترغيب].

٢- أَخْبَرَنِي أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ دَاوُدَ الرَّزَّازُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ حَمَّادٍ الْأَزْدِيُّ، قال: حدثنا الْمُفَضَّلُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْجَنَدِيُّ، قال: حدثنا صَامِتُ بْنُ مُعَاذٍ الْجَنَدِيُّ، قال: حدثنا عَبْدُ الْمَجِيدِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي رَوَّادٍ، عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ سُلَيْمٍ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ عَدِيٍّ، عَنِ الصُّنَابِحِيِّ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّىٰ يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ: عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ**» [صحيح الترغيب].

٣- أَخْبَرَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ السُّكَّرِيُّ، قال: حدثنا أَبُو عُمَرَ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْخَزَّازُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ جَعْفَرُ بْنُ أَحْمَدَ الْمَرْوَزِيُّ الْمُؤَذِّنُ، قال: حدثنا إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَىٰ بْنِ حَمَّادِ بْنِ حَبِيبِ بْنِ سَعْدٍ، مَوْلَىٰ الْفَضْلِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بِالْكُوفَةِ، قال: حدثنا ابْنُ فُضَيْلٍ، عَنْ لَيْثٍ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ عَدِيٍّ، عَنْ رَجَاءِ بْنِ حَيْوَةَ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: «لَا تَزُولُ قَدَمُ عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّىٰ يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنْ جَسَدِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ، وَعُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِي أَيِّ شَيْءٍ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ كَيْفَ عَمِلَ فِيهِ» [قال الألباني في تخريج اقتضاء العلم: إسناده ضعيف موقوف].

هذا حديثٌ عظيم أورده المصنف رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ من حديث أبي برزة الأسلمي، وحديث معاذ بن جبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، هو حديث عظيم ثابت عن النبي الكريم عليه الصلاة والسلام، وصدّر رحمة الله عليه به هذه الرسالة لأنه الأصل الذي تُبنىٰ عليه، وهو «اقتضاء العلم العمل»، وذلك أنّ الله ﷻ سائلٌ كلَّ عبد عن علمه الذي تعلمه ماذا عمل به؟ فـ «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتىٰ يسأل عن أربع**»، فذكر منها: «**عن علمه ماذا عمل به**» وهذا يُفيد أنّ مقصود العلم العمل، وأنّ العبد يُسأل عنه يوم القيامة، عن كل علم تعلمه ماذا عمل به؟ فالله ﷻ سائله عن ذلك، فليجانب المرء التفريط والإهمال والميل إلىٰ الراحة والدعة، كما حذر المصنف رَحِمَهُ اللهُ، وليجاهد نفسه علىٰ العمل بالعلم، وأن يكون من أهله.

والذي انتظمه العلم من العمل: إما فعل واجب، أو فعل مستحب، أو ترك حرام، أو ترك مكروه، وليُتذكر في هذا الباب الحديث القدسي، حيث يقول الله تبارك وتعالىٰ: «**ما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتىٰ أحبه**» [صحيح البخاري]، فيكون طالب العلم حريصًا علىٰ الفرائض معتنيًا بها، مجانبًا للمحرمات والكبائر مبتعدًا عنها، هذا في الدرجة الأولىٰ، ثم بعد ذلك يجاهد نفسه علىٰ التنافس في الرغائب والمستحبَّات، فالأمر كما في الحديث القدسي: «**لا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتىٰ أحبَّه**» فإذا مر عليه في طلبه للعلم الأحاديث التي في الرغائب والنوافل، لا يجعل حظه منها مجرد العلم بها والسماع؛ بل عليه أن يعمل، وهذا معنىٰ قول بعض السلف: إذا سمعت بالحديث فاعمل به ولو مرة تكن من أهله، والمراد بذلك في باب النوافل والمستحبات.

٤- أَخْبَرَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ أَحْمَدَ الْأَهْوَازِيُّ، قال: حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْقَاضِي، بِالْأَهْوَازِ، قال: حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدُوسٍ الْكَاتِبُ، قال: حدثنا زَيْدُ بْنُ الْحَرَشِ، قال: حدثنا عَبْدُ اللهِ بْنُ خِرَاشٍ، عَنِ الْعَوَّامِ، عَنْ أَبِي صَادِقٍ، عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا يَنْفِي عَنِّي حُجَّةَ الْجَهْلِ؟ قَالَ: «الْعِلْمُ» قَالَ: فَمَا يَنْفِي عَنِّي حُجَّةَ الْعِلْمِ؟ قَالَ: «الْعَمَلُ» [قال الألباني في تخريج اقتضاء العلم: إسناده ضعيف جدا].

نعم، هذا الحديث لم يثبت عن النبي الكريم عليه الصلاة والسلام، ويُغني عنه الحديث الذي قبله في أنّ العبد مسؤول عن علمه يوم القيامة ماذا عمل به.

٥- أَخْبَرَنَا أَبُو الْفَتْحِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي الْفَوَارِسِ الْحَافِظُ، وَأَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ يُوسُفَ الصَّيَّادُ وَأَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ شَاذَانَ قَالُوا: أَخبرَنا أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ خَلَّادٍ النَّصِيبِيُّ، قال حدثنا الْحَارِثُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي أُسَامَةَ، قال: حدثنا الْحَكَمُ بْنُ مُوسَىٰ، قال: حدثنا الْوَلِيدُ يَعْنِي ابْنَ مُسْلِمٍ، عَنْ شَيْخٍ، مِنْ كَلْبٍ يُكَنَّىٰ بِأَبِي مُحَمَّدٍ أَنَّهُ سَمِعَ مَكْحُولًا يُحَدِّثُ، أَنَّ أَبَا الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَيْفَ أَنْتَ يَا عُوَيْمِرُ إِذَا قِيلَ لَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَعَلِمْتَ أَمْ جَهِلْتَ؟ فَإِنْ قُلْتَ: عَلِمْتُ، قِيلَ لَكَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ؟ وَإِنْ قُلْتَ: جَهِلْتُ، قِيلَ لَكَ: فَمَا كَانَ عُذْرُكَ فِيمَا جَهِلْتَ؟ أَلَا تَعَلَّمْتَ؟» [ضعيف الجامع].

وأيضًا هذا إسناده فيه هذا الشيخ من كلب يكنىٰ بأبي محمد لا يُعرف، فالإسناد ضعيف، لكن سيأتي لاحقًا عند المصنف من قول أبي الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، سيأتي المعنىٰ من قول أبي الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

٦- أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ أَحْمَدَ الطَّرْقِيُّ الْمعَدْلُ[١] بِالْكَرْج، قال حدثنا أَبُو بَكْرٍ عُمَرُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَرْدَوَيْهِ الْكَرْجِيُّ، قال: حدثنا أَبَانُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ النَّجِيرَمِيُّ[٢]، قال حدثنا أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ الثَّقَفِيُّ الْمُطَّوِّعِيُّ، قال حدثنا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، قَالَ: أخبرنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مَيْسَرَةَ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ وَاعْمَلُوا بِهِ، وَعَلِّمُوهُ، وَلَا تَضَعُوهُ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ، وَلَا تَمْنَعُوهُ عَنْ أَهْلِهِ». [قال الألباني في تخريج اقتضاء العلم: إسناده موضوع].

نعم، وهذا أيضًا لا يثبت عن النبي الكريم عليه الصلاة والسلام، فيه من هو متهم بالكذب.

وقوله: (ولا تضعوه في غير أهله، ولا تمنعوه عن أهله)، أهله: يعني من يطلب العلم ويريد العلم فإنه لا يُكتم عنه العلم، وأيضًا في الوقت نفسه لا يُجعل العلم في غير أهله، لأنه كما يقال: لكل تربة غرس، فالعلم غرس لا يُجعل إلا في أهله ممن هو حريصٌ عليه راغبٌ فيه.

ﷺ

٧- أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ رِزْقٍ الْبَزَّارُ، قال: حدثنا أَبُو عَمْرٍو عُثْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللهِ الدَّقَّاقُ قَالَ: حدثنا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ التَّبَّانُ الْبَصْرِيُّ، قال: حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْمُقَدَّمِيُّ. قال: حدثنا بِشْرُ بْنُ عَبَّادٍ، عَنْ بَكْرِ بْنِ خُنَيْسٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي حَمْزَةُ النَّصِيبِيُّ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَعَلَّمُوا مَا شِئْتُمْ أَنْ تَعَلَّمُوا، فَلَنْ يَنْفَعَكُمُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ حَتَّىٰ تَعْمَلُوا بِمَا تَعْلَمُونَ» [ضعيف الجامع].

نعم، أيضًا هذا لم يثبت عن النبي الكريم عليه الصلاة والسلام.

ﷺ

٨- أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَلِيٍّ الْأَصْبَهَانِيُّ، قَالَ: أَنْبَأَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدَانَ الشِّيرَازِيُّ الْحَافِظُ، قَالَ: حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْبَاغَنْدِيُّ، قال: حدثنا عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ، قال: حدثنا عُثْمَانُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْجُمَحِيُّ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَعَلَّمُوا مَا شِئْتُمْ أَنْ تَعَلَّمُوا، فَلَنْ يَأْجُرَكُمُ اللهُ حَتَّىٰ تَعْمَلُوا» [قال الألباني في تخريج اقتضاء العلم: إسناده ضعيف جدا].

٩- أَخْبَرَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْكَاتِبُ، بِأَصْبَهَانَ قَالَ: حدثنا الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ سَلِيمٍ الْحَافِظُ قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ عِمْرَانَ النَّجَّارُ، قال: حدثنا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعِيدٍ، قَالَ: حدثنا

---

(١) الشيخ: بإسكان الراء الطرفي، العدل في الفقيه والمتفقه للمصنف ذكره بلفظ المُعدّل بالكرج.

(٢) الشيخ: النجيرمي، كما في المصدر المتقدم.

الْحَسَنُ بْنُ بِشْرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، عَنْ ثُوَيْرِ بْنِ أَبِي فَاخِتَةَ، عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ جَعْدَةَ، عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: يَا حَمَلَةَ الْعِلْمِ اعْمَلُوا بِهِ، فَإِنَّمَا الْعَالِمُ مَنْ عَمِلَ، وَسَيَكُونُ قَوْمٌ يَحْمِلُونَ الْعِلْمَ يُبَاهِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا، حَتَّىٰ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَغْضَبُ عَلَىٰ جَلِيسِهِ أَنْ يَجْلِسَ إِلَىٰ غَيْرِهِ، أُولَئِكَ لَا تَصْعَدُ أَعْمَالُهُمْ إِلَى السَّمَاءِ. [قال الألباني في تخريج اقتضاء العلم: إسناده موقوف منقطع].

نعم، هذا موقوف علىٰ علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (يا حملة العلم اعملوا به، فإنما العالم من عمل)، أي عمل بالعلم الذي تعلمه قال: (وسيكون قوم يحملون العلم يباهي بعضهم بعضًا، حتىٰ إنّ الرجل ليغضب علىٰ جليسه أن يجلس إلىٰ غيره، أولئك لا تصعد أعمالهم إلىٰ السماء)، لأن أعمالهم ليست لله وإنما هي للمفاخرة والمباهاة، وإنما الذي يصعد لله تبارك وتعالىٰ هو الذي قُصد به وجه الله جلّ وعلا.

❀❀◈❀❀

١٠- حَدَّثنا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْبَزَّازُ بِالْبَصْرَةِ قَالَ: حدثنا أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُثْمَانَ الْفَسَوِيُّ، قال: حدثنا يَعْقُوبُ بْنُ سُفْيَانَ، قال: حدثنا خَلَفُ بْنُ الْوَلِيدِ أَبُو الْوَلِيدِ، قال: حدثنا خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ.

ح وَأَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ يَزْدَادَ الْقَارِئُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الْأَصْبَهَانِيُّ، بِهَا، قال: حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مَخْلَدٍ الْفَرْقَدِيُّ، قال: حدثنا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَمْرٍو، قال: حدثنا خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ.

ح وَأَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ يَحْيَىٰ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْمُنْذِرُ الْقَاضِي، قال: حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَىٰ بْنِ هَارُونَ الْإِسْكَافِيُّ، بِإِسْكَافَ، قال: حدثنا إِسْحَاقُ بْنُ شَاهِينَ، قال: حدثنا خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي زِيَادٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: وَفِي حَدِيثِ خَلَفٍ قَالَ: قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: تَعَلَّمُوا تَعَلَّمُوا فَإِذَا عَلِمْتُمْ فَاعْمَلُوا. وَفِي حَدِيثِ ابْنِ الْمُنْذِرِ: تَعَلَّمُوا مَرَّةً وَاحِدَةً.

١١- أَخْبَرَنَا أَبُو سَعِيدٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَىٰ بْنِ الْفَضْلِ الصَّيْرَفِيُّ بِنَيْسَابُورَ، قال: حدثنا أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ الْأَصَمُّ، قال: حدثنا هَارُونُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَصْبَهَانِيُّ، قال: حدثنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، عَنْ سُفْيَانَ.

ح وَأَخْبَرَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَسْنَوَيْهِ الْأَصْبَهَانِيُّ، قَالَ: حدثنا أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ يُوسُفَ التَّمِيمِيُّ، قَالَ: حدثنا عِمْرَانُ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ، قال: حدثنا الْحُسَيْنُ بْنُ حَفْصٍ، قال: حدثنا سُفْيَانُ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ تَمِيمِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، قَالُوا: قَالَ عَبْدُ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: تَعَلَّمُوا فَمَنْ عَلِمَ فَلْيَعْمَلْ. هَذَا لَفْظُ ابْنِ مَهْدِيٍّ، وَلَمْ يَذْكُرْ لَنَا أَبُو سَعِيدٍ الصَّيْرَفِيُّ فِي إِسْنَادِهِ تَمِيمَ بْنَ سَلَمَةَ، وَقَالَ ابْنُ حَسْنَوَيْهِ: عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: يا أَيُّهَا النَّاسُ تَعَلَّمُوا، فَمَنْ عَلِمَ فَلْيَعْمَلْ.

١٢- أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ السُّكَّرِيُّ، قَالَ: أَنْبَأَ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْخَزَّازُ، قَالَ: أَنْبَأَ جَعْفَرُ بْنُ أَحْمَدَ الْمَرْوَزِيُّ، قال: حدثنا إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، قال: حدثنا ابْنُ فُضَيْلٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ الْهَجَرِيِّ، عَنْ أَبِي عِيَاضٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: مَثَلُ عِلْمٍ لَا يُعْمَلُ بِهِ كَمَثَلِ كَنْزٍ لَا يُنْفَقُ مِنْهُ فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ. [ورد مرفوعا إلىٰ النبي ﷺ بإسناد حسن في تخريج مشكاة المصابيح، بلفظة (لا ينتفع به) بدلا من (لا يعمل به)].

تقدمت إشارة المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ في نصيحته في أول هذه الرسالة إلىٰ معنىٰ هذا الحديث، وقد أورده هنا موقوفًا علىٰ أبي هريرة، وقد صحّ مرفوعًا إلىٰ النبي ﷺ عند الدارمي في سننه وغيره.

١٣- أَخْبَرَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ الْفَضْلِ الْقَطَّانُ، قَالَ: أَنْبَأَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ دَرَسْتُوَيْهِ النَّحْوِيُّ، قال: حدثنا يَعْقُوبُ بْنُ سُفْيَانَ، قال: حدثنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قال: حدثنا الْوَلِيدُ، قال: حدثنا الْقَاسِمُ بْنُ هِزَّانَ، قَالَ: سَمِعْتُ الزُّهْرِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ، يَقُولُ: لَا يُوثَقُ لِلنَّاسِ عَمَلُ عَامِلٍ لَا يَعْلَمُ، وَلَا يُرْضَىٰ بِقَوْلِ عَالِمٍ لَا يَعْمَلُ.

١٤- قال: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ رِزْقَوَيْهِ، قال أنبأنا عُثْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ الدَّقَّاقُ، قال: حدثنا حَنْبَلُ بْنُ إِسْحَاقَ، قال: حدثنا سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ الْوَاسِطِيُّ، قال: أَنْبَأَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، قال: حَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ هِزَّانَ، سَمِعَ الزُّهْرِيَّ يَقُولُ: لَا يَرْضَيَنَّ النَّاسُ قَوْلَ عَالِمٍ لَا يَعْمَلُ، وَلَا عَامِلٍ لَا يَعْلَمُ.

نعم، هذا الأثر والذي قبل كلاهما عن الإمام الزهري محمد بن شهاب رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ، وفيه أنّ كلًّا من العالم الذي لا يعمل بعلمه، وكذلك العامل الذي لا يعلم، أي: يعمل بدون علم، كلاهما لا يُقبل ولا يُرتضىٰ، لكن هذا القبول وهذا الارتضاء يكون عند من عنده فهمٌ ودراية، أما الجهال فكم يغترون؟ وكم يتضررون بعبادة من يعبد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بلا علم؟ أو بحال من عنده علم ولا يعمل به؟ كما مر التنبيه علىٰ ذلك.

١٥- أَخْبَرَنَا الْقَاضِي أَبُو الْعَلَاءِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ يَعْقُوبَ الْوَاسِطِيُّ، قال: حدثنا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْبَرَنِيُّ، بِوَاسِطَ، قال: حدثنا يَحْيَىٰ بْنُ صَاعِدٍ، قال: حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُقْرِيُّ، قال: حدثنا حَكَّامُ بْنُ سَلْمٍ الرَّازِيُّ، عَنْ أَبِي سِنَانٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: الْعَمَلُ وَالْإِيمَانُ قَرِينَانِ لَا يَصْلُحُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَّا مَعَ صَاحِبِهِ. قَالَ يَحْيَىٰ: قَالَ أَبُو يَحْيَىٰ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ: إِنَّ أَبِي جَاءَ مَعِي مُنْذُ أَكْثَرَ مِنْ خَمْسِينَ سَنَةً حَتَّىٰ سَمِعَ هَذَا مِنْ حَكَّامٍ. [قال الألباني في تخريج اقتضاء العلم: ضعيف لإرساله].

هذا لم يثبت عن النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه، قال: (عن علي بن الحسين أنّ النبي ﷺ)، هذا

مُرسل، وأيضًا إسناده فيه كلام، قال: (العمل والإيمان قرينان، لا يصلح كل واحد منهما إلا مع صاحبه)، والعمل نفسه من الإيمان، لأنّ العمل كما جاء في الحديث عن نبينا الكريم عليه الصلاة والسلام قال: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذىٰ عن الطريق**» [صحيح مسلم، وقال الشيخ أعلاها بدلا من أفضلها]، لكن المقصود بكونهما قرينين أي كما في الآيات الكثيرة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، فالإيمان والعمل قرينان، وعطفُ العمل علىٰ الإيمان وكونه قرينًا له لا يقتضي المغايرة وأنه شيء آخر غير الإيمان، فالعمل من الإيمان، وهو من أركان الإيمان، لأنّ الإيمان يقوم علىٰ القول والاعتقاد والعمل.

١٦- أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ رِزْقٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللهِ الدَّقَّاقُ، قال: حدثنا حُسَيْنُ بْنُ أَبِي مَعْشَرٍ، قَالَ: أَخبرنا وَكِيعٌ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ بُرْقَانَ، عَنْ فُرَاتِ بْنِ سَلْمَانَ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّكَ لَنْ تَكُونَ عَالِمًا حَتَّىٰ تَكُونَ مُتَعَلِّمًا، وَلَنْ تَكُونَ مُتَعَلِّمًا حَتَّىٰ تَكُونَ بِمَا عَلِمْتَ عَامِلًا.

أي أنّ هذه أمور يقوم بعضها علىٰ بعض، مثل ما مر معنا في ذكر تمثيل العلم والعمل بالشجرة، فأوراق الشجرة وفروعها لا تقوم إلا علىٰ أصلها، فهذه أمور يقوم بعضها علىٰ بعض، (إنك لن تكون عالمًا حتىٰ تكون متعلمًا، ولن تكون متعلمًا حتىٰ تكون بما علمت عاملًا).

١٧- أَخْبَرَنَا أَبُو سَعِيدٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَىٰ الصَّيْرَفِي، قال: حدثنا أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ الْأَصَمُّ، قال: حدثنا يَحْيَىٰ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، قال: أنبأَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ عَطَاءٍ، قال: أنبأَنَا هِشَامُ الدَّسْتَوَائِيُّ، عَنْ بُرْدٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ، قَاضِي عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ: قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لَا تَكُونُ عَالِمًا حَتَّىٰ تَكُونَ مُتَعَلِّمًا، وَلَا تَكُونُ بِالْعِلْمِ عَالِمًا حَتَّىٰ تَكُونَ بِهِ عَامِلًا.

١٨- أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْقَزْوِينِيُّ، قَالَ: أنبأَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ بَحْرٍ الْحَوْضِيُّ، قال: حدثنا يَزِيدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ يَقُولُ: قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ابْنَ آدَمَ اعْمَلْ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، وَاعْدُدْ نَفْسَكَ فِي الْمَوْتَىٰ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ.

نعم، هذه وصية جامعة عن أبي الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وإن كان في الإسناد انقطاع بين الحسن وأبي الدرداء، لكنها وصية جامعة: (ابن آدم اعمل كأنك تراه)، وهذا مقام الإحسان: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**» [من حديث جبريل في «الصحيحين»]، (واعدد نفسك في الموتىٰ)، أي: **إذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وخذ من حياتك لموتك، ومن صحتك لمرضك** [من قول ابن عمر في صحيح

البخاري بترتيب مختلف للجمل]، (واتق دعوة المظلوم)، أي احذرها أشد الحذر، لأنّ «**دعوة المظلوم ليس بينها وبين الله تبارك وتعالىٰ حجاب**» [من حديث النبي ﷺ في «الصحيحين»].

❀❀◈❀❀

أَخْبَرَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ بِشْيرٍ أن الْمُعَدِّلُ، قَالَ..

محمد بن عبد الله بن بشران، يعني بدل بشير أنّ الصواب ابن بشران، وسيأتي عند المصنف في رقم مائة وثمانية، يأتي هذا الراوي عند المصنف برقم مائة وثمانية سليمًا من هذا التصحيف.

❀❀◈❀❀

١٩- أَخْبَرَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ بِشْرَانَ الْمُعَدِّلُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ الْحُسَيْنُ بْنُ صَفْوَانَ الْبَرْذَعِيُّ، قَالَ: حدثنا أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الدُّنْيَا، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْقَطَّانُ، بِقُزْوِينَ، قال: حدثنا أَبُو حَاتِمٍ الرَّازِيُّ، قال: حدثنا خَالِدُ بْنُ عَمْرٍو الْأُمَوِيُّ، عَنْ شَيْبَانَ النَّحْوِيِّ، عَنْ لَيْثٍ، عَنْ طَلْحَةَ بْنِ مُصَرِّفٍ، عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ، قَالَ: أَحْسَبُهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اعْمَلُوا وَأَنْتُمْ مِنَ اللهِ عَلَىٰ حَذَرٍ، وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مَعْرُوضُونَ عَلَىٰ أَعْمَالِكُمْ، وَأَنَّكُمْ مُلَاقُوا اللهَ لَا بُدَّ لَكُمْ مِنْ ذَلِكَ، ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾ [الزلزلة]». [قال الألباني في تخريج اقتضاء العلم: موضوع].

نعم، هذا الحديث المرفوع إلىٰ النبي عليه الصلاة والسلام في إسناده خالد بن عمرو، هذا متهم بالكذب، وليث ضعيف، فالإسناد غير ثابت.

❀❀◈❀❀

٢٠- أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ أَحْمَدَ الْأَهْوَازِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَيْزِدِيَارَ بْنَ سُلَيْمَانَ الصُّورِيَّ، يَقُولُ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ الْمُنْذِرِ، يَقُولُ: سَمِعْتُ سَهْلَ بْنَ عَبْدِ اللهِ، يَقُولُ: الْعِلْمُ كُلُّهُ دُنْيَا، وَالْآخِرَةُ مِنْهُ الْعَمَلُ بِهِ.

قول سهل بن عبد الله: (العلم كله دنيا، والآخرة منه والآخرة منه العمل به)، (العلم كله دنيا) أي نصيب صاحبه منه هو أمر يناله في الدنيا، من شهرة أو سمعة أو غير ذلك، أو ثناء أو نحو ذلك، (والآخرة منه العمل به)، لا يكون من أهل العلم إلا بالعمل به، وذلك أنّ مقصود العلم العمل، فإذا كان يتعلم لمجرد العلم تكثرًا بالعلم وازديادًا منه، ولا نهمة له في العمل ولا حرص له علىٰ العمل، لا يدخل هذا العلم في صالح عمله يوم القيامة، لأنه لم يأت بمقصود العلم الذي هو العمل.

❀❀◈❀❀

٢١- أَخْبَرَنِي أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ الْخَلَّالُ، وَأَبُو الْحَسَنِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ الْعَتِيقِي، قَالَ الْحَسَنُ حَدَّثَنَا، وَقَالَ أَحْمَدُ، أَخْبَرَنَا أَبُو الْمُفَضَّلِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الشَّيْبَانِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ الْكَرِيمِ بْنَ كَامِلِ بْنِ رَوْحٍ الصَّوَّافَ، يَقُولُ: سَمِعْتُ سَهْلَ بْنَ عَبْدِ اللهِ التُّسْتَرِيَّ يَقُولُ: النَّاسُ كُلُّهُمْ سُكَارَىٰ إِلَّا

الْعُلَمَاءُ، وَالْعُلَمَاءُ كُلُّهُمْ حَيَارَىٰ إِلَّا مَنْ عَمِلَ بِعِلْمِهِ.

٢٢- أَخْبَرَنِي أَبُو عَلِيٍّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ فَضَالَةَ الْحَافِظُ النَّيْسَابُورِيُّ، بِالرِّيِّ قَالَ: أَنبأنَا أَبُو أَحْمَدَ الْغِطْرِيفِيُّ، قال: حدثنا أَبُو سَعِيدٍ بَكْرُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ سَعْدَوَيْهِ الْعَبْدِيُّ بِالْبَصْرَةِ، قَالَ: قَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ: الدُّنْيَا جَهْلٌ وَمَوَاتٌ إِلَّا الْعِلْمَ، وَالْعِلْمُ كُلُّهُ حُجَّةٌ إِلَّا الْعَمَلَ بِهِ، وَالْعَمَلُ كُلُّهُ هَبَاءٌ إِلَّا الْإِخْلَاصَ، وَالْإِخْلَاصُ عَلَىٰ خَطَرٍ عَظِيمٍ حَتَّىٰ يُخْتَمَ بِهِ.

٢٣- أَخْبَرَنَا الْحَسَنُ بْنُ الْحُسَيْنِ النِّعَالِيُّ، قال أخبرنا أَحْمَدُ بْنُ نَصْرٍ الذِّرَاعُ، بِالنَّهْرَوَانِ حَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ نَصْرَوَيْهِ قَالَ: سَمِعْتُ حُسَيْنَ بْنَ بِشْرٍ الصَّابُونِيّ، يَقُولُ: سَمِعْتُ سَهْلَ بْنَ عَبْدِ اللهِ يَقُولُ: الْعِلْمُ أَحَدُ لَذَّاتِ الدُّنْيَا، فَإِذَا عُمِلَ بِهِ صَارَ لِلْآخِرَةِ.

وهذا بمعنىٰ كلامه المتقدم، حيث قال: (العلم كله دنيا والآخرة منه العمل به)، فيقول هنا: (العمل أحد لذات الدنيا، فإذا عمل به صار للآخرة) والله ﷻ يقول: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾ [الإسراء].

❀❀◈❀❀

٢٤- أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ الْكَرِيمِ بْنُ هَوَازِنَ الْقُشَيْرِيُّ النَّيْسَابُورِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ الْحُسَيْنِ السُّلَمِيَّ، يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ الرَّازِيَّ، يَقُولُ: سَمِعْتُ الْخَوَّاصَ، يَقُولُ: لَيْسَ الْعِلْمُ بِكَثْرَةِ الرِّوَايَةِ، وَإِنَّمَا الْعَالِمُ مَنِ اتَّبَعَ الْعِلْمَ وَاسْتَعْمَلَهُ، وَاقْتَدَىٰ بِالسُّنَنِ، وَإِنْ كَانَ قَلِيلَ الْعِلْمِ.

نعم، وهذا فيه أهمية العمل بالعلم، وأنّ العلم ليس بكثرة الرواية دون عملٍ بالعلم، ودون عناية بالعمل، فـ(ليس العلم بكثرة الرواية، وإنما العالم من اتبع العلم واستعمله)، (اتبعه) أي: نهج النهج الذي يقتضيه العلم الذي تعلمه، (واستعمله) أي: في عباداته وتقرباته إلىٰ الله ﷻ، مقتديًا في ذلك بهدي النبي الكريم عليه الصلاة والسلام، وإن كان الذي حصّله من العلم قليل، وهذا يذكّرنا بوصية الخطيب المتقدمة، حيث قال: (قليل من هذا وقليل من هذا).

❀❀◈❀❀

٢٥- أَخْبَرَنَا أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَطِيَّةَ الْمَكِّيُّ، قَالَ: حدثنا يُوسُفُ بْنُ عُمَرَ بْنِ مَسْرُورٍ أَبُو الْفَتْحِ الْقَوَّاسُ، قال: حدثنا أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ، قال: حدثنا زِيَادُ بْنُ أَيُّوبَ، قال: حدثنا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْحَوَارِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبَّاسُ بْنُ أَحْمَدَ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت]. قَالَ: الَّذِينَ يَعْمَلُونَ بِمَا يَعْلَمُونَ نَهْدِيهِمْ إِلَىٰ مَا لَا يَعْلَمُونَ.

نعم، يعني هذا من المعاني الداخلة في عموم المجاهدة للنفس، المطلوب في هذه الآية ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا

﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ فمما تشمله هذه الآية بعمومها: أي (الذين يعملون بما يعلمون يهديهم الله إلىٰ مالا يعلمون)، فيكون مما يُستفاد من معنىٰ هذه الآية: أنك إذا تعلمت علمًا وحرصت علىٰ العمل به، كافأك الله بأن زادك علمًا، فيكون سبيل الازدياد في العلم الحرص علىٰ العمل بالعلم الذي تعلمه المرء.

أَخْبَرَنِي أَبُو الْحُسَيْنِ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ الثوري.

الثوري الصواب التوزي، وسيأتي عند المصنف برقم اثنين وستين علىٰ الصواب، أما هنا فهو تصحيف.

٢٦- أَخْبَرَنِي أَبُو الْحُسَيْنِ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ التُّوزِيُّ حدثَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ النَّيْسَابُورِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ الرَّازِيَّ، يَقُولُ: قَالَ يُوسُفُ بْنُ الْحُسَيْنِ: فِي الدُّنْيَا طُغْيَانَانِ: طُغْيَانُ الْعِلْمِ وَطُغْيَانُ الْمَالِ، وَالَّذِي يُنْجِيكَ مِنْ طُغْيَانِ الْعِلْمِ الْعِبَادَةُ، وَالَّذِي يُنْجِيكَ مِنْ طُغْيَانِ الْمَالِ الزُّهْدُ فِيهِ.

٢٧- وَقَالَ يُوسُفُ: بِالْأَدَبِ تَفْهَمُ الْعِلْمَ، وَبِالْعِلْمِ يَصِحُّ لَكَ الْعَمَلُ، وَبِالْعَمَلِ تَنَالُ الْحِكْمَةَ، وَبِالْحِكْمَةِ تَفْهَمُ الزُّهْدَ وَتُوَفَّقُ لَهُ، وَبِالزُّهْدِ تَتْرُكُ الدُّنْيَا، وَبِتَرْكِ الدُّنْيَا تَرْغَبُ فِي الْآخِرَةِ، وَبِالرَّغْبَةِ فِي الْآخِرَةِ تَنَالُ رِضَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

هذا الأثر عن يوسف بن الحسين، قال: (في الدنيا طغيانان، طغيان العلم وطغيان المال)، طغيان المال معروف، وقد جاء ذكره في القرآن في قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾﴾ [العلق]، فالمال له طغيان، ومن الطغيان في المال: السرف والتبذير والتكبر والعجب والغرور... كل هذا من الطغيان في المال.

وهناك نوع من الطغيان آخر وهو الطغيان في العلم، فكما أن المال فيه طغيان فالعلم فيه طغيان، ومر معنا قريبًا في الحديث عن النبي ﷺ في تشبيه العلم بالمال: «**مثل علم لا يعمل به، كمثل كنز لا ينفق منه في سبيل الله**» [حسن إسناده الألباني في تخريج مشكاة المصابيح]، وهذا المعنىٰ صحَّ مرفوعًا عن النبي الكريم عليه الصلاة والسلام، الحاصل أنّ المال كما ان فيه طغيان فالعلم أيضًا فيه طغيان، ومن طغيان العلم أن يكون حظ المرء منه المفاخرة والمباهاة والمراءاة والسمعة والعجب بالنفس والغرور... هذا كله من الطغيان، فكما أن ذا المال يصاب بالطغيان، فأيضًا من الناس من يصاب بالطغيان بالعلم، إذا كان العلم عنده للمباهاة والمفاخرة ويغتر بعلومه ويُعجب بنفسه، ولهذا قال الناظم:

وَالعُجْبَ فَاحْذَرْهُ إِنَّ العُجْبَ مُجْتَرِفٌ ... أَعْمَالَ صَاحِبِهِ فِي سَيْلِهِ العَرِمِ

إذا أصيب العالم أو المتعلم بالعجب والغرور والمفاخرة... هذا كله من الطغيان، فالحاصل كما أنّ المال له طغيان فأيضًا العلم له طغيان، والمعافىٰ من عافاه الله.

٢٨- أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَتُّوثِيُّ، قَالَ: ذَكَرَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ نُصَيْرٍ الْخُلْدِي أَنَّ، أَبَا الْعَبَّاسِ الْحُلْوَانِيَّ أَخْبَرَهُ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْقَاسِمِ الْجُنَيْدَ، يَقُولُ: مَتَىٰ أَرَدْتَ أَنْ تُشَرَّفَ بِالْعِلْمِ وَتُنْسَبَ إِلَيْهِ وَتَكُونَ مِنْ أَهْلِهِ قَبْلَ أَنْ تُعْطَىٰ الْعِلْمَ مَا لَهُ عَلَيْكَ، احْتَجَبَ عَنْكَ نُورُهُ وَبَقِيَ عَلَيْكَ رَسْمُهُ وَظُهُورُهُ، ذَلِكَ الْعِلْمُ عَلَيْكَ لَا لَكَ، وَذَلِكَ أَنَّ الْعِلْمَ يُشِيرُ إِلَىٰ اسْتِعْمَالِهِ، فَإِذَا لَمْ تَسْتَعْمِلِ الْعِلْمَ فِي مَرَاتِبِهِ رَحَلَتْ بَرَكَاتُهُ.

يعني أنّ بركة العلم ونور العلم علىٰ صاحبه، والعلم نور وضياء لصاحبه، لكن هذه البركة وهذا النور والضياء للعلم إنما يناله من وُفِّق لاستعمال العلم، بأن يكون من أهله العاملين به.. أما إذا أراد المرء مجرد التشرف بالعلم والانتساب إليه، وأن يكون من أهله ولا همة له في العمل، فإنّ من كان كذلك احتجب عنه نور العلم.

٢٩- أَخْبَرَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ أَحْمَدَ الْوَاعِظُ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ الرُّوذْبَارِيَّ، يَقُولُ: مَنْ خَرَجَ إِلَىٰ الْعِلْمِ يُرِيدُ الْعِلْمَ لَمْ يَنْفَعْهُ الْعِلْمُ، وَمَنْ خَرَجَ إِلَىٰ الْعِلْمِ يُرِيدُ الْعَمَلَ بِالْعِلْمِ نَفَعَهُ قَلِيلُ الْعِلْمِ.

يعني هذا الذي ينبغي أن يكون عليه طالب العلم في خروجه للعلم، ومجالس العلم، والتحاقه بحِلق العلم، أن يكون المقصد من ذلك أن ينفعه الله ﷻ بالعلم، فإنّ القليل من ذلك ينفع، أما الكثير بدون همة في العمل بالعلم فإنه لا ينفع صاحبه، بل يكون حجَّة عليه لا له.

٣٠- قال: وَسَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ الرُّوذْبَارِيَّ، يَقُولُ: الْعِلْمُ مَوْقُوفٌ عَلَىٰ الْعَمَلِ، وَالْعَمَلُ مَوْقُوفٌ عَلَىٰ الْإِخْلَاصِ، وَالْإِخْلَاصُ لِلَّهِ يُورِثُ الْفَهْمَ عَنِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

موقوف عليه يعني لا يُقبل إلا به، (العلم موقوف علىٰ العمل، والعمل موقوف علىٰ الإخلاص)، فالعمل لا يُقبل إلا بالإخلاص، والعلم لا يُنتفع به إلا بالعمل به.

٣١- أَخْبَرَنَا الْحَسَنُ بْنُ أَبِي بَكْرِ بْنِ شَاذَانَ، قَالَ: أَخبرنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الزُّبَيْرِ الْكُوفِيُّ، قال: حدثنا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عَفَّانَ، قال: حدثنا زَيْدُ بْنُ الْحُبَابِ، عَنْ حَفْصِ بْنِ سُلَيْمَانَ، كَذَا فِي كِتَابِي، عَنِ ابْنِ شَاذَانَ، وَلَعَلَّهُ، جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ مَالِكَ بْنَ دِينَارٍ يَقُولُ: إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا طَلَبَ الْعِلْمَ لِلْعَمَلِ كَسَرَهُ عِلْمُهُ، وَإِذَا طَلَبَهُ لِغَيْرِ ذَلِكَ ازْدَادَ بِهِ فُجُورًا أَوْ فَخْرًا.

(كسره علمه) أي: مال به وجنح به إلىٰ التواضع، وعدم رؤية النفس والعجب بها، (كسره علمه إذا طلب العلم للعمل)، أما إذا طلب العلم (لغير ذلك ازداد به فجورًا أو فخرًا)، وهذا الذي مر معنا قريبًا وصفه بالطغيان، طغيان العلم.

٣٢- أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ مُحَمَّدِ جَعْفَرٍ، قال: حدثنا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ جَعْفَرٍ الْخِرَقِيُّ، قال: حدثنا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ أَعْيَنَ، قال: حدثنا إِسْحَاقُ بْنُ أَبِي إِسْرَائِيلَ، قال: حدثنا جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ مَالِكَ بْنَ دِينَارٍ يَقُولُ: **مَنْ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ لِلْعَمَلِ كَسَرَهُ عِلْمُهُ، وَمَنْ طَلَبَهُ لِغَيْرِ الْعَمَلِ زَادَهُ فَخْرًا.**

٣٣- وأَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ رِزْقٍ، قَالَ: أَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ نُصَيْرٍ الْخُلْدِيُّ، قَالَ: حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْحَضْرَمِيُّ، قال: حدثنا سَعِيدُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: حدثنا جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، قَالَ: قَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ: **إِذَا طَلَبَ الْعَبْدُ الْعِلْمَ لِيَعْمَلَ بِهِ كَسَرَهُ، وَإِذَا طَلَبَهُ لِغَيْرِ الْعَمَلِ زَادَهُ فَخْرًا.**

٣٤- أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ السَّرَّاجُ، بِنَيْسَابُورَ قَالَ: أَخبرنَا أَبُو الْحَسَنِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدُوسٍ الطَّرَائِفِيُّ، قَالَ: حدثنا عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ الدَّارِمِيُّ، قال: حدثنا زَكَرِيَّا بْنُ نَافِعٍ الْفِلَسْطِينِيُّ، قال: حدثنا عَبَّادُ بْنُ عَبَّادٍ هُوَ الْخَوَّاصُ الرَّمْلِيُّ، عَنِ ابْنِ شَوْذَبٍ، عَنْ مَطَرٍ قَالَ: **خَيْرُ الْعِلْمِ مَا نَفَعَ، وَإِنَّمَا يَنْفَعُ اللهُ بِالْعِلْمِ مَنْ عَلِمَهُ ثُمَّ عَمِلَ بِهِ، وَلَا يَنْفَعُ بِهِ مَنْ عَلِمَهُ ثُمَّ تَرَكَهُ.**

نعم، هذا أثر عن مطر وهو الوراق، يقول: (خير العلم ما نفع)، (ما نفع) أي الذي نفع صاحبه، أما العلم الذي لا ينفع صاحبه ولا ينتفع به صاحبه يكون حجة علىٰ صاحبه لا له، فـ(خير العلم ما نفع)، ولهذا ينبغي أن يُعلم أنّ العلم حقًا إنما هو ما نفع صاحبه، فـ(العلم ما نفع)، أما العلم الذي لم ينتفع به صاحبة يكون حجة علىٰ صاحبه، ووبالًا علىٰ صاحبه، فـ(العلم ما نفع)، ويقول رَحِمَهُ اللَّهُ: (وإنما ينفع الله بالعلم من علمه ثم عمل به، ولا ينفع به من علمه ثم تركه)، ولهذا كما أنّ طالب العلم ينبغي أن تكون له نهمة في طلب العلم، ينبغي أن تكون له نهمة أيضًا في العمل به، حتىٰ يكون من أهله ومن المنتفعين به.

وفي الدُّعاء المأثور: «**اللَّهُمَّ انفعني بما علمتني، وعلمني ما ينفعني**» [صحيح الترمذي وغيره، وذكره الشيخ بصيغة الجمع]، فمطلوب من المسلم مجاهدة نفسه علىٰ العلم وتحصيله، وأيضًا مجاهدة نفسه علىٰ العمل بالعلم حتىٰ يكون من أهله، فإنه لا يكون من أهل العلم بمجرد التعلم والحفظ، حتىٰ يكون من العاملين به، ولا يكون أيضًا من أهل القرآن بمجرد الحفظ.

ولهذا جاء في الحديث: «يُدعىٰ أهل القرآن العاملين به» [لم أجد حديثا بهذه الألفاظ، وأقرب ما وجدته في هذا المعنىٰ هو: عن بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قرأ القرآن وتعلم وعمل به، ألبس والداه يوم**

القيامة تاجا من نور... » إلىٰ آخر الحديث، قال الألباني في صحيح الترغيب: حسن لغيره]، لا يكون من أهله إلا بالعمل به، فـ«**أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته**» [من حديث النبي في صحيح ابن ماجه وغيره]، هم العاملون بكتاب الله، أما من اتخذ قراءة القرآن عملًا وصناعة له، وهو لا يعمل بالقرآن فإنّ القرآن حينئذٍ يكون حجة عليه لا له، وهذا المعنىٰ جاء في الحديث، قال: «**والقرآن حجة لك أو عليك**» [صحيح مسلم].

٣٥- أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْجَوْهَرِيُّ، قَالَ: حدثنا أَبُو عُمَرَ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْخَزَّازُ، قال: حدثنا يَحْيَىٰ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ صَاعِدٍ، قال: حدثنا الْحُسَيْنُ بْنُ الْحَسَنِ الْمَرْوَزِيُّ، قَالَ: أخبرنا ابْنُ الْمُبَارَكِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا حَرِيزُ بْنُ عُثْمَانَ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ عُبَيْدٍ الرَّحَبِيِّ قَالَ: تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ وَاعْقِلُوهُ، وَانْتَفِعُوا بِهِ، وَلَا تَعَلَّمُوهُ لِتَجَمَّلُوا بِهِ، فَإِنَّهُ يُوشِكُ إِنْ طَالَ بِكُمُ الْعُمُرُ أَنْ يُتَجَمَّلَ بِالْعِلْمِ كَمَا يَتَجَمَّلُ الرَّجُلُ بِثَوْبِهِ.

نعم، هذه مصيبة، وهي أيضًا من الطغيان في العلم، أن يكون حظ طالب العلم من العلم مجرد التجمل والتزين والمباهاة والمفاخرة، أنا أحفظ كذا، وأنا حضرت من المجالس كذا، وأنا لازمت من العلماء كذا وكذا، يفاخر فقط، ولكنه مُفرِّط في العمل، ومن تفريطه في العمل أن يُفتقد حتىٰ في الواجبات، وأن تكون نفسه ضعيفة منهزمة في الكبائر والموبقات، وهذه من المصائب العظيمة، فتفريطٌ في الواجبات ووقوعٌ في المآثم والمحرَّمات، ثم مع ذلك يتفاخر بأن عنده كذا وعنده كذا يتزين بالعلم، فيكون حظه من العلم مجرد التزين والمفاخرة والمباهاة علىٰ الآخرين، فيحذِّر من ذلك رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: (تعلموا العلم واعقلوا وانتفعوا به)، والانتفاع به إنما يكون بالعمل، (ولا تعلموه لتجمَّلوا به)، يعني يكون مجرد زينة وتفاخر وتباهي، (ولا تعلموه لتجملوا به فإنه يوشك إن طال بكم العمر أن يُتجمل بالعلم كما يتجمل الرجل بثوبه).

٣٦- أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْكَرِيمِ بْنُ هَوَازِنَ، قَالَ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ الْحُسَيْنِ السُّلَمِيَّ، يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا نَصْرٍ الْأَصْفَهَانِيَّ، يَقُولُ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ عِيسَىٰ، يَقُولُ: قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخَرَّازُ: الْعِلْمُ مَا اسْتَعْمَلَكَ، وَالْيَقِينُ مَا حَمَلَكَ.

هذا كلام جميل: (العلم ما استعملك)، (العلم)؛ أي: النافع لصاحبه ما استعمل صاحبه، بحيث أنّ صاحبه يعمل بهذا العلم ليكون من أهله، (واليقين ما حملك)، أي حملك علىٰ السير إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فإنّ السائر إلىٰ الله تبارك وتعالىٰ يركب في سيره إلىٰ الله تبارك وتعالىٰ اليقين؛ لأنّ اليقين يحمل صاحبه، ولولا اليقين ما سار راكب إلىٰ الله تبارك وتعالىٰ، فاليقين يحمل صاحبه، أما الذي لا يحمل صاحبه فليس يقين، وإنما هو دعوىٰ قائمة في نفس المرء، وإنما اليقين هو الذي يحمل صاحبه علىٰ حسن السير إلىٰ الله تبارك وتعالىٰ.

٣٧- أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ الْحِنَّائِيُّ، قَالَ: حدثنا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ نُصَيْرٍ الْخُلْدِيُّ، قال: حدثنا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْرُوقٍ، قال: حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ، قال: حدثنا سَعِيدُ بْنُ عَامِرٍ، قال: حدثنا صَالِحُ بْنُ رُسْتُمَ، قَالَ: قَالَ لِي أَبُو قِلَابَةَ: إِذَا أَحْدَثَ اللهُ لَكَ عِلْمًا فَأَحْدِثْ لَهُ عِبَادَةً، وَلَا يَكُنْ إِنَّمَا هَمُّكَ أَنْ تُحَدِّثَ بِهِ النَّاسَ.

٣٨- أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ الْفَضْلِ الْقَطَّانُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ دَرَسْتُوَيْهِ، قَالَ: حدثنا يَعْقُوبُ بْنُ سُفْيَانَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو بِشْرٍ يَعْنِي بَكْرَ بْنَ خَلَفٍ، قال: حدثنا سَعِيدُ بْنُ عَامِرٍ، قال: حدثنا صَالِحُ بْنُ رُسْتُمَ، قَالَ: قَالَ لي أَبُو قِلَابَةَ الأيوب: يا أيوب، إِذَا أَحْدَثَ اللهُ لَكَ عِلْمًا فَأَحْدِثْ لِلَّهِ عِبَادَةً، وَلَا تَكُونَنَّ إِنَّمَا هَمُّكَ أَنْ تُحَدِّثَ بِهِ النَّاسَ.

يعني إذا أكرمك الله بالعلم وفهمت شيئًا من مسائله وبعضًا من جوانبه، فأحدِث عبادة تقرب إلىٰ الله بالعمل بهذا العلم الذي أكرمك الله ﷻ به، ولا يكن همُّك مجرد تحديث الناس به، دون أن تكون لك همَّة بأن تنتفع، ولهذا بعض الناس يكون غيره أسعد منه بما علمه الله، غيره من الناس يكون أسعد منه بما علمه الله، فمثلًا يعظ ويُذكر ولا يعمل، فينتفع أناس، ينفع الله أناسا بهذه المواعظ التي سمعوها من هذا الرجل، وهو نفسه لم ينتفع، ولهذا من الدعوات الجميلة المأثورة عن بعض السلف، وقد رواه الإمام أحمد في كتاب الزهد علىٰ ما أذكر عن مطرف بن عبد الله بن الشخير أنه كان يقول في دعائه: اللَّهُمَّ لا تجعل غيري أسعد بما علمتني مني، ولا تجعلني لغيري عبرة.

قال ابن تيمية رحمه الله في بعض كتبه: وهذا من أحسن الدعاء، اللَّهُمَّ لا تجعل غيري أسعد بما علمتني مني، متىٰ يكون غيرك أسعد بما علمك الله منك؟ إذا كان المرء بهذه الطريقة التي يشير إليها هنا، همته أن يُحدث الناس وليس له همة في أن يعمل هو بنفسه، فيكون الناس حينئذن أسعد بما علمه الله منه، لأنهم سمعوا منه فعملوا، وهو سمع وفهم وعلَّم الآخرين ولم يعمل، فكان غيره أسعد منه بما علَّمه الله.

ونكتفي بهذا القدر، ونكمل إن شاء الله بعد صلاة المغرب، وصلىٰ الله وسلم علىٰ عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

المجلس الثاني

٢٥/ ٤ /١٤٣٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله صلىٰ الله وسلم عليه وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد.. فنواصل القراءة في هذه الرسالة «اقتضاء العلم العمل» للخطيب البغدادي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ.

٣٩- أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ جَعْفَرٍ الْبَرْذَعِيُّ، قال: أخبرنا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عِمْرَانَ، قال: حدثنا أَحْمَدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ نَصْرٍ، قال: حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ حَبِيبٍ لُوَيْنٌ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو مُحَمَّدٍ الْأَطْرَابُلُسِيُّ، عَنْ أَبِي مَعْمَرٍ، عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: **هِمَّةُ الْعُلَمَاءِ الرِّعَايَةُ، وَهِمَّةُ السُّفَهَاءِ الرِّوَايَةُ.**

هذا الأثر عن الإمام الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ، قال: (همة العلماء الرعاية وهمة السفهاء الرواية)، المراد بقوله (همة السفهاء الرواية) أي: مجرد الاقتصار عليها دون أن يكون له حظ من العمل بما روىٰ، وذلك حال من لم ينفعه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بما علّمه، فمن كانت همته الرواية، الرواية: هي مجرد النقل وحفظ الألفاظ، لأنّ المراتب ثلاثة: رواية، ودراية، ورعاية:

- أما الرواية: فهي الحفظ ومجرد النقل للألفاظ.
- والدراية: هي الفهم للمعاني والمقاصد.
- والرعاية: العمل بموجب ذلك.

ولهذا قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (همة العلماء الرعاية)، أي: أنّ الله عَزَّوَجَلَّ جمع لهم بين الرُتب الثلاثة، الرواية والدراية والرعاية التي هي العمل.

٤٠- أَخْبَرَنَا أَبُو الْفَرَجِ عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ أَسَدِ بْنِ اللَّيْثِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ الْأَسْوَدِ بْنِ سُفْيَانَ بْنِ يَزِيدَ بْنِ أُكَيْنَةَ بْنِ عَبْدِ اللهِ التَّمِيمِيُّ، مِنْ حِفْظِهِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي، يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبِي، يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبِي، يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبِي، يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبِي، يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبِي، يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبِي، يَقُولُ: سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: **هَتَفَ الْعِلْمُ بِالْعَمَلِ، فَإِنْ أَجَابَهُ، وَإِلَّا ارْتَحَلَ. عَدَدُ الْآبَاءِ تِسْعَةٌ.**

هذا الأثر عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مروي بتسلسل رواية الأبناء عن الآباء، قال: (عدد الآباء تسعة)، وأعلىٰ هؤلاء الآباء في الإسناد علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه، قال: (هتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل)، أي: أنّ بركة العلم إنما تُنال بالعمل به، فإذا لم يعمل صاحب العلم بعلمه ارتحلت عنه بركة العلم، لأنّ العلم ما نفع،

ليس العلم بكثرة الرواية وإنما العلم ما نفع، فإذا لم ينتفع صاحب العلم بعلمه ارتحل عنه علمه، وذهبت عنه بركة العلم.

٤١- أَخْبَرَنَا الْقَاضِي أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيُّ بْنُ الْمُحْسِنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الْفَهْمِ التَّنُوخِيُّ، قَالَ: وَجَدْتُ فِي كِتَابِ جَدِّي، حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ الْمَكِّيُّ، قَالَ: حدثنا إِسْحَاقُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبَانَ النَّخَعِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي النَّوْفَلِيُّ عَنِ الْحَارِثِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ أَبِي ذِئْبٍ يُحَدِّثُ عَنِ ابْنِ الْمُنْكَدِرِ، قَالَ: **الْعِلْمُ يَهْتِفُ بِالْعَمَلِ، فَإِنْ أَجَابَهُ وَإِلَّا ارْتَحَلَ.**

٤٢- أَخْبَرَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَسَنُونَ النَّرْسِيُّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْحُسَيْنِ الدَّقَّاقُ، قَالَ: أَنْبَأَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، قَالَ: حَدَّثنا مُحَمَّدُ بْنُ زِيَادِ بْنِ فَرْوَةَ الْبَلَدِيُّ، ثنا أَبُو شِهَابٍ، عَنْ طَلْحَةَ هُوَ ابْنُ زَيْدٍ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ رَاشِدِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: **مَا عَلَّمَ اللهُ عَبْدًا عِلْمًا إِلَّا كَلَّفَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ضِمَارَهُ مِنَ الْعَمَلِ.**

نعم، هذا لا يثبت، لأنّ في الإسناد طلحة بن زيد وهو متروك واتُّهم بالوضع، ومعنىٰ قوله: (إلا كلفه الله يوم القيامة ضماره من العمل)، يقولون الضمار: ما لا يُرجىٰ من الدّيْن ونحوه، يقال له ضمار، وإذا جاء العبد يوم القيامة وعنده علم لم يعمل به، كُلف يوم القيامة ضماره من العمل، والضمار هو ما لا يُرجىٰ، لأنّ يوم القيامة هو يوم الجزاء والحساب، والعمل في هذه الدار الحياة الدنيا، كما قال عليّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: **فإنّ اليوم عملٌ ولا حساب، وغدًا حسابٌ ولا عمل.**

٤٣- أَخْبَرَنِي أَبُو الْفَرَجِ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ الطَّنَاجِيرِيُّ، قَالَ: حَدَّثنا أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ هِشَامٍ التَّمِيلِيُّ، بِالْكُوفَةِ، قال: حدثنا عَبْدُ اللهِ بْنُ زَيْدَانَ، قال: حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُحْرِزِيُّ، قَالَ: قَالَ أَيُّوبُ بْنُ يَحْيَىٰ: قَالَ فُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ: **لَا يَزَالُ الْعَالِمُ جَاهِلًا بِمَا عَلِمَ حَتَّىٰ يَعْمَلَ بِهِ، فَإِذَا عَمِلَ بِهِ كَانَ عَالِمًا.**

(جاهلًا بما علم حتىٰ يعمل به)، لأنّ الجهل كما أنه جهل بالدراية بالعلم، فإنه كذلك جهلٌ بقيمة العلم ومكانته وعظيم عائدته علىٰ صاحبه، فإذا كان عنده علم ولا يعمل، عنده علم لم ينتفع به فهو جاهل، لأنه هو والجاهل سواء، لكن الأمر فيه أخطر من الجاهل، ولإن كان الجاهل مُؤاخذ بتفريطه في تحصيل العلم، إلا أن من علم ولم يعمل أشد، حيث إنّ الحجة قامت عليه بما تعلمه من علم، والعلم حجة لك أو عليك، ويكون بتكثيره من العلوم أكثر من حجج الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عليه، أصبح علمه حجة عليه.

٤٤- أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ الْحَسَنِ الشَّاهِدُ، بِالْبَصْرَةِ، قال: حدثنا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ إِسْحَاقَ الْمَادِرَائِيُّ، قال: حدثنا الْمُفَضَّلُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قال: حدثنا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الطَّبَرِيُّ، قَالَ: قَالَ الْفُضَيْلُ: إِنَّمَا يُرَادُ مِنَ الْعِلْمِ الْعَمَلُ، وَالْعِلْمُ دَلِيلُ الْعَمَلِ.

٤٥- وَقَالَ الْفُضَيْلُ: عَلَىٰ النَّاسِ أَنْ يَتَعَلَّمُوا، فَإِذَا عَلِمُوا فَعَلَيْهِمُ الْعَمَلُ.

(إنما يراد من العلم العمل)، أي مقصود العلم العمل، فالعلم مقصود للعمل، فإذا لم يعمل المرء بالعلم الذي تعلمه يكون غير محقق لمقصود العلم، فإن مقصود العلم العمل، فإذا لم يعمل لا يكون محققًا لمقصود العلم، (والعلم دليل العمل)، وما فائدة أن يُحصِّل المرء الدليل والهادي إلىٰ الطريق ولكنه لا يهتدي به ولا ينتفع.

وقول الفضيل: (علىٰ الناس أن يتعلموا، فإذا علموا فعليهم العمل)، وهذا فيه التنبيه إلىٰ أنّ الجاهل ملوم ببقائه علىٰ الجهل، وأنّ الواجب عليه أن يتعلم وأن يتفقه في دين الله ﷻ، وأن يتبصر بهذا الدين الذي خلقه الله ﷻ لأجله، مطلوب منه ذلك، فإذا ترك التعلم فإنه ملوم علىٰ ذلك، ثم إذا تعلم عليه أن يعتني بمقصود العلم وهو العمل، قال: (فإذا علموا فعليهم العمل).

٤٦- أَخْبَرَنَا أَبُو الْفَتْحِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي الْفَوَارِسِ، قَالَ: أَنْبَأَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْمُغِيرَةِ، قال: حدثنا أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ الدِّمَشْقِيُّ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُعْتَزِّ: عِلْمٌ بِلَا عَمَلٍ كَشَجَرَةٍ بِلَا ثَمَرَةٍ.

عبد الله بن المعتز عنده كلمات فيها حكمة، ومن كلامه الجميل قوله: (علم بلا عمل كشجرة بلا ثمرة). ومر معنا في صدر هذا الكتاب في الوصية التي استهلّ بها المصنف رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ كتابه، قوله: (فإنّ العلم شجرة، والعمل ثمرة). فإذا كان عنده (علم بلا عمل كشجرة بلا ثمرة)، مثل أن يعتني الفلاح ببستانه بشجرة يتعب عليها ويتعاهدها بالسقي والعناية والرعاية... ثم لا تثمر، وهو اعتنىٰ بها من أجل الثمرة، ثم لا تثمر، فيذهب تعبه سُدىٰ دون فائدة، ومثله الذي يحصّل العلم ولا يعمل، وهذا الأثر يُستفاد منه أنّ ثمرة العلم العمل، فإذا علم ولم يعمل لم يحصّل الثمرة، ولم يجن القطاف الذي هو قطاف العلم وجناه اللذيذ الطيب.

٤٧- وَقَالَ أَيْضًا: عِلْمُ الْمُنَافِقِ فِي قَوْلِهِ، وَعِلْمُ الْمُؤْمِنِ فِي عَمَلِهِ.

(علم المنافق في قوله) يعني عليم اللسان، فعلمه في قوله، لكن جنانه وفِعاله بخلاف ذلك، (وعلم المؤمن في عمله)، بمعنىٰ أنّ علمه الذي علِمه وحصّله يظهر في سلوكه وفي تعامله وفي عبادته وفي بعده عن الحرام وكفافه عن الآثام... يظهر عليه.

٤٨- أَنْشَدَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَلِيٍّ الْأَصْبَهَانِيُّ لِبَعْضِهِمْ:

اعْمَلْ بِعِلْمِكَ تَغْنَمْ أَيُّهَا الرَّجُلُ ... لَا يَنْفَعُ الْعِلْمُ إِنْ لَمْ يَحْسُنِ الْعَمَلُ
وَالْعِلْمُ زَيْنٌ وَتَقْوَى اللهِ زِينَتُهُ ... وَالْمُتَّقُونَ لَهُمْ فِي عِلْمِهِمْ شُغُلُ
وَحُجَّةُ اللهِ يَا ذَا الْعِلْمِ بَالِغَةٌ ... لَا الْمَكْرُ يَنْفَعُ فِيهَا لَا وَلَا الْحِيَلُ
تَعَلَّمِ الْعِلْمَ وَاعْمَلْ مَا اسْتَطَعْتَ بِهِ ... لَا يُلْهِيَنَّكَ عَنْهُ اللَّهْوُ وَالْجَدَلُ
وَعَلِّمِ النَّاسَ وَاقْصِدْ نَفْعَهُمْ أَبَدًا ... إِيَّاكَ إِيَّاكَ أَنْ يَعْتَادَكَ الْمَلَلُ
وَعِظْ أَخَاكَ بِرِفْقٍ عِنْدَ زَلَّتِهِ ... فَالْعِلْمُ يَعْطِفُ مَنْ يَعْتَادُهُ الزَّلَلُ
وَإِنْ تَكُنْ بَيْنَ قَوْمٍ لَا خَلَاقَ لَهُمْ ... فَأْمُرْ عَلَيْهِمْ بِمَعْرُوفٍ إِذَا جَهَلُوا
فَإِنْ عَصَوْكَ فَرَاجِعْهُمْ بِلَا ضَجَرٍ ... وَاصْبِرْ وَصَابِرْ وَلَا يَحْزُنْكَ مَا فَعَلُوا
فَكُلُّ شَاةٍ بِرِجْلَيْهَا مُعَلَّقَةٌ ... عَلَيْكَ نَفْسَكَ إِنْ جَارُوا وَإِنْ عَدَلُوا

هذه الأبيات جميلة في الوصية لطالب العلم، وأول هذه الوصية العمل بالعلم (اعمل بعلمك)، وأنّ من لا يعمل بعلمه لم ينتفع بالعلم، وزينة العلم العمل وتقوىٰ الله ﷻ، فبدأ الأبيات بالوصية بالعمل والمواظبة عليه والرعاية له، وختم الوصية بالنُّصح للناس ودلالتهم علىٰ الخير، وهكذا ينبغي أن يكون المرء في تدرُّجه، أولًا يتعلم، ثم يعمل، ثم يرشد الآخرين، ويعدِّي هذا الخير الذي حصله إلىٰ الآخرين ويوصله إليهم، وينفعهم بدلالتهم علىٰ هذا الذي نفعه الله ﷻ به، وإذا ناصح الناس وعلمهم وعصوه فلا يسأم؛ بل عليه أن يراجعهم، ويصبر عليهم، فمن لم يستجب في المرة الأولىٰ قد يستجيب في الثانية، ومن لم يستجب في الثانية قد يستجيب في الثالثة، ومن لم ينتفع بهذا الأسلوب قد ينفعه أسلوب آخر وطريقة أخرىٰ في الحديث ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل:١٢٥].

فيقول رَحِمَهُ اللَّهُ: إن عصوك راجعهم بلا ضجر، يعني إن دعوت مرة أو مرتين لا تسأم؛ بل راجع المدعو مرة وأخرىٰ، لعل الله ﷻ أن ينفعه، وهذا المقام يحتاج منك إلىٰ صبر ومصابرة، وألا تحزن ولا تأسىٰ، وواصل في مناصحتك للناس ودعوتهم للخير، وختم بقول:

(فكل شاة برجليها معلقة ... عليك نفسك إن جاروا وإن عدلوا)

لكن هذا الكلام: (كل شاة برجليها معلقة)، لا يقال مع ترك الدعوة والنصيحة للناس، لا يقال في ترك الدعوة والنصيحة للناس؛ بل (كل شاة برجليها معلقة) إذا تمت النصيحة، وأما إذا تُرك العصاة دون أن يؤخذ بأيديهم ودون أن يُؤمروا بالمعروف ويُنهوا عن المنكر، فإن البلاء يعمّ، وشؤم المصيبة يعمّ ويضر بالناس

وبالدواب، ولهذا يُروىٰ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنه سمع رجلًا يقول: (كل شاة برجليها معلقة)، فقال: **لا، إن الحُبارىٰ - نوع من الطير - لتموت في عشها من ظلم بني آدم.** يعني أنّ ظلم الإنسان وشؤم المعاصي يترتب عليه فساد عظيم ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ [الروم:٤١].

ولهذا ذكر بعض أهل العلم في الحِكمة من استغفار الدواب والحيتان في الماء للعالِم، أنّ من بركة العالِم ما يترتب عليه انتفاع هذه الدواب وانتفاع هذه الطير وانتفاع هذه الحيتان في الماء، بما يُشيعه بين الناس من العلم والرَّحمة والفضيلة والدعوة والبعد عن المنكرات... وأيضًا الرفق ببهيمة الحيوانات... إلىٰ غير ذلك مما يُجريه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في المجتمعات علىٰ أيدي العلماء ودعاة الحق والهدىٰ من فضائل وخيرات، ينال بها الناس في مجتمعاتهم البركة، وأمَّا المعاصي وفعل العصاة فإنه شؤم علىٰ أنفسهم وعلىٰ أيضًا المجتمعات، ويترتب عليه أخطار عظيمة، فلا يُقال هكذا علىٰ الإطلاق: (كل شاة برجليها معلقة)، لا، مطلوب من أهل الحق وأهل الفضل أن يُعنوا بمناصحة الناس ودعوتهم ودلالتهم إلىٰ الحق والهدىٰ.

❀❀◈❀❀

٤٩- أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْيدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْحِنَّائِيُّ قَالَ: أَنْبَأَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الصِّدِّيقِ الْمَرْوَزِيُّ، قال: حدثنا أَبُو لُبَابَةَ مُحَمَّدُ بْنُ الْمَهْدِيِّ، قال: حدثنا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَكِيمٍ، وَأَخْبَرَنِي أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ جَعْفَرٍ الْيَزْدِيُّ بِأَصْبَهَانَ، قال: حدثنا أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَطَاءٍ الْقَبَّابُ، قال: حدثنا أَبُو طَالِبٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ سَوَادَةَ الْبَغْدَادِيُّ، إِمْلَاءً، قال: حدثنا الْحَسَنُ بْنُ قَزْعَةَ، حدثنا الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ.

ح، وَأَخْبَرَنَا الْحَسَنُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، قَالَ: أَنْبَأَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ دَعْلَجُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ دَعْلَجٍ الْمُعَدِّلُ قَالَ: أَنْبَأَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ الصَّائِغُ، قال: حدثنا سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ، قال: حدثنا فُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ، عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيَّتُهَا الْأُمَّةُ. وَفِي حَدِيثِ الْيَزْدِيِّ: **يَا أَيَّتُهَا الْأُمَّةُ، إِنِّي لَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ فِيمَا لَا تَعْلَمُونَ، وَلَكِنِ انْظُرُوا كَيْفَ تَعْمَلُونَ فِيمَا تَعْلَمُونَ.**

في الإسناد يحيىٰ بن عبيد الله وهو متروك الحديث، فهذا غير ثابت عن نبينا صلوات الله وسلامه عليه.

❀❀◈❀❀

٥٠- أَخْبَرَنَا أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ الْعَبَّاسِ النِّعَالِيُّ، قَالَ: حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْمَرْوَزِيُّ، قَالَ: حدثنا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَحْمُودٍ، قال: حدثنا يَحْيَىٰ بْنُ أَكْثَمَ، قال: حدثنا عَبْدُ الْأَعْلَىٰ بْنُ مُسْهِرٍ الْغَسَّانِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ خَالِدَ بْنَ يَزِيدَ بْنَ صُبَيْحٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ يُونُسَ بْنَ مَيْسَرَةَ بْنَ حَلْبَسَ الْجُبْلَانِيَّ يَقُولُ: تَقُولُ الْحِكْمَةُ: تَبْتَغِينِي ابْنَ آدَمَ وَأَنْتَ وَاجِدُنِي فِي حَرْفَيْنِ: تَعْمَلُ بِخَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وَتَذَرُ شَرَّ مَا تَعْلَمُ.

(واجدني في حرفين)، أي يجد رضوان الله والفوز بكرامته في حرفين، (تعمل بخير ما تعلم وتذر شر ما تعلم)، لأنّ العلم واجبات وفرائض وسنن ومستحبات؛ فيعمل بها المرء، ومن العلم ما هو نواهي وتروك ومحرمات فيتجنبها المرء، والحاصل أنّ الفوز برضا الله تبارك وتعالىٰ في حرفين، فعل الواجبات وترك المحرَّمات.

٥١- أَخْبَرَنَا الْحَسَنُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، قَالَ: أَنْبَأَنَا أَبُو سَهْلٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ زِيَادٍ الْقَطَّانُ، قال: حدثنا عَبْدُ الْكَرِيمِ بْنُ الْهَيْثَمِ، قَالَ: حدثنا أَبُو الْيَمَانِ، قَالَ: حدثنا حَرِيزٌ، عَنِ ابْنِ أَبِي عَوْفٍ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ الْعَبْدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَمَسْؤُولٌ: مَا عَمِلْتَ بِمَا عَلِمْتَ.

نعم، هذا تقدم عنه بمعناه مرفوعًا، وهذا موقوف علىٰ أبي الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، (إنّ العبد يوم القيامة لمسؤول: ما عملت بما علمت)، والمعنىٰ أيضًا تقدم في أول هذه الرسالة مرفوعًا إلىٰ النبي عليه الصلاة والسلام في حديث: «لا تزول قدم عبد يوم القيامة حتىٰ يُسأل عن أربع» ومنها «عن علمه ماذا عمل فيه» [صحيح الترغيب]، وكان أبو الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يُشفق من هذا الأمر إشفاقًا عظيمًا كما سيأتي.

٥٢- أَخْبَرَنَا أَبُو الْفَتْحِ هِلَالُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ الْحَفَّارِ، قال: أنبأَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّفَّارِ، قال: أنبأَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الدَّقِيقِيُّ، قال: حدثنا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، قال: حدثنَا وَرْقَاءُ، عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنِّي لَسْتُ أَخَافُ عَلَيْكُمْ فِيمَا لَا تَعْلَمُونَ، وَلَكِنِ انْظُرُوا كيف تَعْمَلُونَ فِيمَا تَعْلَمُونَ.

نعم، تقدم وفي الإسناد كما تقدم يحيىٰ بن عبيد الله.

٥٣- أَخْبَرَنَا أَبُو الْفَتْحِ هِلَالُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ الْحَفَّارِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو عَلِيٍّ إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الصَّفَّارِ، قال: حدثنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَنْصُورٍ الْحَارِثِيُّ، قال: حدثنا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو الْفَتْحِ هِلَالُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ، أَخْبَرَنَا حَرِيزُ بْنُ عُثْمَانَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَوْفٍ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: إِنَّمَا أَخَافُ أَنْ يَكُونَ، أَوَّلَ مَا يَسْأَلُنِي عَنْهُ رَبِّي أَنْ يَقُولَ: قَدْ عَلِمْتَ فَمَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ.

٥٤- أَخْبَرَنَا الْحَسَنُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، قَالَ: أخبرَنَا دَعْلَجُ بْنُ أَحْمَدَ، قَالَ: أخبرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ، قال: حدثنا سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ، قال: حدثنا الْحَارِثُ بْنُ عُبَيْدٍ الْإِيَادِيُّ، قال: حدثنا مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ، قَالَ: قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَىٰ نَفْسِي أَنْ يُقَالَ لِي: يَا عُوَيْمِرُ، هَلْ عَلِمْتَ؟ فَأَقُولُ: نَعَمْ فَيُقَالُ لِي: فَمَاذَا

عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ.

٥٥- قال: أَخْبَرَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَسْنَوَيْهِ الْأَصْبَهَانِيُّ، قَالَ: حدثنا أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيُّ، قَالَ: حدثنا عِمْرَانُ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ، قال: حدثنا الْحُسَيْنُ بْنُ حَفْصٍ، قَالَ: سَمِعْتُ سُفْيَانَ، يَقُولُ: قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إِنِّي لَسْتُ أَخْشَىٰ أَنْ يُقَالَ لِي: يَا عُوَيْمِرُ مَاذَا عَلِمْتَ؟ وَلَكِنِّي أَخْشَىٰ أَنْ يُقَالَ: يَا عُوَيْمِرُ مَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ.

نعم، هذا الأثر عن أبي الرداء، وقد رواه عنه رَحِمَهُ اللهُ من طرق، وهو ثابت عنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وفيه إشفاقه وخوفه علىٰ نفسه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن يقال له: (يا عويمر هل علمت؟ فأقول: نعم، فيقال لي: فماذا عملت فيما علمت!؟) وهذا إشفاق مما تقدم معنا في أنّ المرء يُسأل يوم القيامة «عن علمه ماذا عمل به»، وإشفاقه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ناشئ من حال الكُمَّل من أهل الإيمان، الذين جمع الله لهم بين حُسن العمل والمخافة والشفقة علىٰ أنفسهم من ألا تُقبل منهم أعمالهم، كما قال الله عن المؤمنين الكُمَّل ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [المؤمنون]، أي: خائفة، قلوبهم خائفة ألا تُقبل منهم أعمالهم، هذا معنىٰ الآية، ولهذا قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ: **إنّ المؤمن جمع بين إحسان ومخافة، والمنافق جمع بين إساءة وأمن.** فانظر حال الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وأرضاهم، مع حسن العمل الذي أكرمهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ به عندهم هذا الخوف، فجمعوا بين الإحسان والمخافة، الإحسان في العمل والمخافة ألا تقبل أعمالهم، وهذا حال المؤمنين الكُمَّل، وأما من ليست حاله كذلك فإنه عنده إساءة في العمل، وفي الوقت نفسه عنده أمن! يُسيء في العمل ويأمن من مكر الله وعقوبة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وإذا كان أبو الدَّرداء وأمثاله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وأرضاه من الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ هذه حالهم، يقول رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أخاف أن يُقال لي ماذا عملت بما علمت؟ فماذا يقول المفرط المقصر!؟

وإذا دخلنا في شيء من التفصيل، حتىٰ في حال بعض طلبة العلم، في باب الفرائض واجبات الدين العظيمة، ماذا يقول هذا الذي ينام عن صلاة الفجر في الأسبوع مرة أو مرتين أو ثلاث؟ وكذلك في واجبات الدين الأخرىٰ؟ هل أعد لهذه المسألة جوابًا!؟ فهو واقفٌ بين يدي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وسائله، والحال أنه قرأ عن الصلاة، وعن فضلها، وعن وجوبها، وعن فرضيتها، وعن المحافظة عليها في أوقاتها، وعن عقوبة السهو عنها والتفريط فيها... عنده علم بذلك، فماذا أعدّ جوابًا علىٰ سؤال الله له يوم القيامة عن علمه ماذا عمل به!؟

وإذا قيل: عن علمه ماذا عمل به، تأمل في تفاصيل هذه الكلمة، علمت بالصلاة ومكانتها، علمت بالواجبات الدينية ومنزلتها، علمت بالعقوبات التي أعدها الله للمتهاون بها، علمت أيضًا بحرمة الآثام وخطورة المعاصي والكبائر، علمت فماذا عملت؟ فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ سائلك عن ذلك، فأعِدَّ للمسألة جوابًا، وليكن الجواب صوابًا،

والتوفيق بيد الله جلَّ في علاه لا شريك له.

٥٦- أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ رِزْقٍ، وَالْحَسَنُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، قَالَا: أخبرنَا أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ أَيُّوبَ الْعَبَّادَانِيُّ، قَالَ: أَخبرنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الدَّقِيقِيُّ، قال: حدثنا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُوسَىٰ، قَالَ: حدثنا أَبُو بِشْرٍ الْحَلَبِيُّ، عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: **لَيْسَ الْإِيمَانُ بِالتَّحَلِّي وَلَا بِالتَّمَنِّي، وَلَكِنْ مَا وَقَرَ فِي الْقُلُوبِ وَصَدَّقَتْهُ الْأَعْمَالُ، مَنْ قَالَ حَسَنًا وَعَمِلَ غَيْرَ صَالِحٍ رَدَّهُ اللهُ عَلَىٰ قَوْلِهِ، وَمَنْ قَالَ حَسَنًا وَعَمِلَ صَالِحًا رَفَعَهُ الْعَمَلُ، وَذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يَقُولُ:** ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠].

ثم أورد هذا الأثر العظيم عن الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ، قال: (ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني، ولكن ما وقر في القلوب صدقته الأعمال)، فالإيمان ليس مجرد تحلِّي، ومجرد أمور يتظاهر بها المرء، ليس مجرد أمور يتظاهر بها المرء، وليس أيضًا مجرد تمني بالكلام وباللسان، أتمنىٰ أن أكون من أولياء الله، أتمنىٰ أن أكون من أهل الجنة، أتمنىٰ ألا أدخل النار ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء:١٢٣]، ليس الإيمان بالتمني؛ مجرد كلام، ولا بالتحلي؛ مجرد تظاهر بأمور ونحو ذلك، ولكن الإيمان حقيقته ما وقر في القلب وصدّقته الأعمال، ما وقر في القلب من تصديقٍ وإقرارٍ وخشية ومحبة وغير ذلك، وصدّقته الأعمال طاعة وذُلًّا وخضوعًا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وإذا صلح القلب بالإيمان استقامت الجوارح به تبعًا للقلب، فإنّ الجوارح لا يمكن أن تتخلَّف عن مرادات القلوب، كما قال عليه الصلاة والسلام: «**ألا إنا في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**» [متفق عليه]، فالإيمان ما وقر في القلب وصدَّقته الأعمال، معنىٰ صدقته الأعمال أي: كانت برهانًا علىٰ صدقه، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح عن الصلاة قال: «**من حافظ عليها كانت له نورًا وبرهانًا ونجاةً يوم القيامة**» [ذكر تصحيحه في صحيح ابن حبان، ولكن الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ ضعفه]، أي برهانًا علىٰ صدقه في إيمانه في محافظته علىٰ الصلاة وعنايته بهذه الفريضة، فإنّ المحافظة عليها برهان علىٰ صدق المرء في إيمانه، وصدقه في تقواه بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وأثر الحسن هذا يدلُّ علىٰ أنّ الأعمال تسمىٰ تصديقًا، فليس التصديق بالقلب، حتىٰ بالجوارح، الجوارح تصدّق، وفعل الجوارح يكون تصديقًا سواء في الخير أو في الشر، معنىٰ تصديق؛ أي: أنها تصديقًا لما قام في القلب، إما من خير أو من شر، ومن الشواهد علىٰ ذلك قول النبي عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ علَىٰ ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزِّنىٰ، أدْرَكَ ذلكَ لا مَحالَةَ، فَزِنىٰ العَيْنِ النَّظَرُ، وزِنىٰ اللِّسانِ المَنْطِقُ، والنَّفْسُ تَمَنَّىٰ وتَشْتَهِي، والفَرْجُ يُصَدِّقُ ذلكَ كُلَّهُ ويُكَذِّبُهُ**» [متفق عليه، وذكره الشيخ بألفاظ مختلفة قليلا]. فسمىٰ فعل الفرج تصديقًا

«**يصدق ذلك أو يكذبه**»، فالإيمان حقيقته ما وقر في القلب وصدقته الأعمال، بأن يكون ممتثلًا ملتزمًا بطاعة الله ﷻ.

قال: (من قال حسنًا وعمل غير صالح، من قال حسنًا): أي قولًا حسنًا، (وعمل غير صالح، ردّه الله علىٰ قوله)، كذا ذكرها رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ، وأيضًا في بعض المصادر بهذا اللفظ، ووجدتها عند شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في بعض كتبه بلفظ: **رد الله عليه قوله**، وهو أوضح، **رد الله عليه قوله**، (فمن قال حسنًا وعمل غير صالح) **رد الله عليه قوله**، كما في الآية التي ساقها رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾، فإذا لم يوجد عمل صالح يؤيد القول، ردّ الله علىٰ القائل قوله، (ومن قال حسنًا، وعمل صالحًا، رفعه العمل، وذلك بأن الله تعالىٰ يقول: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾).

❀❀◈❀❀

٥٧- أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْقَزْوِينِيُّ، قَالَ: أَخبرنَا عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَلَمَةَ الْقَطَّانُ، قال: حدثنا أَبُو حَاتِمٍ الرَّازِيُّ، قَالَ: حدثنا أَبُو عُمَرَ الْحَوْضِيُّ، قال: حدثنا الْمُبَارَكُ بْنُ فَضَالَةَ، عَنِ الْحَسَنِ: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ [الإسراء:١٣] **قَالَ: عَمَلَهُ.**

الشيخ: المبارك بن فَضالة، هي مضمومة عندكم؟

قال عن الحسن ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ قال: طائره أي: (عمله)، ﴿أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ﴾ أي: ألزمناه عمله، بمعنىٰ أنّ عمل المرء من خير أو شر ملازم له، لا ينفك عنه حتىٰ يلقىٰ الله به، ويحاسبه الله تبارك وتعالىٰ عليه، ﴿أَلْزَمْنَٰهُ﴾ أي: ملازم له لا ينفك عنه، إلىٰ أن يلقىٰ الله ﷻ ويحاسبه علىٰ عمله.

❀❀◈❀❀

٥٨- أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ رِزْقٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْعَبَّادَانِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَرْبٍ الْعَبَّادَانِيُّ، بِعَبَادَانَ قَالَ: سَمِعْتُ بِشْرَ بْنَ الْحَارِثِ يَقُولُ: **إِنَّمَا فَضْلُ الْعِلْمِ الْعَمَلُ بِهِ، ثُمَّ يُرْتَقَىٰ بِهِ.**

نعم، إنما فضل العلم العمل به، ثم يرتقي به، ففضل العلم إنما هو بالعمل، وأما إذا كان علم بلا عمل فإن ذلك لا يُوجب رفعة للمرء، وإنما الرفعة والإرتقاء الذي يُنال بالعلم إنما يكون بالعمل به ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة:١١].

❀❀◈❀❀

٥٩- أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْحُسَيْنِ الْخَفَّافُ، قال: حدثنا أَبُو طَالِبٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ الْبُهْلُولِ الْقَاضِي، قال: حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ حَمْدَوَيْهِ الْحَرْبِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ يَعْقُوبَ بْنَ

شَوَّالٍ، يَقُولُ: سَمِعْتُ بِشْرَ بْنَ الْحَارِثِ، يَقُولُ: الْعِلْمُ حَسَنٌ لِمَنْ عَمِلَ بِهِ، وَمَنْ لَمْ يَعْمَلْ مَا أَضَرَّهُ! وَقَالَ: هَذِهِ حُجَجٌ أَوْ قَالَ هَذِهِ حُجَّةٌ، يَعْنِي: عَلَى مَنْ عَلِمَ.

قال: (العلم حسن لمن عمل به)، لأنه انتفع بعلمه، وأما إذا لم يعمل به كان علمه حجة عليه، ولهذا قال: (ومن لم يعمل به ما أضره!) من جهة أن علمه أصبح حجة عليه، وكما أن الله ﷻ يرفع بالعلم أقواما، وهم من يوفقهم للعمل به، فإنه يضع آخرين وهم من يفرطون في العمل بالعلم، كما قال عليه الصلاة والسلام: «**إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع به آخرين**» [صحيح مسلم، ذكره الشيخ باختلاف بسيط].

❀❀◈❀❀

٦٠- أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ رِزْقَوَيْهِ، أَخْبَرَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ نُصَيْرٍ الْخُلْدِيُّ، قال: حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْحَضْرَمِيُّ، قال: حدثنا عَبَّاسٌ الْعَنْبَرِيُّ، حَدَّثَنِي عَبْدُ الصَّمَدِ، قَالَ: سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ عُطَارِدٍ، وَكَانَ بَكَىٰ حَتَّىٰ بَرِحَ، قَالَ: قَالَ عِيسَىٰ بْنُ مَرْيَمَ عليه الصلاة والسلام: **إِلَىٰ مَتَىٰ تَصِفُونَ الطَّرِيقَ إِلَىٰ الدَّالِجِينَ! وَأَنْتُمْ مُقِيمُونَ مَعَ الْمُتَحَيِّرِينَ؟ إِنَّمَا يُبْتَغَىٰ مِنَ الْعِلْمِ الْقَلِيلُ، وَمِنَ الْعَمَلِ الْكَثِيرُ.**

يعني هذا حال من عنده علم ويستحث الناس علىٰ العمل ولا يعمل، فيصف الطريق إلىٰ الدالجين يعني إلىٰ السائرين، وهو مقيم مع المتحيرين، وهذه حال من لم ينتفع هو بعلمه وينتفع الناس بعلمه، ويكون غيره أسعد بعلمه منه، لأن غيره ينتفع وهو الذي دلهم إلىٰ الطريق لم ينتفع.

❀❀◈❀❀

٦١- حَدَّثَنِي الْعَلَاءُ بْنُ حَزْمٍ الْأَنْدَلُسِيُّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ بَقَاءٍ الْمِصْرِيُّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا جَدِّي عَبْدُ الْغَنِيِّ بْنُ سَعِيدٍ الْأَزْدِيُّ، قال: حدثنا عَبْدُ اللهِ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الْوَرْدِ، قال: حدثنا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ أَحْمَدَ بْنِ شَبُّوَيْهِ الْمَرْوَزِيَّ، يَحْكِي عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ حَفْصَ بْنَ حُمَيْدٍ يَقُولُ: دَخَلْتُ عَلَى دَاوُدَ الطَّائِيِّ أَسْأَلُهُ عَنْ مَسْأَلَةٍ، وَكَانَ كَرِيمًا فَقَالَ: أَرَأَيْتَ الْمُحَارِبَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَلْقَىٰ الْحَرْبَ، أَلَيْسَ يَجْمَعُ آلَتَهُ، فَإِذَا أَفْنَىٰ عُمُرَهُ فِي الْآلَةِ فَمَتَىٰ يُحَارِبُ، إِنَّ الْعِلْمَ آلَةُ الْعَمَلِ، فَإِذَا أَفْنَىٰ عُمُرَهُ فِي جَمْعِهِ فَمَتَىٰ يَعْمَلُ؟

(إذا أفنىٰ عمره في جمع) الآلة (فمتىٰ يعمل!؟) فالعلم مقصوده العمل، فإذا استمر يعتني بالعلم ولا يعمل، فمتىٰ يعمل!؟ ومن كانت هذه حاله كحال من يجمع الآلة آلة الحرب ولكنه لا ينتفع بها ولا يستفيد منها، ومن يجمع العلم ولا يعمل به لا ينتفع به، حاله مثل حال الأول، الذي يجمع العلم ولا يعمل به لا ينتفع بعلمه، وإنما الذي ينتفع بالعلم من يعمل به، فإنه حينئذٍ يكون من أهله.

❀❀◈❀❀

٦٢- أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ التَّوَّزِيُّ، قَالَ: أخبرنا أَبُو عُمَرَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُوسَىٰ بْنِ الْعَلَّافِ، قال: حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ مَخْلَدٍ، قال: حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عُمَرَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عُبَيْدٍ الْقَاسِمَ بْنَ سَلَّامٍ، يَقُولُ: سَمِعَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ إِدْرِيسَ أَتَلَهَّفُ عَلَىٰ بَعْضِ الشُّيُوخِ فَقَالَ لِي: يَا أَبَا عُبَيْدٍ مَهْمَا فَاتَكَ مِنَ الْعِلْمِ، فَلَا يَفُوتَنَّكَ الْعَمَلُ.

نعم، يعني هذه وصية بالعناية بالعمل، وأن يحرص المرء عليه، وأن تكون من همته ورعايته وعنايته أن يعمل، (وقليل من هذا وقليل من هذا) خير من كثير من العلم دون أن يعمل به صاحبه.

❀❀◈❀❀

٦٣- أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عُثْمَانَ الصَّيْرَفِيُّ، قَالَ: أَخبرنا سَهْلُ بْنُ أَحْمَدَ الدِّيبَاجِيُّ، قال: حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ الْكُوفِيُّ، بِمِصْرَ، قال: حدثنا مُوسَىٰ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُوسَىٰ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: الزَّاهِدُ عِنْدَنَا مَنْ عَلِمَ فَعَمِلَ، وَمَنْ أَيْقَنَ فَحَذَرَ، فَإِنْ أَمْسَىٰ عَلَىٰ عُسْرٍ حَمِدَ اللهَ، وَإِنْ أَصْبَحَ عَلَىٰ يُسْرٍ شَكَرَ اللهَ، فَهَذَا هُوَ الزَّاهِدُ.

يعني ختم هذا الباب بهذا الأثر عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والإسناد فيه إلىٰ علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: (الزاهد عندنا من علِم فعَمِل، ومن أيقن فحذِر)، مر معنا أثر قريبا جُمع فيه بين العلم واليقين ما هو؟ مر معنا أثر عن الحسن ما هو الأثر؟ ماذا قال؟ (العلم ما استعملك، واليقين ما حملك)، فهنا يقول: (الزاهد عندنا من علم فعمل)، يعني استعمل العلم، (ومن أيقن فحذر)، يعني أنّ يقينه يحمله علىٰ الحذر من الأمور التي تقطعه في السير وتبعده عن الله تَعَالَىٰ، وعن نيل رضاه.

(فإن أمسىٰ علىٰ عسر حمد الله، وإن أصبح علىٰ يسر شكر الله)، لأنّ المؤمن لا يزال في أيامه ولياليه بين نعمة ومصيبة، فإن كانت النعمة حمد المُنعم، وإن كانت المصيبة صبر، ولهذا يقول عليه الصلاة والسلام: «**عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له**» [صحيح مسلم، وفيه زيادة: وليس ذاك لأحد إلا المؤمن]، وذلك لا يكون إلا للمؤمن، فالمؤمن فائز في سرائه وضرائه، لأنه في ضرائه يفوز بثواب الصابرين، وفي سرائه يفوز بثواب الشاكرين.

وبهذا الأثر ختم رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ هذا الباب، وبه أيضًا نختم مجلسنا هذا، ولعل الله تبارك وتعالىٰ يُيسر لنا في وقت لاحق إن شاء الله تعالىٰ مجلسًا آخر نُكمل فيه هذه الرسالة النافعة للإمام الخطيب البغدادي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ.

ونسأل الله الكريم رب العرش العظيم بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العليا أن ينفعنا أجمعين بما علّمنا، وأن يزيدنا علمًا، وأن يصلح لنا شأننا كله، وألا يكلنا إلىٰ أنفسنا طرفة عين، اللّٰهُمَّ أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل

خير، والموت راحة لنا من كل شر، اللّٰهُمَّ إنا نسألك الثبات في الأمر، والعزيمة علىٰ الرشد، ونسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، ونسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، ونسألك قلبًا سليمًا، ولسانًا صادقًا، ونسألك من خير ما تعلم، ونعوذ بك من شر ما تعلم، ونستغفرك لما تعلم، إنك أنت علام الغيوب، اللّٰهُمَّ اغفر لنا ولوالدينا ولمشايخنا وولاة أمرنا وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات، اللّٰهُمَّ آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللّٰهُمَّ إنا نسألك الهدىٰ والتقىٰ والعفة والغنىٰ، اللّٰهُمَّ إنا نسألك علمًا نافعًا، ورزقًا طيبًا، وعملًا متقبلًا، اللّٰهُمَّ انفعنا بما علمتنا، اللّٰهُمَّ علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علمًا، وأصلح لنا شأننا كله، ولا تكلنا إلىٰ أنفسنا طرفة عين، اللّٰهُمَّ اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا، اللّٰهُمَّ متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا علىٰ من ظلمنا، وانصرنا علىٰ من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا، سبحانك اللّٰهُمَّ وبحمدك، أشهد ألا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، اللّٰهُمَّ صلّ وسلم علىٰ عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه.

المجلس الثالث

١٤٣٥/ ٠٥/ ٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله صلىٰ الله وسلم عليه وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين.

اللّٰهُمَّ علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علمًا، وأصلح لنا شأننا كله، ولا تكلنا إلىٰ أنفسنا طرفة عين، اللّٰهُمَّ اجعل ما نتعلمه حجةً لنا لا علينا، يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام.

أما بعد.. فنستكمل ما بدأناه من قراءة في هذا الكتاب المبارك، كتاب «اقتضاء العلم العمل» للخطيب البغدادي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ، وهو كتاب عظيمٌ في بابه، نافعٌ غاية النفع لطالب العلم، لما حواه من نصوصٍ عظيمة وآثارٍ مباركة في هذا الباب العظيم باب «اقتضاء العلم العمل»، وأنّ العلم مقصوده العمل، وأنّ الواجب علىٰ من حباه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالعلم، ويسر له سبله، ووفقه لسلوك طريقه، أن يعمل بعلمه؛ لأنّ هذا مقصود العلم، ولهذا صنف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ هذا المصنف العظيم تنبيهًا علىٰ هذا الأمر، لا أن تكون غاية المرء من طلبه للعلم تحصيل شهرةٍ، أو اكتساب سمعةٍ، أو غير ذلك من الأغراض، فإنّ هذا كله من الخوارم للنية الصالحة، والعلم قربة إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وجميع القُرَب لابد فيها من إخلاصٍ للمعبود، ومتابعةٍ للرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه.

نواصل من حيث وقفنا في قراءتنا لهذا الكتاب، ونسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن ينفعنا أجمعين، وأن يجعل مجلسنا هذا حجةً لنا لا علينا، إنه سميعٌ قريب.

بابٌ في التغليظ علىٰ من ترك العمل بالعلم، وعدل إلىٰ ضده وخلاف مقتضاه في الحكم

٦٤- أَخْبَرَنَا الْحَسَنُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا حَامِدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْهَرَوِيُّ، قال: حدثنا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ وَهْبٍ، قال: حدثنا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعِيدٍ الْجَوْهَرِيُّ، قال: حدثنا أَبُو أَحْمَدَ الزُّبَيْرِيُّ، قال: حدثنا قَيْسُ بْنُ الرَّبِيعِ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِيمَا أَعْلَمُ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَيْلٌ لِمَنْ لَا يَعْلَمُ، وَوَيْلٌ لِمَنْ عَلِمَ ثُمَّ لَا يَعْمَلُ**»، ثَلَاثًا. [قال الألباني: إسناده ضعيف].

٦٥- أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ يَزْدَادَ الْقَارِئُ، قَالَ: أخبرنا عَبْدُ اللهِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الْأَصْبَهَانِيُّ، بِهَا، قال حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مَخْلَدٍ الْفَرْقَدِيُّ، قال حدثنا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَمْرٍو الْبَجَلِيُّ، قال حدثنا فَرَجُ بْنُ فَضَالَةَ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ الرَّبِيعِ مَوْلَىٰ الْعَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**وَيْلٌ لِمَنْ لَا يَعْلَمُ، وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَعَلَّمَهُ، وَوَيْلٌ لِمَنْ يَعْلَمُ وَلَا يَعْمَلُ، سَبْعَ مَرَّاتٍ**» [قال الألباني: إسناده ضعيف].

٦٦- وَأَخْبَرَنَا ابْنُ يَزْدَادَ، قَالَ :أخبرنا عَبْدُ اللهِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قال حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْفَرْقَدِيُّ، قال حدثنا إِسْمَاعِيلُ بْنُ زَكَرِيَّا، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ بُرْقَانَ، عَنْ مَيْمُونِ بْنِ مِهْرَانَ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِنَحْوِهِ.

٦٧- أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ رِزْقٍ، قَالَ :أخبرنا عُثْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ الدَّقَّاقُ، قال حدثنا حُسَيْنُ بْنُ أَبِي مَعْشَرٍ، قَالَ :أَخْبَرَنَا وَكِيعٌ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ بُرْقَانَ، عَنْ مَيْمُونِ بْنِ مِهْرَانَ، قَالَ: قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**وَيْلٌ لِلَّذِي لَا يَعْلَمُ، وَوَيْلٌ لِلَّذِي يَعْلَمُ وَلَا يَعْمَلُ، سَبْعَ مَرَّاتٍ**».

٦٨- أَخْبَرَنَا الْحَسَنُ بْنُ أَبِي بَكْرَ، قَالَ: أَخبرنا أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ صَوَّابٍ الطِّيبِيُّ،قال وَأخبرنَا الْقَاضِي أَبُو الْفَرَجِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ الشَّافِعِيُّ، قَالَ :أَخبرنَا أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ خَلَّادٍ، قَالَ :حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ الْقُرَشِيُّ، قال حدثنا عَبْدُ اللهِ بْنُ دَاوُدَ الْخُرَيْبِيُّ، قال حدثنا جَعْفَرُ بْنُ بُرْقَانَ، عَنْ مَيْمُونِ بْنِ مِهْرَانَ، قَالَ: قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **وَيْلٌ لِمَنْ لَا يَعْلَمُ وَلَا يَعْمَلُ مَرَّة، وَقَالَ ابْنُ خَلَّادٍ: وَوَيْلٌ لِمَنْ يَعْلَمُ وَلَا يَعْمَلُ مَرَّةً، وَوَيْلٌ لِمَنْ عَلِمَ وَلَمْ يَعْمَلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ.**

هذه الترجمة: (بابٌ في التغليظ علىٰ من ترك العمل بالعلم وعدل إلىٰ ضده وخلاف مقتضاه في الحكم)، عقدها رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ لسَوق الأدلة التي جاءت مشتملة علىٰ التهديد والوعيد لمن يتعلَّم ولا يعمل بما يتعلم، فيُصبح علمه حجةٌ عليه، لأنه عرف الحق، وهُدي إلىٰ الصَّواب، وعرف الطريق، ولكنه ترك العمل بالعلم الذي تعلمه، فعقد رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ هذه الترجمة لبيان الوعيد لمن كان كذلك، وكذلك الوعيد الشديد لمن عدل إلىٰ ضده وخلاف مقتضاه في العلم، فتراه علىٰ علم بحكم الله ودراية بشرع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لكنه إذا حكم أو قضىٰ حكم بغير العلم، بغير ما عرفه من شرع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ودينه، فهذا والأول جاء في حقهما نصوص فيها الوعيد الشديد والتهديد لمن كان كذلك.

وساق رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ في هذه الترجمة أحاديث عن حذيفة، وعن (سليمان بن الربيع مولىٰ العباس، وعن أبي الدرداء)، ولكن أسانيدها ضعيفة، فيها أنّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «وَيْلٌ لِمَنْ لَا يَعْلَمُ، وَوَيْلٌ لِمَنْ عَلِمَ ثُمَّ لَم يَعْمَلُ، ثَلَاثًا».

الأول: «ويلٌ لمن لا يعلم» أي: من فرّط في التفقه في الدين، ومعرفة ما أوجبه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عليه، لأنّ من العلم الشرعي ما هو فريضة علىٰ كل مسلم ومسلمة، يأثم المرء بترك تعلمه، وعدم التفقه فيه، فـ(ويلٌ لمن لا يعلم)، أي: من لا يعلم ما افترض الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عليه تعلُّمه، وهو معرفة فرائض الدين وواجباته، وما لا يتم واجب الدين إلا به، فمن فرّط في ذلك فله الوعيد.

وكذلك الوعيد الأشد لمن علِم ولم يعمل، فإنّ مقصود العلم العمل، فإذا علِم ولم يعمل قامت عليه

الحجة، وأصبح علمه الذي تعلمه حجةً عليه، ولهذا جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: «**والقرآن حجةٌ لك أو عليك**» [صحيح مسلم]، لك إن عملت به، وعليك إن فرَّطت في العمل بالقرآن، لأنّ القرآن أُنزل ليُعمل به، وسيأتي معنا آثار ساقها المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ بهذا المعنىٰ.

وقوله في هذا الحديث برواياته: «وَوَيْلٌ لِمَنْ عَلِمَ ثُمّ لَمْ يَعْمَلْ»، وَيْلٌ لَه، أي: لأنّ علمه قد صار حجةً عليه عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولهذا يُنقل عن سفيان بن عُيينة رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ أنه قال: أجهل الناس من لا يعمل بعلمه؛ لأنّ الأمر فيمن كان كذلك أشد ممن لا يعلم أصلًا، فمن علم وفرَّط في العمل الذي هو مقصود العلم، فالعقوبة في حقِّه أشد، لأنّ علمه بهذه الصفة صار حجةً عليه.

٦٩- أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ الْمُقْرِيُّ، قَالَ: أَنْبَأَنَا عَبْدُ الْبَاقِي بْنُ قَانِعٍ الْقَاضِي، قال: حدثنا الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْأَزْهَرِ، بِالْكُوفَةِ، قال: حدثنا عَبَّادُ بْنُ يَعْقُوبَ، قال: حدثنا أَبُو دَاوُدَ النَّخَعِيُّ، حدثنا عَلِيُّ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ الْغَطَفَانِيُّ، عَنْ سُلَيْكٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا عَلِمَ الْعَالِمُ وَلَمْ يَعْمَلْ، كَانَ كَالْمِصْبَاحِ يُضِيءُ لِلنَّاسِ وَيَحْرِقُ نَفْسَهُ». [قال الألباني: إسناده موضوع].

٧٠- أَخْبَرَنَا أَبُو نُعَيْمٍ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ إِسْحَاقَ الْحَافِظُ، بِأَصْبَهَانَ، قال: حدثنا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ فَارِسٍ، قَالَ: حدثنا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ الْعَبْدِيُّ، قال: حدثنا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ، قال: حدثنا عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ الْكَلْبِيُّ، قال: حدثنا الْأَعْمَشُ، عَنْ أَبِي تَمِيمَةَ، عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَثَلُ الْعَالِمِ الَّذِي يُعَلِّمُ النَّاسَ الْخَيْرَ وَيَنْسَىٰ نَفْسَهُ كَمَثَلِ السِّرَاجِ يُضِيءُ لِلنَّاسِ وَيَحْرِقُ نَفْسَهُ**» [صحيح الجامع].

٧١- أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ رِزْقٍ، قَالَ :أخبرنا الْحُسَيْنُ بْنُ أَيُّوبَ الْهَاشِمِيُّ، قَالَ: حدثنا مُوسَىٰ بْنُ عِيسَىٰ الْمِصِّيصِيُّ، حدثنا لُوَيْنٌ، قال وَأَخْبَرَنَا يُوسُفُ بْنُ رَبَاحِ بْنِ عَلِيٍّ الْبَصْرِيُّ، قال: أخبرنا الْقَاضِي أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ بُنْدَارٍ الْأَذَنِيُّ، حدثنا لُوَيْنٌ، قال وَأَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخَلَّالُ، قال حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ سُوَيْدٍ الْغُبَرِي، قَالَ أَنْبَأَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ دَاوُدَ التَّمِيمِيُّ، بِأَذَنَةَ، قَالَ: حَدَّثنا لُوَيْنٌ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ، قال حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ جَابِرٍ، عَنْ يُونُسَ بْنِ عُبَيْدٍ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ أَبِي بَرْزَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَثَلُ الَّذِي يُعَلِّمُ النَّاسَ الْخَيْرَ وَيَنْسَىٰ نَفْسَهُ، مِثْلُ الْفَتِيلَةِ تُضِيءُ لِلنَّاسِ وَتَحْرِقُ نَفْسَهَا**». وَاللَّفْظُ لِحَدِيثِ الْخَلَّالِ [قال الألباني: صحيح لغيره، وله سند أصح من هذا في «صحيح الجامع»].

هذه الأحاديث الثلاثة التي ساقها المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ كلها بمعنىٰ واحد، وهي صحيحة، ويشهد بعضها لبعض، ومعناها أيضاً معنىٰ عظيم جدًا في شأن العالم الذي يُعلم الناس الخير ثم هو في نفسه لا يعمل بهذا

الخير الذي يُعلمه للناس، فإنّ مثلَه كما جاء في هذا الحديث الصحيح عن نبينا عليه الصلاة والسلام كمثل المصباح، أو كمثل الفتيلة المتقدة نارًا، فإنها تُحرق نفسها وتضيء للآخرين، الآخرين يستفيدون ينتفعون بضوئها، لكنها هي تحرق نفسها، تُهلك نفسها، فهذا مثل للعالم الذي لا يعمل بعلمه، ويدعو الناس إلىٰ العمل، ويستحثهم علىٰ العمل.

وقد ذكر العلماء رحمهم الله تعالىٰ في ضوء هذا الحديث - وأيضًا أمثاله من الأحاديث في معناه وما قارب معناه - أنّ العلماء ثلاثة:

الأول: من يعمل علىٰ إنقاذ نفسه وإنقاذ الآخرين، يعمل علىٰ نجاة نفسه ونجاة الآخرين، فهذه همته في تحصيله للعلم وعنايته به، وانظروا هذا في قول وفد عبد القيس حينما أتوا النبي ﷺ قالوا: **مُرنا بقولٍ فصلٍ نخبر به من وراءَنا، وندخل به الجنة.** [صحيح البخاري ومسلم]، هذا هو القصد، إنقاذ الأنفس وإنقاذ الآخرين، **نخبر به مَن وراءنا**، أي ننقذ الناس من سخط الله وعقابه، **وندخل به الجنة**، أي ننقذ أنفسنا أيضا من سخط الله، ويكون تعلمنا سببًا لدخولنا للجنة. فهذا الصنف الأول، وهو خير العلماء، الذي يعمل علىٰ إنقاذ نفسه وإنقاذ الآخرين.

الصنف الثاني من العلماء: من يُهلك نفسه وغيره، وهذا ينطبق علىٰ دعاة الأهواء ودعاة البدع والضلالات، فهؤلاء بضلالاتهم وأهوائهم وبدعهم يهلكون أنفسهم ويهلكون معهم من يسلك طريقهم وينهج نهجهم.

والصنف الثالث من العلماء: من يهلك نفسه وينقذ غيره، يهلك نفسه؛ لأنه لم ينتفع بالعلم الذي تعلمه في نفسه، فلا يعمل به، ولا تنهض همته للعمل به؛ لكن الآخرين ينتفعون بعلمه، يسمعون منه علمًا ينتفعون به، فتراه مثلًا يحثُّهم علىٰ الصلاة ويرغِّبهم فيها، وهو كسول عن القيام بها، مفرِّطٌ في أدائها، ينام عن الصلاة والأخرىٰ مفرطًا مضيعًا، حتىٰ قال أحد الأشخاص: سمعتُ مرةً شخص يعض ويتكلم عن الإسلام والدين والصلاة، وكان كلامه مؤثر جدًّا، يقول فأعجبني كلامه وتأثرت به، فذهبت إلىٰ حيِّه، قلت: سأكون قريبًا منه حتىٰ أنتفع أكثر، فأتيت المسجد فما رأيته، ظننته مسافرًا، ثم أتيت الأخرىٰ، ثم سألت، فقال لي جماعة الحي: هذا من أكثر الناس المفرِّطين في الصلاة في حيّنا، من أكثرهم تفريطًا في الصلاة، فمثل هذا الصنف من الناس يُهلك نفسه وينقذ الآخرين، وهو من ينطبق عليه هذا الحديث، الصنف الثالث هو من ينطبق عليه هذا الحديث بألفاظه التي ساقها المصنِّف، قال: (إذا علم العالم ولم يعمل، كان كالمصباح يضيئ للناس)، يعني ينقذ الآخرين من الهلاك، (يضيئ للناس ويحرق نفسه)، يعني يهلك نفسه، لأنه لم ينتفع بالعلم الذي تعلمه.

ولهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ: ولهذا كان من أحسن الدعاء: **اللَّهُمَّ لا تجعلني عبرةً**

لغيري، ولا تجعل أحدًا أسعد بما علمتني مني. وقد وقفت علىٰ هذه الدعوة في كتاب «الزهد» للإمام أحمد مرويةً عن مطرِّف بن عبد الله بن الشِّخّير رَحِمَهُ اللَّهُ، وهي دعوة عظيمة جدًا، والشاهد منها قوله رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا الدعاء: ولا تجعل أحدًا أسعد بما علمتني مني.

متىٰ يكون غيرك أسعد بعلمك منك؟ إذا كان يستمع إلىٰ علمك ثم يبادر إلىٰ العمل، وأنت يا من أسمعته هذا العلم لا تعمل، فيكون هو أسعد بالعلم الذي تعلَّمه منك أسعد منك به، وهو إنما تعلمه منك، وإنما عرفه من طريقك، إلا أنه أسعد به منك، ولهذا كانت هذه الدعوة دعوة عظيمة: ولا تجعل أحدًا أسعد بما علمتني منِّي.

٧٢- أَخْبَرَنَا الْحَسَنُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، قَالَ :أَخْبَرَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الطَّسْتِيُّ، قال: حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ الْمَعْرُوفُ بِأَبِي الْعَيْنَاءِ، قَالَ: حدثنا أَبُو عَاصِمٍ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: اطَّلَعَ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ عَلَىٰ قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَقَالُوا: بِمَا دَخَلْتُمُ النَّارَ؟ وَإِنَّمَا دَخَلْنَا الْجَنَّةَ بِتَعْلِيمِكُمْ؟ قَالُوا: إِنَّا كُنَّا نَأْمُرُكُمْ وَلَا نَفْعَلُ. [قال الألباني: إسناده ضعيف].

٧٣- أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ الْأَصْبَهَانِيُّ، بِهَا، قال: حدثنا أَبُو الْقَاسِمِ سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَيُّوبَ الطَّبَرَانِيُّ، قال: حدثنا أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَىٰ بْنِ خَالِدِ بْنِ حَيَّانَ الْعَرَّقِيُّ، قال: حدثنا زُهَيْرُ بْنُ عَبَّادٍ، قال حدثنا أَبُو بَكْرٍ الدَّاهِرِيُّ عَبْدُ اللهِ بْنُ حَكِيمٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ أُنَاسًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَطَلَّعُونَ إِلَىٰ أُنَاسٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيَقُولُونَ: بِمَ دَخَلْتُمُ النَّارَ؟ فَوَاللهِ مَا دَخَلْنَا الْجَنَّةَ إِلَّا بِمَا تَعَلَّمْنَا مِنْكُمْ! فَيَقُولُونَ: إِنَّا كُنَّا نَقُولُ وَلَا نَفْعَلُ**» [قال الألباني: ضعيف]. قَالَ سُلَيْمَانُ: لَمْ يَرْوِهِ عَنْ أَبِي خَالِدٍ إِلَّا أَبُو بَكْرٍ الدَّاهِرِيُّ، تَفَرَّدَ بِهِ زُهَيْر.

هذا الحديث إسناده - كما بين الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ، الشيخ الألباني - إسناده ضعيف، لكن يشهد لصحة معناه الحديث الآتي وهو في صحيح مسلم، وفي هذا الحديث أنّ قومًا من أهل الجنة يطَّلعون (علىٰ قومٍ من أهل النار، فقالوا: بما دخلتم النار؟ وإنما دخلنا الجنة بتعليمكم!؟ قالوا: إنا كنا نأمركم ولا نفعل). وهذا مر في الصنف الثالث من العلماء، من ينقذ غيره ويهلك نفسه، ينقذ غيره بتعليمهم، دعوتهم، نصحهم، توجيههم...، فينتفعون ويتوبون، يقبلون علىٰ الطاعات، لكنه يهلك نفسه لأنه لا يعمل، يأمر الناس بالبر ولا يفعله ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [البقرة:٤٤]، فهذا الصنف يطَّلع أهل الجنة الذين كان هؤلاء سببًا في دخولهم الجنة بتعليمهم ودعوتهم، يطَّلعون إلىٰ النار فيرون من كان يدعونهم إلىٰ الجنة يرونهم في النار، فيسألونهم، (قالوا: إنا كنا نأمركم ولا نفعل).

٧٤- أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَفْصٍ الْمُقْرِيُّ، قال: حدثنا أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ الْفَضْلِ، بِالْمَوْصِلِ، قال: حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي الْمُثَنَّى، قال: حدثنا مُحَاضِرُ بْنُ الْمُوَرِّعِ، قال: حدثنا الْأَعْمَشُ، عَنْ شَقِيقِ بْنِ سَلَمَةَ، قَال: قِيلَ لِأُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ: أَلَا تَدْخُلُ عَلَىٰ عُثْمَانَ فَتُكَلِّمَهُ؟ فَقَالَ: إِنَّكُمْ تَرَوْنَ أَنِّي لَا أُكَلِّمُهُ إِلَّا أَسْمَعْتُكُمْ!؟ لَقَدْ كَلَّمْتُهُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ دُونَ أَنْ أَفْتَحَ أَمْرًا لَا أَحَبُّ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ فَتَحَهُ، وَلَا أَقُولُ لِرَجُلٍ إِنَّكَ خَيْرُ النَّاسِ، وَإِنْ كَانَ عَلَيَّ أَمِيرًا، بَعْدَ أَنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ، قَالَ: وَمَا سَمِعْتُهُ يَقُولُ؟ قَالَ: قَالَ: «يُؤْتَىٰ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَىٰ فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ، فَيُقَالُ: أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَىٰ عَنِ الْمُنْكَرِ!؟ قَالَ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا أَفْعَلُهُ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ» [صحيح البخاري ومسلم].

أورد رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ هذا الحديث وهو مخرّجَ في الصحيحين، وفي أوله قصه فيها فائدة، أنّ (شقيق بن سلمه قال: قيل لأسامه بن زيد: ألا تدخل علىٰ عثمان فتكلمه؟ فقال إنكم ترون أني لا أكلمه إلا أسمعتكم!؟ لقد كلمته فيما بيني بينه). وهذا فيه العمل بالسنة في وعظ السلطان ونصحه، أن يكون سرًّا بين الناصح أو العالم وبين السلطان، يأتيه ويأخذ بيده وينصحه سرًّا، ثم أيضًا إذا نصحه لا يخبر الناس، وإنما يبقىٰ سرًّا نصيحة بينه وبين السلطان، لا أن ينصحه سرًّا ثم يعلن ذلك علىٰ الملأ، ولهذا قال رَحِمَهُ اللهُ: (إنكم ترون أني لا أكلمه إلا أسمعتكم!؟ لقد كلمته فيما بيني وبينه، دون أن أفتح أمرًا لا أحب أن أكون أول من فتحه). والمراد بهذا الأمر باب الفتنة، وهو الإنكار العلني علىٰ ولاة الأمر، مما يسبب افتياتًا عليهم وتأليبًا للعامة والغوغاء علىٰ السلطان وولي الأمر.

قال: (ولا أقول لرجل: إنك خير الناس، وإن كان عليّ أميرًا، بعد أن سمعت رسول الله ﷺ يقول، قال: وما سمعته يقول!؟) ثم ذكر الحديث. هنا فيه تنبيه علىٰ أمرٍ مهم، وهو البعد عن التزكية ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ٣٢﴾ [النجم]، فمهما رأيت في الشخص من الصلاح والاستقامة فلا تزكه، الله أعلم بالسرائر والقلوب، لا تقل فلان لا أعلم مثله، أو هو خير الناس، أو أفضلهم... أو نحو ذلك؛ لكن إن علمته علىٰ قدرٍ عظيم من الصلاح قل: أحسبه كذا والله حسيبه، قل: لا نزكي علىٰ الله أحدًا، ولهذا قد يكون الإنسان يبلي بلاءً حسنًا فيما يَظهر للناس، في باب العلم، أو باب الجهاد، يكون منه نكاية شديدة في الأعداء كما في القصة المعروفة في غزوة خيبر، لمَّا رأوا الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ رجلًا أبلىٰ بلاءً عظيمًا في النكال بالكفار، قالوا: **هو من أهل الجنة**، قال النبي ﷺ هو: «**من أهل النار**» [متفق عليه].

فالإنسان إذا رأىٰ من الرجل بلاءً حسنًا عظيمًا، سواء في الجهاد في سبيل الله، أو في الدعوة إلىٰ الله، أو في تعليم الناس العلم... لا يزكي من كان كذلك، لكن يقول: نحسبه من العلماء، نحسبه من المجاهدين، نحسبه

من الدعاة النَّاصحين...، لكن لا يقطع بتزكيته، ولا يجزم بخيريته وفضله، ولهذا قال: (لا أقول) في أحدٍ من الناس هو (خير الناس) بعد شيء سمعته من (رسول الله ﷺ)، قيل ما هو؟ قال: (**يؤتىٰ بالرجل يوم القيامة فيُلقىٰ في النار، فتندلق أقتابه**)، أي: تَنْصَبّ أقتابه، وأقتابه أي أمعائه، تنصب وتخرج من دبره، فيُقال: (**أليس كنت تأمر بالمعروف وتنهىٰ عن المنكر!؟**) يعني معروف بين هؤلاء أهل الجنة، وأيضًا معروف بين العصاة، كانوا يسمعونه ينصح ويعظ ويذكِّر، فيقولون له: (**أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهىٰ عن المنكر؟ قال: كنت آمركم بالمعروف ولا أفعله، وأنهاكم عن المنكر وآتيه.**) وهذا يدل علىٰ الخطورة العظيمة لمن كانت هذه حاله والعياذ بالله، غير منتفع بعلمه، ينقذ الناس بدعوته وأمر بمعروف ونهي عن منكر، ويهلك نفسه بعدم عمله بعلمه.

٧٥- أَخْبَرَنَا أَبُو سَعِيدٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَىٰ بْنِ الْفَضْلِ الصَّيْرَفِيُّ، قال: حدثنا أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ الْأَصَمُّ، قال: حدثنا يَحْيَىٰ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ عَطَاءٍ، قَالَ: أخبرنا أَبُو سَلَمَةَ، عَنْ مَنْصُورِ بْنِ زَاذَانَ، قَالَ: **نُبِّئْتُ أَنَّ بَعْضَ مَنْ يُلْقَىٰ فِي النَّارِ لَيَتَأَذَّىٰ أَهْلُ النَّارِ بِرِيحِهِ، فَيُقَالُ لَهُ: وَيْلُكَ! مَا كُنْتَ تَعْمَلُ؟ مَا يَكْفِينَا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنَ الشَّرِّ حَتَّىٰ ابْتُلِينَا بِكَ وَنَتْنِ رِيحِكَ؟ قَالَ: فَيَقُولُ إِنِّي كُنْتُ عَالِمًا، فَلَمْ أَنْتَفِعْ بِعِلْمِي.**

٧٦- أَخْبَرَنِي أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ عَلَّانَ الْوَرَّاقُ، قَالَ: أَنْبَأَنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ الْحُسَيْنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّفَّارُ الْهَرَوِيُّ، قَالَ :أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْوَكِيلُ، قال حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ مَحْمُودٍ السَّمَرْقَنْدِيُّ، قَالَ: وَسَمِعْتُهُ يَعْنِي يَحْيَىٰ بْنَ مُعَاذٍ الرَّازِيَّ يَقُولُ: **مِسْكِينٌ مَنْ كَانَ عِلْمُهُ حَجِيجَهُ، وَلِسَانُهُ خَصِيمَهُ، وَفَهْمُهُ الْقَاطِعُ بِعُذْرِهِ.**

هذا أثر يُروىٰ عن (يحيىٰ بن معاذ الرازي) رَحِمَهُ اللَّهُ (يقول: مسكين من كان علمه حجيجه)، يعني علمه حجة عليه وخصمًا له، وذلك لكونه لم يعمل به، تعلم ولم يعمل بعلمه، فكان بذلك علمه حجيجه أي خصيمه، (ولسانه خصيمه)، لأنّ اللسان يشهد علىٰ صاحبه ويكون خصمًا لصاحبه ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ﴾ [النور:٢٤]، فاللسان يكون خصما لصاحبه، إذا كان هذا اللسان ينطق بالدعوة والنصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر...، ثم لا يعمل صاحب هذا اللسان بهذا الذي ينطق به، يصبح لسانه خصيمه يوم القيامة، لأنه يشهد عليه.

قال: (وفهمه القاطع بعذره)، هكذا هنا، وهو في «صفة الصفوة» لابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ بلفظ: (**وفهمه القاطع لعذره**)، وبهذا يستقيم المعنىٰ، (**وفهمه القاطع لعذره**)، يعني لا حجة له، لا عذر له، عنده فهم، قامت

عليه الحجة، بلغه الحكم، عرف.. لا عذر له، لأنّه عنده فهم، (**وفهمه القاطع لعذره**)، يعني لم يبق له عذر، لأنه عنده فهم يفهم وعرف، لكنه هذا الذي عرفه وفهمه لا يعمل به، فيصبح (**فهمه قاطعٌ لعذره**)، يعني لا عذر له.

٧٧- قِيلَ لِبَعْضِهِمْ: أَلَا تَطْلُبُ الْعِلْمَ؟ فَقَالَ: خُصُومِي مِنَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ فَلَا أَزْدَادُ.

(قيل لبعضهم: ألا تطلب العلم؟ قال: خصومي من العلم كثير)، يعني تعلمت أشياء كثيرة، ويكون قد أحسّ من نفسه تفريطًا في العمل بهذا الذي تعلمه، فـ(قال: خصومي من العلم كثير)، وسيأتي هذا المعنىٰ في أثرٍ يأتي عن أم المؤمنين عائشة، لأنّ من يستكثر من العلم ولا يعمل يُكثر من خصومه، يكثر من حجج الله ﷻ عليه.

٧٨- أنا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ الْمُجَهِّزُ، قال: حدثنا أَبُو الْفَضْلِ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الزُّهْرِيُّ، مِنْ لَفْظِهِ إِمْلَاءً، قال حدثنا إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَيُّوبَ الْمُخَرِّمِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ سَرِيَّ بْنَ الْمُغَلِّسِ السَّقَطِيَّ يَقُولُ: كُلَّمَا ازْدَدْتَ عِلْمًا كَانَتِ الْحُجَّةُ عَلَيْكَ أَوْكَدَ.

نعم، هذا الأثر يقول: (كلما ازددتَ علمًا كانت الحجة عليك أوكد)، لأنّ فهمك وتعلمك كما تقدم في الأثر الذي قبله قاطع للعذر، قاطع للعذر أن يقول: ما فهمت! ما عرفت! ما علمت! فكلما ازداد المرء علمًا كانت الحجة عليه أوكد.

وهذه الآثار التي مرت ولها نظائر ليس المراد منها التزهيد في العلم والقطع عن طلبه والاستكثار منه، فإنّ طلب العلم والازدياد منه مطلوب ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ۝١١٤﴾ [طه]، ولكن في الوقت نفسه مطلوب مجاهدة النفس علىٰ العمل، ولهذا ينبغي أن يمضي المرء في كل أيامه بتوازن بين هذين الأمرين، ولهذا كان نبينا عليه الصلاة والسلام يقول كل يوم بعد أن يصلي الصبح بعد أن يسلم: «**اللَّهُمَّ إني أسألُكَ علمًا نافعًا، ورزقًا طيبًا، وعملًا مُتَقَبَّلًا**» [صحيح ابن ماجه]. وفي رواية «**عملًا صالحا**» فهذا مطلوب، مطلوب كل يوم أن يزداد المرء من العلم، ويدعو الله كل يوم أن يزيده علمًا، يستفتح يومه بسؤال الله ذلك، وأيضًا يجاهد نفسه علىٰ العمل.

الحاصل أن هذه الآثار ليس المراد منها التزهيد من الازدياد في العلم، الازدياد في العلم مطلوب، والشريعة جاءت بالحث عليه والترغيب فيه، وإنما المراد منها التأكيد علىٰ العناية بالعمل بالعلم.

٧٩- أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ طَلْحَةَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمُقْرِي، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْحُسَيْنِ مُحَمَّدَ بْنَ أَحْمَدَ بْنِ سَمْعُونَ الْوَاعِظَ يَقُولُ: كُلُّ مَنْ لَمْ يَنْظُرْ بِالْعِلْمِ فِيمَا لِلَّهِ عَلَيْهِ، فَالْعِلْمُ حُجَّةٌ عَلَيْهِ وَوَبَالٌ.

نعم يعني هذا الأثر نافع جدًّا في هذا الباب، (يقول: كل من لم ينظر بالعلم فيما لله عليه)، يعني من كان لا ينظر فيما يتعلم ماذا لله عليَّ في هذا الذي تعلمتُه؟ إذا كان ليست عند المرء همَّه في هذا النظر، النظر فيما لله عليه من هذا الذي تعلمه، (فالعلم حجّة عليه ووبال).

نضرب مثالًا واحدًا يتَّضح به الأمر: مثلًا إذا قرأت أو حفظت قول الله تعالىٰ في سورة الحجرات ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات:١٢]، انظر ماذا لله عليك من أمرٍ نهاك عنه وحذّرك من فعله، فإنك إن عملت بما جاء في هذه الآية من نهيٍ عن هذه الأمور وتحذيرٍ منها كانت الآية حجة لك.

وإن لم تعمل بها، فلم تبالِ باغتياب الآخرين، ولم تبالِ بالتجسس علىٰ عورات الآخرين، أو كما أيضًا في الآية التي قبلها السخرية والاستهزاء بالآخرين...، تصبح هذه الآيات حجة علىٰ الحافظ لها وليس حجة له، تصبح هذه الآيات حجة عليه وليست حجة له.

ولهذا كل آية أو حديث يقرؤه المرء ينظر: ما لله عليه فيه؟ إن كان أمرًا يأمره به، أو فريضة يوجبها عليه، أو أمرًا ينهاه عنه ويحذّره منه...، ينظر ماذا لله عليه فيه، فيجاهد نفسه علىٰ الامتثال.

❀❀◈❀❀

٨٠- أَخْبَرَنَا أَبُو طَاهِرٍ عَبْدُ الْغَفَّارِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ الْمُؤَدِّبُ، قَالَ: أَنْبَأَنَا أَبُو عَلِيٍّ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ الصَّوَّافُ، قال: حدثنا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قال: حدثنا سَيَّارُ بْنُ حَاتِمٍ، قال: حدثنا جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ الضُّبَعِيُّ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يُعَافِي الْأُمِّيِّينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا لَا يُعَافِي الْعُلَمَاءَ**» [قال الألباني: منكر].

هذا الحديث ساقه المصنف رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ، حديث (أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يعافي الأميين يوم القيامة»)، المراد بالأميين الجاهلين الذين لم يتعلموا، ليسوا من أهل التعلم القراءة والكتابة، لكنهم لم يقصّروا في تعلم ما أوجب الله عليهم، ولهذا تجد بعض العوام ضابط تمامًا لواجبات الدين، ومتجنب للمحرمات، لكن ليس عنده تفقه، لكنه ضابط أمور الفرائض، وواجبات الدين معتني بها محافظًا عليها، مبتعدًا عن المحرمات.

يقول: «إن الله يعافي الأميين يوم القيامة ما لا يعافي العلماء»، والمراد بالعلماء الذين فرطوا في العلم، فهذا معناه إن صحّ، وليس المراد بالعلماء أي العاملين، فالعلماء العاملين رتبتهم أعلىٰ ومكانتهم أرفع، «**فضل العالم علىٰ العابد كفضل القمر ليلة البدر علىٰ سائر الكواكب**» [صحيح أبي داود وغيره].

❀❀◈❀❀

٨١- قَرَأْتُ عَلَىٰ ظَهْرِ كِتَابٍ لِأَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبَانَ الْهِيثِيِّ:

إِذَا الْعِلْمُ لَـمْ تَعْمَلْ بِـهِ، كَـانَ حُجَّـةً ... عَلَيْكَ، وَلَـمْ تُعْـذَرْ بِمَـا أَنْـتَ حَامِـلُ

فَـإِنْ كُنْـتَ قَـدْ أَبْصَـرْتَ هَـذَا فَإِنَّمَـا ... يُصَـدِّقُ قَـوْلَ الْمَـرْءِ مَـا هُـوَ فَاعِـلُ

(إِذَا الْعِلْمُ لَمْ تَعْمَلْ بِـهِ، كَـانَ حُجَّـةً ... عَلَيْكَ، وَلَمْ تُعْـذَرْ بِمَـا أَنْـتَ حَامِـلُ)

لأنّ الفهم مثل ما تقدم (قاطع لعذره)، ولهذا قال: (ولم تعذر)، لأنّ الفهم قاطع للعذر، قد قامت عليه الحجة بفهمه،

(فَإِنْ كُنْـتَ قَـدْ أَبْصَـرْتَ هَـذَا فَإِنَّمَـا ... يُصَـدِّقُ قَـوْلَ الْمَـرْءِ مَـا هُـوَ فَاعِـلُ)

ولهذا يقول الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي، ولكن الإيمان ما وقر في القلب وصدقته الأعمال.

٨٢- أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي طَاهِرٍ الدَّقَّاقُ، قال وَأخبرنا أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ الْجَرْمِيُّ، قَالَا :أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الزُّبَيْرِ الْكُوفِيُّ، قال حدثنا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عَفَّانَ الْعَامِرِيُّ، قال حدثنا زَيْدُ بْنُ الْحُبَابِ، عَنْ مَالِكِ بْنِ مِغْوَلٍ، قَالَ: سَمِعْتُ الشَّعْبِيَّ يَقُولُ: لَيْتَنِي لَمْ أَكُنْ عَلِمْتُ مِنْ هذَا الْعِلْمِ شَيْئًا.

هذا الأثر عن الشعبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ، محمول علىٰ ما قام في قلوب السلف رحمهم الله تعالىٰ من الخوف الشديد، مع الإحسان في ما كانوا عليه من عمل واستقامة علىٰ طاعة الله ﷻ، قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ: إنّ المؤمن جمع بين إحسان ومخافة، والمنافق جمع بين إساءة وأمن، ولهذا عبدالله بن أبي مُليكة يقول: أدركت أكثر من ثلاثين صحابيًا كلهم يخاف النفاق علىٰ نفسه، فهذا من الخوف الذي كان عليه السلف رحمهم الله تعالىٰ، مع إحسانهم في العبادة، بخلاف من عنده قليل من العلم وبضاعة مزجاة فيه، ثم يُظهر نفسه، ويتعالىٰ علىٰ الآخرين، وقد لا يكون له حظ ونصيب من العمل بالعلم الذي عنده.

٨٣- أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبَانَ الثَّعْلَبِيُّ الْهِيثي، قال حدثنا أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ سَلْمَانَ النَّجَّادُ، قال حدثنا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ شَاهِينَ، قال حدثنا ابْنُ سَهْلٍ يَعْنِي مُحَمَّدَ بْنَ سَهْلِ بْنِ عَسْكَرٍ، قَالَ سَمِعْتُ الْفِرِيَابِيَّ، يَقُولُ: سَمِعْتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يَقُولُ: لَيْتَنِي لَمْ أَكْتُبِ الْعِلْمَ، وَلَيْتَنِي أَنْجُو مِنْ عِلْمِي كَفَافًا لَا عَلَيَّ وَلَا لِي.

هذا الأثر نظير الذي قبله عن الشعبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ليتني لم أكتب العلم، وليتني أنجو من علمي كفافًا لا عليّ ولا

لي)، والكفاف هذا هو معناه، يعني يكون لا له ولا عليه، وهذا يعني خرج من هؤلاء الأئمة الأفاضل هذا المخرج الذي أشرت إليه، وهو شدة الخوف الذي قام في قلوبهم، مع ما كانوا عليه من مجاهدة للنفس علىٰ الإحسان في العمل.

٨٤- أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ طَلْحَةُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الصَّقْرِ الْكَتَّانِيُّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الشَّافِعِيُّ، قال: حدثنا أَبُو عِيسَىٰ مُوسَىٰ بْنُ هَارُونَ الطُّوسِيُّ، قال: حدثنا أَبُو مَعْمَرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عُيَيْنَةَ يَقُولُ: الْعِلْمُ إِنْ لَمْ يَنْفَعْكَ ضَرَّكَ.

قُلْتُ: يَعْنِي: إِنْ لَمْ يَنْفَعْهُ بِأَنْ يُعْمَلَ بِهِ ضَرَّهُ بِكَوْنِهِ حُجَّةً عَلَيْهِ.

هذا الأثر عن (سفيان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: العلم إن لم ينفعك ضرك، إن لم ينفعك) أي: بأن تعمل به، (ضرك) أي: بأن كان حجةً عليك، ولهذا ينبغي علىٰ كل من تعلم أن يجاهد نفسه علىٰ الانتفاع بالعلم، وأن تكون همته دائما متجهة لأن ينتفع بالعلم، لماذا؟ لأنه إن لم ينتفع بالعلم الذي تعلمه ضره علمه، من جهة أنّ علمه يصبح حجةً عليه، قال: (العلم إن لم ينفعك ضرك). قال الخطيب: (قلت: يعني إن لم ينفعه بأن يعمل به، ضره بكونه حجة عليه)، وهذا التعليق من الخطيب نادر في كتابه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ، مرّ معنا الآثار الكثيرة ولم يعلق عليها بشيء.

٨٥- أَخْبَرَنَا أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ التَّمِيمِيُّ، قَالَ: أخبرنا أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ حَمْدَانَ بْنِ مَالِكٍ الْقَطِيعِيُّ، قال: حدثنا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ، حدثنا أَبُو الرَّبِيعِ يَعْنِي عَمْرَو بْنَ سُلَيْمَانَ، قَالَ :حَدَّثَنِي أَبُو الْأَشْهَبِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ وَاسِعٍ، قَالَ: قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ، لَا تَتَعَلَّمْ مَا لَا تَعْلَمُ حَتَّىٰ تَعْمَلَ بِمَا تَعْلَمُ.

هذا مما يروىٰ من وصايا لقمان الحكيم، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أخبر في القرآن أنه آتاه جل وعلا الحكمة، وذكر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ جملة من وصاياه العظيمة لابنه، وهي وصايا عظيمة للغاية، يكفيها فضلًا وشرفًا أنها آيات تتلىٰ في القرآن، ونزل بها وحي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من السماء، فهي وصايا عظيمة، وينبغي علىٰ المربين من الآباء والأمهات والمعلمين أن ينتفعوا من هذه الوصايا غاية الانتفاع، لأنها وصايا كلها حكمة، كما ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ومما يروىٰ عن لقمان في وصاياه لابنه (قال: يا بني، لا تتعلم ما لا تعلم حتىٰ تعمل بما تعلم)، وهذا إنما يكون إذا كانت همة المرء مستمرة في العمل بالعلم، ومجاهدة نفسه علىٰ ذلك.

٨٦- أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ جَعْفَرٍ الْبَرْذَعِيُّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ

عَلُّوَيْهِ الْجَوْهَرِيُّ، قال: حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ بَابَوَيْهِ الْحِنَّائِيُّ، قَالَ: حدثنا محمد عَبْدِ اللهِ بْنُ مُحَمَّدُ الْقُرَشِيُّ، حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ هُوَ الْبُرْجَلَانِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ الصَّمَدِ الْعَمِّيُّ، عَنْ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ قَالَ: إِنِّي وَجَدْتُ فِي بَعْضِ الْحِكْمَةِ: **لَا خَيْرَ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ مَا لَمْ تَعْلَمْ، وَلَمْ تَعْمَلْ بِمَا قَدْ عَلِمْتَ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ: مِثْلَ رَجُلٍ احْتَطَبَ حَطَبًا فَحَزَمَ حُزْمَةً، ذَهَبَ يَحْمِلُهَا فَعَجَزَ عَنْهَا، فَضَمَّ إِلَيْهَا أُخْرَىٰ.**

هذا مثل عجيب جدًا ذكره مالك بن دينار رَحِمَهُ اللَّهُ، أنه وجد (في بعض الحكمة، يقال: لا خير لك أن تعلم ما لم تعلم ولم تعمل بما قد علمت)، (لا خير لك أن تعلم ما لم تعلم) يعني: لا خير لك أن تتعلم مسألة جديدة، وأنت لم تعمل بعد بالمسألة التي قبلها التي تعلمتها، ما لم (تعمل بما قد علمت)، فلا خير للمرء في مثل هذا المسلك، يستكثر من العلم وهو مجانبٌ للعمل، فلا خير لك أن تعلم مسألة جديدة إلا وقد عملت بالمسألة التي قبلها، إلا وقد عملت بالمسألة، لا خير لك أن تتعلم أمرا جديدًا من علوم الشريعة إلا وقد عملت بالأمر الذي قبله، أما إذا كانت الهمة فقط للتعلم والتعلم ولا همة للمرء بالعمل، فإنّ علمه حينئذٍ يكون حجة عليه.

ضَرَبَ، أو ضُرِبَ لذلك في الحكمة مثلًا، قال: (فإنّ مثل ذلك مثل رجل احتطب حطبًا)، أخذ حزمة من الحطب جهزها ليحملها فيستفيد منها، (فحزمه حزمة)، و(ذهب يحملها فعجز عنها)، عجز أن يحملها (فضم إليها أخرىٰ)، يعني احتطب وحزم الحطب الذي جمعه، وأراد أن يحمله حتىٰ يستفيد منه، فما استطاع أن يحمله، فذهب وجمع أيضًا حطبًا آخر! فذهب يجمع حطبًا آخر، وهو لم يستفِد من الجمع الأول، فهذا مثل عجيب جدًا لمن يتعلم مثل الذي يحتطب، وإذا اجتمع الحطب النافع الذي يستفيد منه في دفئه وصنع طعامه وعجز عن حمله، ذهب يحتطب حطبًا آخر! ثم يعجز عن حمله، ويحتطب حطبًا آخر..! وهكذا.

❀❀◈❀❀

٨٧- أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ الْقَطِيعِيُّ، قَالَ: أخبرنا إِسْحَاقُ بْنُ سَعْدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ سُفْيَانَ النَّسَوِيُّ، قَالَ: حدثنا جَدِّي، حدثنا حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَىٰ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قال: حدثنا سُفْيَانُ قَالَ: كَانَ عَالِمٌ وَعَابِدٌ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَقَالَ الْعَالِمُ لِلْعَابِدِ: مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَأْتِيَنِي وَتَأْخُذَ مِنِّي وَأَنْتَ تَرَىٰ النَّاسَ يَأْتُونِي؟ فَقَالَ الْعَابِدُ: تَعَلَّمْتُ شَيْئًا فَأَنَا أَعْمَلُ بِهِ، فَإِذَا فَنِيَ أَتَيْتُكَ.

٨٨- أَنْشَدَنِي أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ الصُّورِيُّ لِنَفْسِهِ:

كَمْ إِلَىٰ كَمْ أَغْدُو إِلَىٰ طَلَبِ الْعِلْـ ... ـمِ مُجِدًّا فِي جَمْعِ ذَاكَ حَفِيًّا

طَالِبًا مِنْهُ كُلَّ نَوْعٍ وَفَنٍّ ... وَغَرِيبٍ وَلَسْتُ أَعْمَلُ شَيًّا

وَإِذَا كَـانَ طَالِـبُ الْعِلْـمِ لَا يَعْمَـ ـــلُ بِـالْعِلْمِ كَـانَ عَبْـدًا شَـقِيًّا

إِنَّمَـا تَنْفَـعُ الْعُلُـومُ لِمَـنْ كَـا نَ بِهَـا عَـامِلًا وَكَـانَ تَقِيًّـا

٨٩- أَخْبَرَنَا أَبُو الْفَرَجِ عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ الْقُرَشِيُّ، بِأَصْبَهَانَ، قَالَ: أَنْبَأَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَيُّوبَ الطَّبَرَانِيُّ، قال: حدثنا مُطَّلِبُ بْنُ شُعَيْبٍ الْأَزْدِيُّ، قال: حدثنا عَبْدُ اللهِ بْنُ صَالِحٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي اللَّيث، قال: الطبراني، وَحدثنا أَبُو الزِنْبَاعِ رَوْحُ بْنُ الْفَرَجِ، قال: حدثنا يَحْيَىٰ بْنُ بُكَيْرٍ، قال: حدثنا اللَّيْثُ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي عَبْلَةَ، عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْجُرَشِيِّ، عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيُّ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَظَرَ إِلَىٰ السَّمَاءِ يَوْمًا، فَقَالَ: **هَذَا أَوَانُ رَفْعِ الْعِلْمِ**. فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ زِيَادُ بْنُ لَبِيدٍ: يَا رَسُولَ اللهِ؛ يُرْفَعُ الْعِلْمُ وَقَدْ أُثْبِتَ وَوَعَتْهُ الْقُلُوبُ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **إِنْ كُنْتُ لَأَحْسَبُكَ مِنْ أَفْقَهِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ**. ثُمَّ ذَكَرَ ضَلَالَةَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ عَلَىٰ مَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنْ كِتَابِ اللهِ، فَلَقِيتُ شَدَّادَ بْنَ أَوْسٍ فَحَدَّثْتُهُ بِحَدِيثِ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ، فَقَالَ: صَدَقَ عَوْفٌ، أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَوَّلِ ذَلِكَ يُرْفَعُ؟ قُلْتُ: بَلَىٰ، قَالَ: الْخُشُوعُ، حتىٰ لَا تَرَىٰ خَاشِعًا. [قال الألباني: صحيح].

ثم أورد هذا الحديث عن نبينا عليه الصلاة والسلام، حديث (عوف بن مالك الأشجعي) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَظَرَ إِلَىٰ السَّمَاءِ يَوْمًا فَقَالَ: **هَذَا أَوَانُ رَفْعِ الْعِلْمِ**)، يعني دُنُوّ رفعه، والعلم يُرفع، وذلك الرفع للعلم هو إذن بخراب هذا العالم ودنو قيام الساعة! ومن أمارات الرفع للعلم تفريط الناس في العمل به، تفريط الناس في العمل بالعلم.

قال: (**هذا أوان يرفع العلم**، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ زِيَادُ بْنُ لَبِيدٍ: يَا رَسُولَ اللهِ؛ يُرْفَعُ الْعِلْمُ وَقَدْ أُثْبِتَ وَوَعَتْهُ الْقُلُوبُ؟) يعني كُتب في السطور، وحفظ في الصدور، هل يُرفع والحالة هذه؟ (فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنْ كُنْتُ لَأَحْسَبُكَ مِنْ أَفْقَهِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، ثُمَّ ذَكَرَ ضَلَالَةَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ عَلَىٰ مَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنْ كِتَابِ اللهِ»)، فالتفريط في العمل بالعلم من أمارات رفع العلم، حتىٰ وإن كان مُثبتًا مكتوبًا، ولهذا قد يكون القرآن في بيوت كثير من الناس وهو كتاب السعادة الأبدية في الدنيا والآخرة، قد يكون القرآن في بيوت كثير من الناس ولا يعملون منه بشيء، ولا ينتفعون منه بشيء، وهو مكتوب بين أيديهم، وقريب منهم، وفيه السعادة الأبدية في الدنيا والآخرة.

قال: (**إِنْ كُنْتُ لَأَحْسَبُكَ مِنْ أَفْقَهِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، ثُمَّ ذَكَرَ ضَلَالَةَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ عَلَىٰ مَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنْ كِتَابِ اللهِ**)، ولهذا قال الله عن اليهود ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا﴾ أي: لم يعملوا بها ﴿كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ﴾ [الجمعة:٥].

قال: («ألا أخبرك بأول ذلك يرفع؟» قلت: بلا، قال: «الخشوع، حتىٰ لا ترىٰ خاشعًا»)، لأنّ العلم الخشية، رأس العلم خشية الله، والخشوع في عبادة الله هذا من العلم، ومن آثار العلم وثماره، فإذا لم يكن هناك خشوع ولا خشية هذا من أمارات رفع العلم، بعدم الانتفاع به والعمل به.

٩٠- أَنْبَأَنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْكَاتِبُ، قَالَ: أَنْبَأَنَا أَبُو مُسْلِمٍ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مِهْرَانَ، قَالَ: قَرَأْتُ عَلَىٰ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ السُّبَحِيِّ، قال: حدثنا أَبُو رَجَاءٍ مُحَمَّدُ بْنُ حَمْدَوَيْهِ بْنِ مُوسَىٰ، قال: حدثنا أَحْمَدُ بْنُ جَمِيلٍ، قَالَ: أَخبرنَا حَفْصُ بْنُ حُمَيْدٍ، عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ قَالَ: كَانَ رَجُلٌ ذَا مَالٍ لَمْ يَسْمَعْ بِعَالِمٍ إِلَّا أَتَاهُ حَتَّىٰ يَقْتَبِسَ مِنْهُ، فَسَمِعَ أَنَّ فِي مَوْضِعِ كَذَا وَكَذَا عَالِمًا، فَرَكِبَ السَّفِينَةَ وَفِيهَا امْرَأَةٌ، فَقَالَتْ: مَا أَمْرُكَ يَا هَذَا؟ قَالَ: إِنِّي مَشْغُوفٌ بِحُبِّ الْعِلْمِ، فَسَمِعْتُ أَنَّ فِي مَوْضِعِ كَذَا عَالِمًا آتِيهُ، قَالَتْ: يَا هَذَا، كُلَّمَا زِيدَ فِي عِلْمِكَ تَزِيدُ فِي عَمَلِكَ أَوْ تَزِيدُ فِي عِلْمِكَ وَالْعَمَلُ مَوْقُوفٌ؟ فَانْتَبَهَ الرَّجُلُ وَرَجَعَ، وَأَخَذَ فِي الْعَمَلِ.

هذا أثر يُروىٰ عن ابن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ: أن (رجلًا ذا مال لم يسمع بعالمٍ إلا أتاه حتىٰ يقتبس منه، فسمع أنّ في موضعٍ عالمًا، فركب السفينة) ليأتيه ينتفع أو يأخذ من علمه، فإذا امرأة في السفينة، (فقالت) له: (مَا أَمْرُكَ يَا هَذَا؟ قَالَ: إِنِّي مَشْغُوفٌ بِحُبِّ الْعِلْمِ)، يعني عندي شغف بتعلم العلم وإتيان العلماء والأخذ عنهم، (مشغوف بحب العلم)، فـ(قالت له: كُلَّمَا زِيدَ فِي عِلْمِكَ) يزيد (في عملك؟) هل أنت هكذا؟ (كل ما زيد في علمك) يزيد (في عملك؟) أو أنك تزداد من العلم (والعمل موقوف؟) بدون عمل؟ أي الرجلين أنت؟ هل أنت كل ما زيد في علمك زاد العمل؟ أو أن العلم يزيد والعمل موقوف؟ أي الرجلين أنت؟

هذا تنبيه حقيقة عظيم جدًا، لأنّ مقصود العلم العمل، ومن كان يزداد علمه والعمل موقوف فعلمه مدخول! كما قال ذلك ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ علمه مدخول، لأنه لو صفت النية وصدق مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لانتفع بعلمه، لكن علمه مدخول فيه شيء، فقالت له: (كلما زيد في علمك) يزداد العمل؟ أو أنّ العلم يزداد (والعمل موقوف؟) أي الرجلين أنت؟ (فانتبه الرجل ورجع، وأخذ في العمل).

فالحاصل أنّ مثل هذه الأخبار وروايتها ليس المراد منها التزهيد من الرحلة في طلب العلم، وإتيان العلماء، والأخذ عنهم، والتلقي...، وإنما المقصود منها التحذير من التفريط في العمل، التحذير من التفريط في العمل، فليُنتبه لذلك.

٩١- أَخْبَرَنَا الْقَاضِي أَبُو الْعَلَاءِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْوَاسِطِيُّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو الْفَتْحِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ

الْمَوْصِلِيُّ، قال: حدثنا عَبْدُ اللهِ بْنُ عَلِيٍّ الْعُمَرِيُّ، قال: حدثنا الْفَتْحُ بْنُ شَخْرَفٍ، قال: حدثنا عَبْدُ اللهِ بْنُ خُبَيْقٍ، قال حدثنا عَبْدُ اللهِ بْنُ السِّنْدِيِّ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدْهَمَ قَالَ: خَرَجَ رَجُلٌ يَطْلُبُ الْعِلْمَ، فَاسْتَقْبَلَهُ حَجَرٌ فِي الطَّرِيقِ فَإِذَا فِيهِ مَنْقُوشٌ: اقْلِبْنِي تَرَ الْعَجَبَ وَتَعْتَبِرْ، قَالَ: فَأَقْلَبَ الْحَجَرَ فَإِذَا فِيهِ مَكْتُوبٌ: أَنْتَ بِمَا تَعْلَمُ لَا تَعْمَلُ، كَيْفَ تَطْلُبُ مَا لَا تَعْلَمُ؟ قَالَ: فَرَجَعَ الرَّجُلُ.

٩٢- أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللهِ بْنُ أَبِي الْفَتْحِ الْفَارِسِيُّ، قَالَ: أَنْبَأَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْخَزَّازُ، قَالَ: حدثنا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّنْدَلِيُّ، قَالَ: أَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الصَّبَّاحِ، قال: حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ خُنَيْسٍ، قَالَ: قَالَ عُمَرُ بْنُ قُبَيْسٍ: حَدَّثَنِي عَطَاءٌ، قَالَ: كَانَ فَتًى يَخْتَلِفُ إِلَى أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فَيَسْأَلُهَا وَتُحَدِّثُهُ، فَجَاءَهَا ذَاتَ يَوْمٍ يَسْأَلُهَا فَقَالَتْ: يَا بُنَيَّ؛ هَلْ عَمِلْتَ بَعْدَ بِمَا سَمِعْتَ مِنِّي؟ فَقَالَ: لَا وَاللهِ يَا أُمَّهْ. فَقَالَتْ: يَا بُنَيَّ، فَبِمَ تَسْتَكْثِرُ مِنْ حُجَجِ اللهِ عَلَيْنَا وَعَلَيْكَ؟

هذا الأثر عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فيه أنّ من يستكثر من العلم بلا عمل فإنما يستكثر من حجج الله عليه، وهذا يشهد له الحديث الصحيح: «**والقرآن حجة لك أو عليك**» [صحيح مسلم]، ولهذا يُروىٰ عن أحد السلف أنه قال: ما جلس أحدٌ إلىٰ هذا القرآن إلا قام منه إما بزيادة أو بنقصان، بزيادة إن عمل، ونقصان إن لم يعمل، فمن استكثر من العلم دون عمل فإنما يستكثر من حجج الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عليه.

❀❀◈❀❀

٩٣- حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخَلَّالُ، قال: حدثنا عُمَرُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ كَثِيرٍ الْمُقْرِئُ، قال: حدثنا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّنْدَلِيُّ، قال: حدثنا أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ ابْنُ أُخْتِ بِشْرِ بْنِ الْحَارِثِ، قَالَ: سَمِعْتُ بِشْرًا، يَقُولُ: قَالَ الْفُضَيْلُ: **هَذَا الْحَدِيثُ لا يَسْمَعُهُ الرَّجُلُ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْمَعَهُ وَلَا يَعْمَلُ بِهِ.**

نعم، (هذا الحديث)، يقول (الفضيل: هذا الحديث لا يسمعه الرجل، خيرٌ له من أن يسمعه ولا يعمل به)، وخيرٌ من ذلك كله أن يسمعه ويعمل به، هذا هو المطلوب، المطلوب سماع الحديث والحرص علىٰ سماعه، والعمل به، لكن كون الإنسان لم يسمع الحديث أصلًا، خيرٌ من أن يسمعه فيعرف ويفهم ولا يعمل، لأنّ هذا الحديث الذي تعلمه صار بذلك حجةً عليه.

وأعيد وأؤكد أنّ مثل هذه الآثار المراد منها التأكيد علىٰ العمل، ليس المراد منها التزهيد في التعلم، فإنّ التعلم والازدياد منه مطلوب، مطلوب من المسلم، مطلوب أن يجاهد نفسه علىٰ حضور مجالس العلم، قراءة كتب العلم، والاستفادة منها، وفي الوقت نفسه أن يجاهد نفسه علىٰ العمل.

❀❀◈❀❀

٩٤- أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ يَزْدَادَ الْقَارِئُ، قَالَ :أخبرنا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ

حَيَّانَ الْأَصْبَهَانِيُّ، بِهَا، قال حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَىٰ هُوَ ابْنُ مَنْدَهْ، قال حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ عِصَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ قَالَ: رَضِيَ النَّاسُ مِنَ الْعَمَلِ بِالْعِلْمِ، وَرَضُوا مِنَ الْفِعْلِ بِالْقَوْلِ.

هذا الأثر (عن أبي حازم) رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: (رَضِيَ النَّاسُ مِنَ الْعَمَلِ بِالْعِلْمِ، رضي الناس من العمل): يعني غالب الناس رضوا من العمل بالعلم، يعني جعلوا حظهم من العمل هو العلم فقط، يوضح هذا أثر لعله يأتي عند المصنف لاحقًا عن الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ، يقول: **أُنزِل القرآن لِيُعمَل به، فاتَّخذَ الناس قراءته عملا**، يعني جعلوا العمل هو مجرد القراءة، بدون فهم وبدون العمل بما أُنزل القرآن لأجله، فـ(رضي الناس من العمل بالعلم)، يعني الاكتفاء فقط بالعلم دون عمل، (ورضوا من الفعل بالقول)، يعني قول بلا فعل، وعلم بلا عمل، هذه حال كثير من الناس.

٩٥- أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ رِزْقٍ، قَالَ: أَنْبَأَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ الدَّقَّاقُ، قال: حدثنا حَنْبَلُ بْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ اللهِ يَعْنِي أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ، قَالَ: حدثنا أَبُو قَطَنٍ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عَوْنٍ يَقُولُ: وَدِدْتُ أَنِّي خَرَجْتُ مِنْهُ كَفَافًا - يَعْنِي الْعِلْمَ -، قَالَ أَبُو قَطَنٍ، قَالَ شُعْبَةُ: مَا أَنَا عَلَىٰ شَيْءٍ مُقِيمٌ أَخَافُ أَنْ يُدْخِلَنِي النَّارَ غَيْرُهُ.

(قال: سمعت ابن عون)، عبد الله (بن عون رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: وَدِدْتُ أَنِّي خَرَجْتُ مِنْهُ كَفَافًا - يَعْنِي الْعِلْمَ). ومعنىٰ كفافًا أي: لا لي ولا علي، وهذا من خوف السلف، ومر معنا قول الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ عن المؤمن، أنه جمع بين إحسانٍ ومخافة.

و(قال أبو قطن: قال شعبة: مَا أَنَا عَلَىٰ شَيْءٍ مُقِيمٌ أَخَافُ أَنْ يُدْخِلَنِي النَّارَ غَيْرُهُ)؛ أي: أيضًا هذا من شدة الخوف، إن صح عنه فهذا من شدة الخوف، يخاف علىٰ نفسه من العلوم الكثيرة التي تعلمها، والأحاديث الكثيرة التي حفظها، أن يلقىٰ الله وتكون حجة عليه.

٩٦- أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي نَصْرٍ النَّرْسِيُّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْحُسَيْنِ الدَّقَّاقُ، قَالَ: أخبرنا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، قال: حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ زِيَادِ بْنِ فَرْوَةَ الْبَلَدِيُّ، قال: حدثنا أَبُو شِهَابٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنِّي لَأَحْسَبُ الْعَبْدَ يَنْسَىٰ الْعِلْمَ كَانَ يَعْلَمُهُ بِالْخَطِيئَةِ يَعْمَلُهَا.

هذا فيه أنّ الذنوب من موجبات الحرمان من العلم، ومن موجبات نسيان العلم، وهذا فيه من الفائدة أنّ طالب العلم حتىٰ يوفق في ضبط علمه والانتفاع به، ينبغي أن يجاهد نفسه علىٰ البعد عن الذنوب والخطايا.

٩٧- أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْمَحَامِلِيُّ، قال: حدثنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَكَرِيَّا الْبَزَّازُ، مِنْ لَفْظِهِ وَأَصْلِهِ، قَال: حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ حَمْدُونَ الْخَزَّازُ، قال: حدثنا عَبْدُ اللهِ يَعْنِي ابْنَ أَبِي زِيَادٍ، قال: حدثنا سَيَّارٌ، عَنْ جَعْفَرٍ، عَنْ مَالِكٍ قَالَ: قَرَأْتُ فِي التَّوْرَاةِ: إِنَّ الْعَالِمَ إِذَا لَمْ يَعْمَلْ بِعِلْمِهِ، زَلَّتْ مَوْعِظَتُهُ عَنِ الْقُلُوبِ كَمَا يَزِلُّ الْقَطْرُ عَنِ الصَّفَا.

٩٨- أَخْبَرَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَسْنَوَيْهِ الْأَصْبَهَانِيُّ، قال: حدثنا أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ مَعْبَدٍ السِّمْسَارُ، قال: حدثنا أَبُو بَكْرِ بْنُ النُّعْمَانِ، قال: حدثنا زَيْدُ بْنُ عَوْفٍ، قال: حدثنا جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ مَالِكِ بْنِ دينارٍ قَالَ: الْعَالِمُ الَّذِي لَا يَعْمَلُ بِعِلْمِهِ بِمَنْزِلَةِ الصَّفَا، إِذَا وَقَعَ عَلَيْهِ الْقَطْرُ زُلِقَ عَنْهُ.

هذا الأثر عن (مالك بن دينار)، وفي الرواية الأولىٰ أنه قرأ (في التوراة): أنّ (العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا)، وذلك أنّ موعظته لم تنبع من قلبه، والموعظة إذا خرجت من القلب دخلت إلىٰ القلب، وأمّا إذا كانت من اللسان فحسب فإنّ شأنها أنها لا يكون لها ذاك الوقع في النفوس، وإذا حصل لها وقع وانتفاع فهذا حاله كما تقدم، ينقذ غيره ويهلك نفسه.

٩٩- أَخْبَرَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ عَلِيٍّ الْبَزَّارُ قَالَ: أَنْشَدَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَيْفٍ الْكَاتِبُ قَالَ: أَنْشَدَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْيَزِيدِيُّ قَالَ: أَنْشَدَنَا أَبُو الْفَضْلِ الرِّيَاشِيُّ:

مَا مَنْ رَوَىٰ عِلْمًا وَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ ... فَيَكُفَّ عَنْ وَتْغِ الْهَوَىٰ بِأَدِيبِ

حَتَّىٰ يَكُونَ بِمَا تَعَلَّمَ عَامِلًا ... مِنْ صَالِحٍ فَيَكُونُ غَيْرَ مَعِيبِ

وَلَقَلَّمَا تُجْدِي إِصَابَةُ صَائِبٍ ... أَعْمَالُهُ أَعْمَالُ غَيْرِ مُصِيبِ

ختم هذا الباب رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ بهذا البيت، قال ناظمه: (مَا مَنْ رَوَىٰ عِلْمًا وَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ... فَيَكُفَّ)، وفي بعض المصادر وهو أولىٰ: (ويكفّ)، (عَنْ وَتْغِ الْهَوَىٰ)، والوتغ: الفساد، يعني عن فساد (الهوىٰ بأديب)، والمعنىٰ أنّ من روىٰ العلم وحصّله ولم يعمل بالعلم، ولم يكفّ عن الهوىٰ الفاسد ليس بأديب، ويروىٰ أيضًا في بعض المصادر: ما من روىٰ أدبًا ولم يعمل به ويكف عن وتغ الهوىٰ بأديب، يعني ليس بأديب بمجرد روايته للأدب، فلا يكون أديبا لمجر الرواية للأدب، حتىٰ يعمل بهذا الأدب، حتىٰ يكون من أهل هذا الأدب. ولهذا قال:

(حَتَّىٰ يَكُونَ بِمَا تَعَلَّمَ عَامِلًا ... مِنْ صَالِحٍ فَيَكُونُ غَيْرَ مَعِيبِ)

إذا عمل بما علم لا يكون معيبًا، لا يكون فيه العيب، لأنّ ما يدعو من أدب وعلم هو عامل به.

(وَلَقَلَّمَا تُجْدِي إِصَابَةُ صَائِبٍ)، في بعض المصادر: قائلٍ (أَعْمَالُهُ أَعْمَالُ غَيْرِ مُصِيبِ).

بهذه الأبيات ختم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ هذا الباب، ولعلنا نتوقف لمدة عشر دقائق ثم نواصل بإذن الله تبارك وتعالىٰ.

سبحانك اللّٰهُمَّ وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

اللّٰهُمَّ صل وسلم علىٰ عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه.

المجلس الرابع

١٤٣٧/٠٧/٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله صلىٰ الله وسلم عليه وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد.. نواصل القراءة في هذا الكتاب النافع، كتاب «اقتضاء العلم العمل» للخطيب البغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ.

بَابٌ: ذَمُّ طَلَبِ الْعِلْمِ لِلْمُبَاهَاةِ بِهِ، وَلِلْمُمَارَاةِ فِيهِ، وَنَيْلِ الْأَغْرَاضِ، وَأَخْذِ الْأَعْوَاضِ عَلَيْهِ.

١٠٠- أَخْبَرَنَا الْحَسَنُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، قَالَ: أَنْبَأَنَا أَبُو سَهْلٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ زِيَادٍ الْقَطَّانُ، قال: حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ غَالِبِ بْنِ حَرْبٍ، قال: حدثنا بِشْرُ بْنُ عُبَيْدٍ الدَّارِسِيُّ، قال: حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُبَاهِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ، أَوْ يُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ، أَوْ يَصْرِفَ وُجُوهَ النَّاسِ، فَلَهُ مِنْ عِلْمِهِ النَّارُ» [قال الألباني في تحقيق الكتاب: إسناده ضعيف جدا].

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ: (بَابٌ: ذَمُّ طَلَبِ الْعِلْمِ لِلْمُبَاهَاةِ بِهِ، وَلِلْمُمَارَاةِ فِيهِ، وَنَيْلِ الْأَغْرَاضِ، وَأَخْذِ الْأَعْوَاضِ عَلَيْهِ)، أي: من كان غرضه في العلم هذه الأشياء، وهذه الأشياء التي ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ تُعد من خوارم النية في طلب العلم، فإنّ طلب العلم من أعظم القُرب التي يُتقَرب بها إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، حتىٰ قال بعض السلف: ما تُقُرِّبَ إلىٰ الله بمثل طلب العلم.

والشأن في العلم كغيره من القُرَب، لا يقبله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إلا إذا قُصد به وجهه، وابتُغي به مرضاته، بأن يكون طلبه لله، وتحصيله للعلم لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، مُتقرِّبًا بهذا الطلب للعلم إلىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ، وهذا هو الذي ينتفع بالعلم، أمَّا إذا طلب العلم (للمباهاة)، أو طلب العلم للشهرة والسُّمعة، ليُقال عالم، أو ليباهي الناس بعلمه، يقول: أنا أحفظ أكثر منكم، وأنا أعلم أكثر منكم، وأنا تفقَّهت أكثر منكم...، يباهي ويتفاخر علىٰ الناس بما حصَّله من علم، وبما حضره مثلًا من مجالس، أو بما حفظه من متون، أو بما ناله من رواية... أو نحو ذلك، يباهي به الناس، أو يُماري به الجُهال والسفهاء كما سيأتي في الحديث.

أو لـ(نيل الأغراض)، المراد بالأغراض: الأغراض الدنيوية، مثل أن يكون غرضه من العلم الشهرة، أو السمعة، أو الصيت، يتعلم ليقال عالم، أو ليقال فقيه... أو نحو ذلك، أو (لأخذ الأعواض عليه)، يعني هذه

نيته أصلًا في العلم، يتعلم من أجل أن يُعلِّم ويأخذ الأعواض، هذا غرضه، وأمّا هذه الأمور إذا جاءت تبعًا ولم تكن من قصد الإنسان، كأن يأخذ الأشياء التي خُصصت لمن يُعلِّم أو من يُحفظ... أو نحو ذلك، فلا يضره ذلك.

أورد رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنّ النبي ﷺ قال: «مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُبَاهِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ»، أي تعلم العلم من أجل المباهاة والمفاخرة والتعالي علىٰ الناس، أنا أعلم من فلان، أو أنا أفقه من فلان، حتىٰ أنّ بعض الناس في هذا الباب يعتني بمسألة واحدة يحرص علىٰ ضبطها وإتقانها، ثم يثيرها في بعض مجالس أهل العلم، ثم يُبرز فيها ما ليس عند هذا العالِم، أو ما لا يستحضره العالِم، لا لشيء إلا للمباهاة، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وحده هو العليم بما في الصدور، والمطَّلع علىٰ خفايا النفوس جلّ في علاه.

و«من طلب العلم ليباهي به العلماء، أو يماري به السفهاء» يعني: تعلمه من أجل المماراة، والمماراة: يُقال إنها من المِرية، وهي الشك والريب، وذلك أنّ كلًّا من الطرفين يتكلَّم عن غير ضبطٍ للعلم وانطلاقٍ من أصوله وقواعده، والنية الصالحة فيه، فيكون تعلمه للمماراة، المماراة المجادلة والمخاصمة.

«أو يصرف وجوه الناس» أي: إليه، حتىٰ يلتفت إليه الناس ويشار إليه بالأصابع، يقال العالم أو الفقيه... أو نحو ذلك، هذا غرضه من هذه الأمور، «فله من علمه النار» يعني: نصيبه من هذا العلم الذي تعلمه لهذه الأغراض، نصيبه من علمه النار! هذا حظه ونصيبه من علمه، لماذا؟ لأنّ النية انخرمت، لم تكن صافية، فعلمه لا يقبله الله منه، لأنّه ليس من القُرَب التي يُتقرَّب بها إلىٰ الله بهذا المقصد الذي كان عليه هذا الرجل، المباهاة أو المماراة أو السمعة أو الشهرة أو غير ذلك من الأمور.

❀❀◈❀❀

١٠١- أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الطَّاهِرِيُّ، قَالَ: أَنْبَأَنَا أَبُو بَحْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ كَوْثَرٍ، قال: حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ، قال: حدثنا أَبُو يُوسُفَ يَعْقُوبُ بْنُ الْقَاسِمِ الطَّلْحِيُّ، قال: حدثنا عُثْمَانُ بْنُ مَطَرٍ، قال: حدثنا أَبُو هَاشِمٍ الرَّمَّائِيُّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ، أَوْ يُكَثِّرَ بِهِ الْعُلَمَاءَ، أَوْ يَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**». [قال الألباني في تحقيق الكتاب: إسناده ضعيف].

نعم، وهذا بمعنىٰ الحديث الذي قبله.

❀❀◈❀❀

١٠٢- أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ رِزْقٍ، قَالَ: أَخبرنَا أَبُو عُمَرَ الزَّاهِدُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ، قَالَ: حدثنا أَحْمَدُ بْنُ زِيَادٍ الْبَزَّارُ، قال: حدثنا سُرَيْجُ بْنُ النُّعْمَانِ، قال: حدثنا فُلَيْحُ يَعْنِي ابْنَ سُلَيْمَانَ، عَنْ أَبِي طُوَالَةَ،

عَنْ سَعِيدِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا يُبْتَغَىٰ - يَعْنِي: بِهِ وَجْهَ اللهِ-، لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَعْنِي رِيحَهَا» [صحيح، وهو في صحيح أبي داود وغيره].

ثم أورد رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ هذا الحديث عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنّ رسول الله ﷺ قال: «من تعلم علمًا يُبتغىٰ به وجه الله، يبتغىٰ به وجه الله» يعني: من العلوم التي يُنال بها رضا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهي داخلة في القُرَب، وهي علوم الدين وعلوم الشريعة والفقه في دين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، «من تعلم علمًا يُبتغىٰ- يعني: به وجه الله-، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضًا من الدنيا): يعني لم يكن له أي غرض في تعلمه لذلك العلم إلا غرضًا من الدنيا.

مثل حفظ القرآن مثلًا، أو مثلًا سماع الحديث والتفقه في معانيه... أو نحو ذلك، فإذا كان يتعلم هذه العلوم ويعتني بها وليس له غرض أصلًا إلا الدنيا، (لم يجد عرف الجنة)، والعرف الريح، (لم يجد عرف الجنة يوم القيامة).

١٠٣- أَخْبَرَنِي أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ بِشْرَانَ الْقُرَشِيُّ، قَالَ: أَنْبَأنَا أَبُو الْفَضْلِ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الزُّهْرِيُّ، وأَنْبَأنَا عَلِيُّ بْنُ الْمُحْسِنِ التَّنُوخِيُّ، قَالَ: حدثنا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مَاهِبَزْدَ الْأَصْبَهَانِيُّ، قَالَ عَبْدُ اللهِ: حَدَّثَنَا، وَقَالَ الزُّهْرِيُّ: أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَابُورَ، قال: حدثنا أَبُو نُعَيْمٍ الْحَلَبِيُّ، قال: حدثنا مَخْلَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ، قَالَ: حَدَّثنا هِشَامُ بْنُ حَسَّانَ، قَالَ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ، يَقُولُ: مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ ابْتِغَاءَ الْآخِرَةِ أَدْرَكَهَا، وَمَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ ابْتِغَاءَ الدُّنْيَا فَهُوَ حَظُّهُ مِنْهُ. وَقَالَ الزُّهْرِيُّ: فَذَاكَ حَظُّهُ مِنْهَا.

هذه الأثر عن الحسن وهو البصري رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ، يقول: (من طلب العلم ابتغاء الآخرة أدركها)، يعني أدرك ثواب الآخرة، لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾ [الإسراء:١٩]، وقال جلّ وعلا: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾ [الشورىٰ]، وهذا الأثر عن الحسن هو مستفاد من هذه الآية الكريمة ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾، يقول الحسن: (من طلب العلم ابتغاء الآخرة أدركها)، أدرك الآخرة فاز بثواب الآخرة، كما قال الله: ﴿نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ﴾، (ومن طلب العلم ابتغاء الدنيا فهو حظه منها)، كما قال الله في الآية ﴿ وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾.

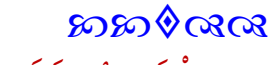

١٠٤- أَخْبَرَنا أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ الْحَرْبِيُّ الْخَطِيبُ، قَالَ: أخبرنَا أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ حَمْدَانَ، أَنَّ الْعَبَّاسَ بْنَ يُوسُفَ الشَّكَلِيَّ، حَدَّثَهُمْ، حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ مَاهَانَ، حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ خُنَيْسٍ، قَالَ: سَمِعْتُ

وُهَيْبَ بْنَ الْوَرْدِ يَقُولُ: ضُرِبَ مَثَلُ عَالِمِ السُّوءِ فَقِيلَ: مَثَلُ الْعَالِمِ السُّوءِ كَمَثَلِ حَجَرٍ دُفِعَ فِي سَاقِيَةٍ، فَلَا هُوَ يَشْرَبُ مِنَ الْمَاءِ، وَلَا هُوَ يُخْلِي عَنِ الْمَاءِ فَيَحْيَىٰ بِهِ الشَّجَرُ، وَلَوْ أَنَّ عُلَمَاءَ السُّوءِ نَصَحُوا لِلَّهِ فِي عِبَادِهِ فَقَالُوا: يَا عِبَادَ اللهِ اسْمَعُوا مَا نُخْبِرُكُمْ بِهِ عَنْ نَبِيِّكُمْ وَصَالِحِ سَلَفِكُمْ فَاعْمَلُوا بِهِ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَىٰ أَعْمَالِنَا هَذِهِ الْفَشِلَةِ فَإِنَّا قَوْمٌ مَفْتُونُونَ، كَانُوا قَدْ نَصَحُوا للهِ فِي عِبَادِهِ وَلَكِنَّهُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يَدْعُوا عِبَادَ اللهِ إِلَىٰ أَعْمَالِهِمُ الْقَبِيحَةِ فَيَدْخُلُوا مَعَهُمْ فِيهَا.

هذا الأثر عن وُهيب بن الورد رَحِمَهُ اللهُ، أثر عظيم في ضرب مثل لعالم السوء، مثل عجيب، والأمثال فيها فائدة وفيها تقريب للمعاني، ولا سيَّما الأمثال الدقيقة في التعبير عن المعاني والإيضاح لها، فيقول رَحِمَهُ اللهُ: (ضُرِبَ مَثَلُ عَالِمِ السُّوءِ فَقِيلَ: مَثَلُ الْعَالِمِ السُّوءِ كَمَثَلِ حَجَرٍ)، ويمكن أيضًا أن يُزاد لكلمة حجر العبارة المشهورة، يقول: حجر عثرة، فهو حجر عثرة، قال: (مَثَلُ الْعَالِمِ السُّوءِ كَمَثَلِ حَجَرٍ دُفِعَ فِي سَاقِيَةٍ)، يعني في ساقية الماء التي يمشي فيها الماء حتىٰ يصل إلىٰ الشجر، لو جيء بحجر وأُلقي في الساقية ماذا يحدث؟ ماذا يحدث عندما يؤتىٰ بحجر ويلقىٰ في الساقية؟ يعني في الساقية التي يسير معها الماء حتىٰ يصل إلىٰ الأشجار فتنتفع؟ لو جيء بحجر فألقي في ساقية أي شيء يحدث؟

قال: (فلا هو يشرب من الماء)، هو نفسه لا لم ينتفع من هذا الماء، (ولا هو يُخلي عن الماء فيحيىٰ به الشجر)، لا انتفع هو من الماء، ولا أيضًا أخلىٰ طريق الماء حتىٰ يصل إلىٰ الشجر وينتفع بها، هذا مثل عالم السوء، مثل الحجر الذي ألقي في ساقية، والمثل هذا عجيب، لأنّ الوحي في القرآن شُبه بالماء، وكما أنّ الأشجار والزروع لا تنبت ولا تحيىٰ إلا بالماء، فكذلك القلوب لا تحيىٰ إلا بالوحي، وانظر من مواضع ذلك قول الله ﷻ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ۝١٦ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝١٧﴾ [الحديد]، ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ أي: كما أنّ الأرض الميتة تحيىٰ بالماء، فالقلوب الميتة تحيىٰ أيضًا بالوحي.

فمثل الوحي مثل ساقية الماء، فإذا جيء بحجر وأُلقي في هذه الساقية، لم ينتفع الحجر، وفي الوقت نفسه حجب الماء عمن سينتفع به.

قال: (وَلَوْ أَنَّ عُلَمَاءَ السُّوءِ نَصَحُوا لِلَّهِ فِي عِبَادِهِ، فَقَالُوا: يَا عِبَادَ اللهِ اسْمَعُوا مَا نُخْبِرُكُمْ بِهِ عَنْ نَبِيِّكُمْ، وَصَالِحِ سَلَفِكُمْ فَاعْمَلُوا بِهِ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَىٰ أَعْمَالِنَا هَذِهِ الْفَشِلَةِ)، يعني السيئة الفاسدة الرديئة، (فإنا قوم مفتونون، كان قد نصحوا لله)، لو كان العلماء السوء بهذه الطريقة، ينصحون الناس ويعلمونهم، وإذا انتهوا من النصيحة يقولون لهم: هذا هو الشرع وهذا دين الله، ولا تنظرون لأعمالنا، أعمالنا سيئة، لو كانوا بهذه الطريقة لنصحوا

لله، لأنهم وضحوا الأمور علىٰ ما هي عليه، لكن ما الذي يحصل؟ أنهم ينصحون الناس، ثم إذا نظر الناس إلىٰ أعمالهم، إلىٰ أعمال من ينصحهم ويعلمهم سيقولون: إذا كان هو وهو الذي يعلمنا بهذه الصفة، فنحن من باب أولىٰ! ولهذا إذا نُظر إلىٰ أقوالهم فأقوالهم تدعو إلىٰ الجنة، وإذا نُظر إلىٰ أعمالهم فإنّ أعمالهم تدعو إلىٰ ماذا؟ إلىٰ النار، لكن لو بينوا لهذا حقيقة، ولا يفعلون ذلك، لو بينوا قالوا: هذا هو الحق، لكن نحن مفتونون لا تنظروا إلىٰ أعمالنا، لكن ما أحد يقول منهم، لو قالوا ذلك لنصحوا من جهة أنهم بينوا الأمر علىٰ حقيقته وواقعه، قال: (فَإِنَّا قَوْمٌ مَفْتُونُونَ، كَانُوا قَدْ نَصَحُوا للهِ فِي عِبَادِهِ؛ وَلَكِنَّهُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يَدْعُوا عِبَادَ اللهِ إِلَىٰ أَعْمَالِهِمُ الْقَبِيحَةِ فَيَدْخُلُوا مَعَهُمْ فِيهَا).

❀❀◈❀❀

١٠٥- أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْإِيَادِيُّ، قال: حدثنا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ صَالِحٍ الْأَبْهَرِيُّ، قال: حدثنا عُثْمَانُ بْنُ عَلِيٍّ، قال: حدثنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ الشَّامِيُّ، قال: حدثنا إِسْحَاقُ بْنُ مُوسَىٰ الْأَنْصَارِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عُيَيْنَةَ، يَقُولُ: قَالَ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا عُلَمَاءَ السُّوءِ جَعَلْتُمُ الدُّنْيَا عَلَىٰ رُؤُوسِكُمْ وَالْآخِرَةَ تَحْتَ أَقْدَامِكُمْ، قَوْلُكُمْ شِفَاءٌ وَعَمَلُكُمْ دَاءٌ مَثَلُكُمْ مِثْلُ شَجَرَةِ الدِّفْلَىٰ تُعْجِبُ مَنْ رَآهَا، وَتَقْتُلُ مَنْ أَكَلَهَا.

يُقال: (شجرة الدفلىٰ)، يطلق هذا علىٰ ما هو أخضر حسن المنظر، ولكنّ طعمه مُر، فهذا مثل العالم السوء، أقواله شفاء، عندما يعظ ويتكلم، أقواله شفاء، لكن أفعاله داء ومرض، أعماله داء ومرض، ولهذا كم يجني علماء السوء علىٰ الناس!؟ لأنّ الناس ينظرون إلىٰ أعمالهم، وكثيرًا ما يقول الناس: إنّ فلان أو فلان ممن يُعرف مثلا بدعوة، فعل كذا، فيقول: نحن من باب أولىٰ، ما عندنا من العلم مثل علمه، ولا حصلنا مثل تحصيله، فتكون أقواله شفاء من حيث إنها أقوال صحيحة في الجملة، ولكن أفعاله داء ومرض لأنها أفعال سيئة، مثل ما تقدم في الذي قبله: (فشِلة)، وهذا مما يُروىٰ وهو في عِداد الإسرائيليات، لكن معناه مقارب لما تقدم معنا.

❀❀◈❀❀

١٠٦- أَخْبَرَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَوْهَرِيُّ، قَالَ: أَنْبَأَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عِمْرَانَ بْنِ مُوسَىٰ الْمَرْزُبَانِيُّ، قال: حدثنا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَىٰ الْمَكِّيُّ، قال: حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ خَلَّادٍ، قال: حدثنا عَبْدُ الْغَفُورِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ، أَنَّ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: وَيْلَكُمْ يَا عَبِيدَ الدُّنْيَا، مَاذَا يُغْنِي عَنِ الْأَعْمَىٰ سَعَةُ نُورِ الشَّمْسِ وَهُوَ لَا يُبْصِرُهَا!؟ كَذَلِكَ لَا يُغْنِي عَنِ الْعَالِمِ كَثْرَةُ عِلْمِهِ إِذَا لَمْ يَعْمَلْ بِهِ، مَا أَكْثَرَ أَثْمَارَ الشَّجَرِ وَلَيْسَ كُلُّهَا يَنْفَعُ وَلَا يُؤْكَلُ، وَمَا أَكْثَرَ الْعُلَمَاءُ وَلَيْسَ كُلُّكُمْ يَنْتَفِعُ بِمَا عَلِمَ، فَاحْتَفِظُوا مِنَ الْعُلَمَاءِ الْكَذَبَةِ الَّذِينَ عَلَيْهِمْ

لِبَاسُ الصُّوفِ مُنَكِّسِينَ رُؤُوسَهُمْ إِلَىٰ الْأَرْضِ يَطْرِفُونَ مِنْ تَحْتِ حَوَاجِبِهِمْ، كَمَا تَرْمُقُ الذِّبَابُ، قَوْلُهُمْ مُخَالِفٌ فِعْلَهُمْ، مَنْ يَجْتَنِي مِنَ الشَّوْكِ الْعِنَبَ؟ وَمِنَ الْحَنْظَلِ التِّينَ؟

كَذَلِكَ لَا يُثْمِرُ قَوْلُ الْعَالِمِ الْكَذَّابِ إِلَّا زُورًا، إِنَّ الْبَعِيرَ إِذَا لَمْ يُوثِّقْهُ صَاحِبُهُ فِي الْبَرِيَّةِ نَزَعَ إِلَىٰ وَطَنِهِ وَأَصْلِهِ، وَإِنَّ الْعِلْمَ إِذَا لَمْ يَعْمَلْ بِهِ صَاحِبُهُ خَرَجَ مِنْ صَدْرِهِ، وَتَخَلَّىٰ مِنْهُ وَعَطَّلَهُ، وَإِنَّ الزَّرْعَ لَا يَصْلُحُ إِلَّا بِالْمَاءِ وَالتُّرَابِ، كَذَلِكَ لَا يَصْلُحُ الْإِيمَانُ إِلَّا بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، وَيْلَكُمْ يَا عَبِيدَ الدُّنْيَا: إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ عَلَامَةً يُعْرَفُ بِهَا، وَتَشْهَدُ لَهُ أَوْ عَلَيْهِ، وَإِنَّ لِلدِّينِ ثَلَاثَ عَلَامَاتٍ يُعْرَفُ بِهِنَّ: الْإِيمَانُ وَالْعِلْمُ وَالْعَمَلُ.

هذا أيضًا مما يُروىٰ عن بني إسرائيل، (يقول وهب بن منبه: أن عيسىٰ ابن مريم)، وكم بين وهب وعيسىٰ، فهذا مما يُروىٰ، والمعاني التي جاءت في هذا الخبر فيه معاني عظيمة تشهد لها النصوص، وتدل عليها الأدلة، فيه معاني عظيمة جدًا، والله أعلم بصحته عن عيسىٰ عليه السلام، لكن من حيث المعنىٰ فيه معاني عظيمة جدًا، يقول: (وَيْلَكُمْ يَا عَبِيدَ الدُّنْيَا، مَاذَا يُغْنِي عَنِ الْأَعْمَىٰ سَعَةُ نُورِ الشَّمْسِ وَهُوَ لَا يُبْصِرُهَا؟ كَذَلِكَ لَا يُغْنِي عَنِ الْعَالِمِ كَثْرَةُ عِلْمِهِ إِذَا لَمْ يَعْمَلْ بِهِ). كما أن سعة نور الشمس أو كذلك نور القمر لا يستفيد منه الأعمىٰ الذي لا يُبصر، لكونه لا يُبصر، فكذلك لا يُغني عن [العالم] كثرة علمه إذا لم يعمل به.

قال: (مَا أَكْثَرَ أَثْمَارَ الشَّجَرِ!؟) يعني عندما تنظر إلىٰ الأشجار المثمرة كثيرة جدًا، (وَلَيْسَ كُلُّهَا يَنْفَعُ وَلَا يُؤْكَلُ، وَمَا أَكْثَرَ الْعُلَمَاءُ وَلَيْسَ كُلُّكُمْ يَنْتَفِعُ بِمَا عَلِمَ)، يعني كثير الذين حصَّلوا أو تعلموا، لكن قليل من أثمر فيهم علمهم، وظهرت فيهم ثمرات علمهم، ولعل هذا المعنىٰ يظهر في الآية الكريمة ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝٢٤ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾ [إبراهيم]، أي: ثمارها، وهذه الثمار لا توجد ولا تكثُر إلا بحسب طيب الأصل، إذا طاب الأصل صحَّ الثمر وطاب.

قال: (فَاحْتَفِظُوا مِنَ الْعُلَمَاءِ الْكَذَبَةِ)، يعني: احتاطوا واحذروا، (احْتَفِظُوا مِنَ الْعُلَمَاءِ الْكَذَبَةِ، الَّذِينَ عَلَيْهِمْ لِبَاسُ الصُّوفِ مُنَكِّسِينَ رُؤُوسَهُمْ)، يعني: يلبسون الثياب الخشنة وينكسون رؤوسهم علىٰ هيئة المتواضع المُخبت، (رُؤُوسَهُمْ إِلَىٰ الْأَرْضِ، يَطْرِفُونَ مِنْ تَحْتِ حَوَاجِبِهِمْ، كَمَا تَرْمُقُ الذِّبَابُ، قَوْلُهُمْ مُخَالِفٌ فِعْلَهُمْ، مَنْ يَجْتَنِي مِنَ الشَّوْكِ الْعِنَبَ؟ وَمِنَ الْحَنْظَلِ التِّينَ؟) لا يُجنىٰ من الشوك العنب، ولا يُجنىٰ من الحنظل التين، (كذلك لا يُثمر قول العالم الكذاب إلا زورًا).

قال: (إِنَّ الْبَعِيرَ إِذَا لَمْ يُوثِقْهُ صَاحِبُهُ فِي الْبَرِيَّةِ نَزَعَ إِلَىٰ وَطَنِهِ وَأَصْلِهِ)، هذا معروف، البعير إذا لم يوثق، يعني لو اشترىٰ الإنسان بعيرًا من موطن وأخذه لمكان آخر، ولم يوثقه حتىٰ يبقىٰ ويألف المكان، يرجع إلىٰ وطنه، يرجع إلىٰ موضعه، يقول: (إِنَّ الْبَعِيرَ إِذَا لَمْ يُوثِقْهُ صَاحِبُهُ فِي الْبَرِيَّةِ)، يعني إذا أخذه في البرية ولم يوثقه، (نزع

إلىٰ وطنه وأصله، وإن العلم إذا لم يعمل به صاحبه خرج من صدره)، وهذا فيه أنّ وثاق العلم في الصدور العمل به ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت:٤٩]، (وَإِنَّ الْعِلْمَ إِذَا لَمْ يَعْمَلْ بِهِ صَاحِبُهُ خَرَجَ مِنْ صَدْرِهِ، وَتَخَلَّىٰ مِنْهُ، وَعَطَّلَهُ).

(وَإِنَّ الزَّرْعَ لَا يَصْلُحُ إِلَّا بِالْمَاءِ وَالتُّرَابِ، لا يصلح) أي: لا ينبت إلا بتراب وماء، (كذلك لا يصلح الإيمان إلا بالعلم والعمل)، الإيمان علم وعمل، الدين علم وعمل ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ [٣ مواضع، أولها: التوبة:٣٣]، أي: بالعلم النافع والعمل الصالح، ﴿ٱلْهُدَىٰ﴾ العلم النافع، والدين الحق هو العمل الصالح، وهذا هو دين الله علمٌ وعمل (وَيْلَكُمْ يَا عَبِيدَ الدُّنْيَا: إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ عَلَامَةً يُعْرَفُ بِهَا وَتَشْهَدُ لَهُ أَوْ عَلَيْهِ، وَإِنَّ لِلدِّينِ ثَلَاثَ عَلَامَاتٍ يُعْرَفُ بِهِنَّ: الْإِيمَانُ وَالْعِلْمُ وَالْعَمَلُ).

بَابُ مَا جَاءَ مِنَ الْوَعِيدِ وَالتَّهْدِيدِ وَالتَّشْدِيدِ لِمَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ لِلصَّيْتِ وَالذِّكْرِ وَلَمْ يَقْرَأْهُ لِلْعَمَلِ بِهِ وَاكْتِسَابِ الْأَجْرِ.

١٠٧- أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ الْمُقْرِئُ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ الْفَضْلِ، صَاحِبُ الطَّعَامِ بِالْمَوْصِلِ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي الْمُثَنَّىٰ، ثنا جَعْفَرُ بْنُ عَوْنٍ، وَعَبْدُ الْوَهَّابِ يَعْنِي ابْنَ عَطَاءٍ، قَالَا: أَنْبَأَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ جَرِيجٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ بْنُ يُوسُفَ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ، قَالَ: تَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَقَالَ لَهُ نَاتِلٌ أَخُو أَهْلِ الشَّامِ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ حَدَّثَنَا حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ. فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «أَوَّلُ النَّاسِ يُقْضَىٰ فِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ أَتَىٰ بِهِ اللهُ، فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، فَقَالَ: مَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ فَقَالَ: قَاتَلْتُ فِي سَبِيلِكَ حَتَّىٰ اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، إِنَّمَا أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، فَأَمَرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّىٰ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَالْقُرْآنَ، فَأَتَىٰ بِهِ اللهُ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، فَقَالَ: مَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَقَرَأْتُ الْقُرْآنَ وَعَلَّمْتُهُ فِيكَ، فَقَالَ: كَذَبْتَ، إِنَّمَا أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ عَالِمٌ، وَفُلَانٌ قَارِئٌ، فَأَمَرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّىٰ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ أَتَاهُ اللهُ مِنْ أَنْوَاعِ الْمَالِ، فَأَتَىٰ بِهِ اللهُ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، فَقَالَ: مَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ فَقَالَ: مَا تَرَكْتُ - ذَكَرَ كَلِمَةً مَعْنَاهَا - مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهِ إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهِ لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ إِنَّمَا أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ جَوَّادٌ، فَقَدْ قِيلَ، فَأَمَرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّىٰ أُلْقِيَ فِي النَّارِ». [حديث صحيح، وأخرجه مسلم].

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ تعالي: (بَابُ مَا جَاءَ مِنَ الْوَعِيدِ وَالتَّهْدِيدِ وَالتَّشْدِيدِ لِمَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ لِلصَّيْتِ وَالذِّكْرِ وَلَمْ يَقْرَأْهُ لِلْعَمَلِ بِهِ وَاكْتِسَابِ الْأَجْرِ). القرآن أُنزل للعمل به ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص]، أُنزل للعمل، أُنزل ليُؤتمر بأوامره، ويُنتهىٰ عن نواهيه، وتُصدق أخباره، وليكون إمامًا

يمتثل الناس ما جاء فيه، لهذا أُنزل القرآن، وبذلك تعلو درجات الناس عند الله، إذا كان شأنهم مع القرآن، يقرؤونه متدبرين لمعانيه عاملين بما فيه، وهؤلاء هم أهل تلاوة القرآن حقًا ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ [البقرة:١٢١]، أي: بقراءته وفهمه والعمل به، هذه التلاوة للقرآن حق التلاوة، وسيأتي عند المصنف نقول عظيمة جدًا في هذا المعنىٰ.

فمن قرأ القرآن للصيت والذكر، يعني للسمعة والشهرة وليُذكَر عند الناس بأنه حافظ وقارئ ومتقن... مثلًا، قرأه لأجل ذلك، للصيت والسمعة والشهرة، لم يقرأه للأجر واكتساب الثواب وللعمل بالقرآن، ليس له همة في ذلك، ماذا يكون شأنه مع هذا القرآن الذي حفظه؟ بل ربما كان حفظه له – لحروفه – من أتقن الحفظ، قد يقرأ القرآن من أوله إلىٰ آخره لا يُسقط حرفا من القرآن، لكن يأتي يوم القيامة ويكون هذا القرآن الذي حفظه حجة عليه لا له، لأنه لم يقرأه لاكتساب الأجر، ولم يقرأه ليعمل بهذا القرآن، قرأه لشيء واحد وهو الصيت، وحصل الصيت، حصل الصيت الواسع في الدنيا، قالوا: قارئ، قالوا: حافظ، قالوا: متقن... ونحو ذلك، وهو إنما قرأه لأجل هذه الأمور، فجاءت نصوص فيها تهديد ووعيد لمن كان كذلك.

وأورد حديث أبي هريرة في أول من يُقضىٰ فيه يوم القيامة، وذكر ثلاثة، ومنهم – وهو موضع الشاهد –: (**رجل تعلم العلم والقرآن، فأتىٰ به الله فعرَّفه نعمه فعرفها**)، أنعمت عليك بكذا وبكذا وبكذا...، (**عرَّفه نعمه فعرفها، فقال: ما عملت فيها؟ قال تعلمت العلم وقرأت القرآن وعلَّمته فيك**)، هو كان تعلُّمه للقرآن وتعلُّمه للعلم من أجل ماذا؟ من أجل الدنيا والسمعة، ليس لله ولا لطلب ثواب الله، قال: (**وعلمته فيك، فقال: كذبت، إنما أردت أن يقال فلان عالم وفلان قارئ**)، وقد قيل، قال الناس في الدنيا كثيرًا عنك: فلان عالم، وفلان قارئ... لكن ما يغني عنه شيئًا! ولا ينفعه شيئًا يوم وقوفه بين يدي الله ﷻ!! حتىٰ وإن كان صيتًا واسعًا وشهرة واسعة، مادام أنّ هذه الأعمال لم يقصد بها ولم يُرد بها التقرب إلىٰ الله ﷻ، قال: (**إنما أردت أن يقال فلان عالم وفلان قارئ، فأُمر به فسُحب علىٰ وجهه حتىٰ أُلقي في النار!**)

هذا الذي ذُكر في الحديث أنه يُلقىٰ في النار، تعلم العلم! وحفظ القرآن! وجلس أيضًا يُحفظ القرآن في الدنيا! نعم.. تعلم العلم! وحفظ القرآن! وجلس أيضًا يُحفظ القرآن!! وربما أيضًا حفظ علىٰ أيديه أناس القرآن! ثم يأتي يوم القيامة ويلقىٰ في النار! هذا القرآن الذي حفظه وهذا العلم الذي تعلمه وهذا التعليم الذي أيضًا علَّمه، لا ينتفع به لأنه لم يتعلمه من أجل الله، ولم يقصد به التقرب إلىٰ الله ﷻ، وإنما أراد به شيئًا في الدنيا، وقد حصَّله في الدنيا وهو الشهرة والسمعة.

١٠٨- أَخْبَرَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ بِشْرَانَ الْمُعَدِّلُ، قَالَ: أَنْبَأَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ

إِسْمَاعِيلَ الصَّفَّارُ، قال: حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ الْمُنَادِي، قال: حدثنا أَبُو بَدْرٍ، قال: حدثنا عَمْرُو بْنُ قَيْسٍ، عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: إِنَّهُ تَعَلَّمَ هَذَا الْقُرْآنَ عَبِيدٌ وَصِبْيَانٌ لَمْ يَأْتُوهُ مِنْ قِبَلِ وَجْهِهِ، وَلَا يَدْرُونَ مَا تَأْوِيلُهُ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص: ٢٩] مَا تَدَبُّرُ آيَاتِهِ؟ اتباعهُ بِعَمَلِهِ، وَإِنَّ أَوْلَىٰ النَّاسِ بِهَذَا الْقُرْآنِ مَنِ اتَّبَعَهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ يَقْرَؤُهُ، يَقُولُ أَحَدُهُمْ: يَا فُلَانُ، تَعَالَ أُقَارِئْكَ! مَتَىٰ كَانَتِ الْقُرَّاءُ تَفْعَلُ هَذَا؟ مَا هُمْ بِالْقُرَّاءِ وَلَا الْحُلَمَاءِ وَلَا الْحُكَمَاءِ، لَا أَكْثَرَ اللهُ فِي النَّاسِ أَمْثَالَهُمْ.

ثم أورد رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ هذا الأثر عن الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ، يقول: (إِنَّهُ تَعَلَّمَ هَذَا الْقُرْآنَ عَبِيدٌ وَصِبْيَانٌ لَمْ يَأْتُوهُ مِنْ قِبَلِ وَجْهِهِ)، الذم هنا لهؤلاء من هذه الجهة، أنهم لم يأتوه من قِبَل وجهه، لكن إذا تعلمه هؤلاء – يعني الصغار وكذلك العبيد – من قِبَل وجهه، وهذا يأتي فيه دور المعلمين والمربِّين، لأنّ الصغير يأتي للقرآن من قبل وجهه إذا وُفّق بمن يربيه علىٰ القرآن، أما إذا حصَّل من يحفِّظه حروف القرآن ولا يربيه علىٰ القرآن تجد الصبي ينشأ والقرآن في واد وهو في واد آخر، تجده مثلًا يحفظ حفظًا متقنًا ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء:٢٣]، وآيات بر الوالدين يحفظها، وهو من أعق الناس لوالديه، وأشدهم عقوقًا لوالديه، حفظ ولم يتربَّ علىٰ ما حفظ وعلىٰ ما تعلم، وتجده مثلًا يحفظ الآيات التي فيها إقام الصلاة والمحافظة علىٰ الصلاة، ولا يبالي بالصلاة، لا يبالي بها، ويؤثر النوم عليها، ومجالس الغفلة يؤثرها علىٰ الصلاة وهو يحفظ الآيات، ويكون في العوام من لا يحفظ مثله، لا يحفظ مثل ما يحفظ، لكنه ضابط لصلاته وضابط لبره وضابط لهذه المعاني العظيمة.

فيقول: (تَعَلَّمَ هَذَا الْقُرْآنَ عَبِيدٌ وَصِبْيَانٌ لَمْ يَأْتُوهُ مِنْ قِبَلِ وَجْهِهِ)، حقيقة هذا الأثر عن الحسن فيه تنبيه لـ.. يعني دور التحفيظ ومعلمي القرآن، أن يحرصوا علىٰ تعليم هؤلاء الصبيان القرآن من قبل وجهه، بأن يربوهم علىٰ آداب القرآن، وأخلاق القرآن، والائتمار بأوامر القرآن، والانتهاء عن نواهي القرآن، (ولا يدرون ما تأويله، يعني لا يدرون ما أنزل القرآن من أجله، اللّٰهُمَّ إلا أنه شيء يُحفظ فقط ويُتقن حفظه، ويكون ضابطا لحفظه، وينشأ وهو حسب ما تلقىٰ في الأماكن التي يتعلم فيها القرآن أنّ هذا هو المطلوب، إتقان الحفظ وضبط الحروف والمخارج وإتقانها، هذا هو المطلوب، ونشأ علىٰ هذا، لم يُربّ علىٰ العمل بالقرآن الكريم.

يقول: (قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾) لأجل هذا أنزل الله القرآن، ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب، ثم قال: (مَا تَدَبُّرُ آيَاتِهِ؟) هذا الذي أُنزل القرآن لأجله ما هو؟ ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النساء ٨٢، ومحمد ٢٤]، ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ﴾ [المؤمنون:٦٨].

ما هو التدبر؟ قال: (اتباعهُ بِعَمَلِهِ)، هذا هو، تفهم وتعمل، (اتباعهُ بِعَمَلِهِ، وَإِنَّ أَوْلَىٰ النَّاسِ بِهَذَا الْقُرْآنِ مَنِ

اتَّبَعَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ يَقْرَؤُهُ)، حتىٰ وإن كان غير حافظ، من كان يعمل بالقرآن هو أولىٰ الناس بالقرآن، ولهذا جاء في الحديث قال: «يُؤْتَىٰ بالقُرْآنِ يَومَ القِيامَةِ وأَهْلِهِ الَّذِينَ كانُوا يَعْمَلُونَ به» [صحيح مسلم، ذكره الشيخ مختصرا]، أما الذي لا يعمل به ليس من أهله، حتىٰ وإن أتقن حفظه لحروف القرآن، ليس من أهل القرآن، حتىٰ وإن قال الناس أنه من أهل القرآن لما يرون عليه من إتقان لحفظه حروف القرآن، هو ليس من أهل القرآن، لا يكون من أهل القرآن إلا بالعمل به، ولهذا يجزم الحسن يقول: (إِنَّ أَوْلَىٰ النَّاسِ بِهَذَا الْقُرْآنِ مَنِ اتَّبَعَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ يَقْرَؤُهُ)، وإن لم يكن حافظًا للقرآن.

أضرب لكم مثالا مر معنا قريبًا، آيات بر الوالدين الكثيرة في القرآن، من الأولىٰ بها؟ شخص يحفظها حفظًا متقنًا لا يخطئ في آية منها، أو آخر لو قلت له: اقرأ لي آية واحدة في بر الوالدين، يقول: ما أعرف، لكنه بار بوالديه، أي: الشخصين هؤلاء أولىٰ بهذه الآيات؟ ومن هو الذي يقال عنه أنه من أهل هذه الآيات؟ نعم؟ من الذي يقال عنه أنه من أهل هذه الآيات؟ شخص يحفظها كلها آيات البر لا يخطئ في آية منها، ولا يسقط منها حرفا، وفي درس التحفيظ يعطيه الأستاذ مائة بالمائة الدرجة، لكنه عاق لوالديه؟ يقرأ ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ﴾ [الإسراء:٢٣]، ولا يفوت عليه يوم إلا ويتأفف من والديه ويتضجر؟ وآخر ما يحفظ، لو تقول له: اقرأ لي آية واحدة من آيات بر الوالدين، ما يعرف، لكنه من أبر الناس بوالديه، من الأحق بهذه الآية؟

قال: (إِنَّ أَوْلَىٰ النَّاسِ بِهَذَا الْقُرْآنِ مَنِ اتَّبَعَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ يَقْرَؤُهُ)، لو كان الوقت يتَّسع، أحد الحاضرين يعرف قصة عجيبة لشاب في بادية، عامي، لكنه مضرب مثل في بر الوالدين، أمه فيها شيء من الاختلال في العقل، وأخذها في منطقة بعيدة عن الناس لأن عقلها.. ليس.. ترمل، فأخذها وأخذ يرعاها، يرعىٰ أمه، وقف علىٰ منظر آية في البر، وهذا لو قلت له: اقرأ آيات البر، ما يعرف، فالأخ كان معه كتاب في البر، وأخذ يقرأ عليه، فقرأ عليه أشياء ما يعرفها لكنه عامل بها تمامًا، في قصة عجيبة وهذا له أمثلة كثيرة، من أولىٰ الناس بهذه الآيات؟ الآيات التي فيها الأمر بإقام الصلاة والمحافظة عليها، من الأولىٰ بها؟ الشخص الذي ما تفوته الصلاة ومحافظ لها، أو الحافظ لحروف هذه الآيات ولا يعمل بها ومتهاون بالصلاة؟ من الأولىٰ؟

قال: (إِنَّ أَوْلَىٰ النَّاسِ بِهَذَا الْقُرْآنِ مَنِ اتَّبَعَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ يَقْرَؤُهُ)، وإن كان ما يحفظ، حتىٰ وإن كان ما يحفظ ولا آية واحدة، الذي فُرض علىٰ العباد ما يقيم به الإنسان صلاته، الفاتحة وبعض قصار السور، فقال: (إِنَّ أَوْلَىٰ النَّاسِ بِهَذَا الْقُرْآنِ مَنِ اتَّبَعَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ يَقْرَؤُهُ، يَقُولُ أَحَدُهُمْ) يعني: هؤلاء الذين حفظهم لمثل تلك الأغراض، (يَقُولُ أَحَدُهُمْ: يَا فُلَانُ تَعَالَ أُقَارِئُكَ! مَتَىٰ كَانَتِ الْقُرَّاءُ تَفْعَلُ هَذَا؟) يعني المقصد من القرآن: أنا أحفظ منك أو أنت أحفظ مني! أنا أتقن منك أو أنت أتقن مني!! متىٰ كان القرآن لأجل هذا!؟ وهل أُنزل

القرآن لأجل هذا الأمر؟ وهل فقِه هؤلاء ما أُنزل من أجله القرآن؟ (متىٰ كانت القراء تفعل هذا؟) القراء يطلق هذا علىٰ الصحابة، علىٰ أهل العلم والبصيرة والعمل، (متىٰ كانت القراء تفعل هذا؟ ما هم بالقراء)، يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: (مَا هُمْ بِالْقُرَّاءِ، وَلَا الْحُلَمَاءِ، وَلَا الْحُكَمَاءِ، لَا أَكْثَرَ اللهُ فِي النَّاسِ أَمْثَالَهُمْ، لا أكثر الله في الناس أمثالهم) يعني حتىٰ وإن كانوا علىٰ درجة من الحفظ والإتقان، إذا كان هذا غرضهم وهذا قصدهم في القرآن، هؤلاء ليسوا بقراء ولا بحكماء ولا بحلماء، لا كثر الله في الناس أمثالهم.

❀❀◈❀❀

١٠٩- أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْقَطَّانُ، قال: أَنْبَأَنا دَعْلَجُ بْنُ أَحْمَدَ، قال: حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ الصَّائِغُ، أَنَّ سَعِيدَ بْنَ مَنْصُورٍ حَدَّثَهُمْ، قال: حدثنا حُدَيْجٌ يَعْنِي ابْنَ مُعَاوِيَةَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَ: **قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَا يَغُرَّرْكُمْ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ، إِنَّمَا هُوَ كَلَامٌ يُتَكَلَّمُ بِهِ، وَلَكِنِ انْظُرُوا مَنْ يَعْمَلُ بِهِ.**

هذا الأثر يُروىٰ عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: (لا يغرركم من قرأ القرآن) يعني لا تغتر بمجرد حفظ الإنسان للقرآن، وأنه ختمه، أو أنهىٰ قراءته مثلًا علىٰ الشيوخ قراءة وإتقان...، لا تغتر بذلك، (لا يغرركم من قرأ القرآن، إنما هو كلام يتكلم به)، يعني شيء حفظه، هذا المراد بكلام تكلم به، يعني آيات حفظها، (ولكن انظروا من يعمل به)، فهؤلاء هم أهل القرآن، من يعمل بالقرآن، لأن القرآن أُنزل من أجل ذلك.

سبحانك اللّٰهُمَّ وبحمدك، أشهد ألا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، اللّٰهُمَّ صلّ وسلم علىٰ عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه.

المجلس الخامس

١٤٣٧/٠٧/٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله صلىٰ الله وسلم عليه وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين.

بَابٌ مَا قِيلَ فِي حِفْظِ حُرُوفِهِ وَتَضْيِيعِ حُدُودِهِ.

١١٠- أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ النَّجَّارُ، قَالَ: أَنْبَأنَا أَبُو الْحُسَيْنِ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُظَفَّرِ بْنِ مُوسَىٰ الْحَافِظُ، قال: حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْهَيْثَمِ، قال: حدثنا مَالِكُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَيْفٍ، قال: حدثنا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ، قال: حدثنا عُمَرُ بْنُ الصُّبْحِ، عَنْ يُونُسَ بْنِ عُبَيْدٍ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَنْ يَتْلُوَ الْقُرْآنَ مَنْ لَمْ يَعْمَلْ بِهِ». [قال الألباني: إسناده واه].

قال رَحِمَهُ اللهُ: (بَابٌ مَا قِيلَ فِي حِفْظِ حُرُوفِهِ وَتَضْيِيعِ حُدُودِهِ)، حفظ الحروف: أي إقامتها من حيث إتقان الحفظ وضبط المخارج ونحو ذلك، وتضييع الحدود: أي ما جاء في القرآن من أوامر ونواهي، وقد تقدم أنّ القرآن إنما أُنزل ليُعمل به ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٢٩﴾ [ص]، ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البقرة:١٢١]، ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ بالعمل بالقرآن، لأنّ العمل تلاوة للقرآن، ليست تلاوة القرآن مجرد إقامة الحروف؛ بل لا يكون المرء من أهل القرآن بمجرد الإقامة لحروفه، ما لم يعمل بالقرآن الذي إنما أنزل القرآن لأجله، الذي هو العمل، فهذه الترجمة في (ما قيل فيمن حفظ حروفه وضيَّع حدوده)، حفظ حروف القرآن: أي كان حظه من القرآن الحفظ للحروف مع الإضاعة للحدود، حدود القرآن التي هي الامتثال والاتِّباع والائتمار والانتهاء.

وأورد أولًا هذا الحديث، حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أنّ رسول الله ﷺ قال: (لَنْ يَتْلُوَ الْقُرْآنَ مَنْ لَمْ يَعْمَلْ بِهِ)، (لن يتلو القرآن): أي لن يكون من أهل تلاوة القرآن حقًّا، (من لم يعمل به)، وهذا فيه أن التلاوة لا تكون إلا بالعمل، والحديث إسناده ضعيف، وضعفه شديد فيه من هو متروك، لكن من حيث المعنىٰ فالذي لا يعمل بالقرآن ليس تاليًا للقرآن، قال الله تعالىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ فمن التلاوة الاتباع للقرآن، من التلاوة للقرآن الاتباع للقرآن، فإنّ الاتباع والعمل بما جاء في القرآن هذا من تلاوة القرآن.

ولهذا قال: ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢﴾ [الشمس]، أي تبعها، وهذا من معاني التلاوة، الاتباع هو من معاني التلاوة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [فاطر:٢٩]، يتلونه باتباعه والامتثال لأوامر القرآن، لا بمجرد

القراءة، بل بالامتثال والاتباع لهذا القرآن، فلا يتلو القرآن من لا يعمل به، لا يعد تاليًا للقرآن إلا إذا عمل بالقرآن، ولا يكون أيضًا من أهل القرآن إلا إذا عمل بالقرآن، وقد تقدم في قول الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ: (إن أولىٰ الناس بهذا القرآن من اتبعه، وإن لم يكن يقرؤه)، يعني: وإن لم يكن يقيم حروف القرآن، وقد ضربت هناك بعض الأمثلة توضح ذلك.

١١١- أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ الْعَطَّارُ، وَالْحَسَنُ بْنُ أَبِي بَكْرِ بْنِ شَاذَانَ، قَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ: حدثنا، وَقَالَ الْحَسَنُ: أَخْبَرَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللهِ الدَّقَّاقُ، قال: حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ غَالِبِ بْنِ حَرْبٍ، زَادَ عَبْدُ الْعَزِيزِ الضَّبِّيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي، وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ شَاذَانَ، قال: حَدَّثنا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قال: حدثنا صَدَقَةُ بْنُ مُوسَىٰ، وَالْحَسَنُ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ، قَالَا: حدثنا مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ، عَنْ ثُمَامَةَ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **أَتَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَىٰ قَوْمٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ، كُلَّمَا قُرِضَتْ وَفَتْ، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: خُطَبَاءُ مِنْ أُمَّتِكَ الَّذِينَ يَقُولُونَ وَلَا يَفْعَلُونَ، وَيَقْرَؤُونَ كِتَابَ اللهِ وَلَا يَعْمَلُونَ** [قال الألباني: إسناده حسن، وهو في صحيح الجامع].

هذا الحديث حديث أنس، قال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ إسناده حسن، قال: (قال رسول الله ﷺ: «**أتيت ليلة أُسري بي علىٰ قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار**»)، وهذا مبني علىٰ قاعدة الشريعة في الثواب والعقاب، أنّ الجزاء من جنس العمل.

«**تُقرض شفاههم بمقاريض من نار، كلما قُرضت وفت**»، يعني تعود كما كانت ثم تُقرض أخرىٰ وتعود ثم تقرض أخرىٰ وهكذا، «**كلما قُرضت وفت، فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟**» يعني الذين يعاقبون بهذه العقوبة من هم؟ (قال: «**خطباء من أمتك، الذين يقولون ولا يفعلون، ويقرؤون كتاب الله ولا يعملون**»، «**يقولون ولا يفعلون**») ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾ [الصف]، فهؤلاء الذين هذا شأنهم، خطباء في الأمة يقولون ما لا يفعلون، يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم، «**ويقرؤون**» القرآن «**كتاب الله ولا يعملون**» به، فيعاقبون يوم القيامة بهذه العقوبة، أن تُقرض شفاههم بمقاريض من نار، ثم إذا قرضت وفت، ثم تقرض، ثم إذا قرضت وفت... وهكذا تستمر هذه العقوبة.

١١٢- أَخْبَرَنَا الْحَسَنُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، قَالَ: أَنْبَأَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ مِنْجَابٍ الطِّيبِيُّ، قال: حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ أَيُّوبَ الْبَجَلِيُّ، قَالَ: أَنْبَأَنَا أَبُو بَكْرٍ يَعْنِي ابْنَ أَبِي شَيْبَةَ، قال: حدثنا عَبْدُ اللهِ بْنُ نُمَيْرٍ، قال: حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**يُمَثَّلُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**

رَجُلًا، فَيُؤْتَىٰ بِالرَّجُلِ قَدْ حَمَلَهُ فَخَالَفَ أَمَرَهُ، فَيَنْتَتِلَ لَهُ خَصْمًا، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ حَمَّلْتَهُ إِيَّايَ فَبِئْسَ حَامِلٌ، تَعَدَّىٰ حُدُودِي وَضَيَّعَ فَرَائِضِي، وَرَكِبَ مَعْصِيَتِي، وَتَرَكَ طَاعَتِي... فَمَا يَزَالُ يَقْذِفُ عَلَيْهِ بِالْحُجَجِ حَتَّىٰ يُقَالُ: فَشَأْنُكَ. فَيَأْخُذُ بِيَدِهِ فَمَا يُرْسِلُهُ حَتَّىٰ يَكُبَّهُ عَلَىٰ مِنْخَرِهِ فِي النَّارِ، وَيُؤْتَىٰ بِالرَّجُلِ الصَّالِحِ قَدْ كَانَ حَمَلَهُ وَحَفِظَ أَمَرَهُ، فَيَنْتَتِلَ خَصْمًا دُونَهُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ حَمَّلْتَهُ إِيَّايَ فَحَفِظَ حُدُودِي، وَعَمِلَ بِفَرَائِضِي، وَاجْتَنَبَ مَعْصِيَتِي، وَاتَّبَعَ طَاعَتِي، فَمَا يَزَالُ يَقْذِفُ لَهُ بِالْحُجَجِ حَتَّىٰ يُقَالَ: شَأْنُكَ بِهِ. فَيَأْخُذُ بِيَدِهِ فَمَا يُرْسِلُهُ حَتَّىٰ يُلْبِسَهُ حُلَّةَ الْإِسْتَبْرَقِ، وَيَعْقِدَ عَلَيْهِ تَاجَ الْمُلْكِ، وَيَسْقِيَهُ كَأْسَ الْخَمْرِ» [قال الألباني: إسناده ضعيف].

في الحديث جملة يعني زائدة، (وَاتَّبَعَ طَاعَتِي، فَمَا يَزَالُ يَقْذِفُ لَهُ بِالْحُجَجِ حَتَّىٰ يُقَالَ: شَأْنُكَ بِهِ). هذا الحديث يشهد له في الجملة ما جاء في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**والقرآن حجة لك أو عليك**» [صحيح مسلم]، فإنّ المرء إذا كان يحفظ القرآن، يحمل القرآن حفظًا وتلاوةً، لكنه يتعدىٰ حدود القرآن، ويضيع الفرائض، ويرتكب المعاصي، ويترك الطاعة... فالقرآن حجة عليه، وخصم له يوم القيامة.

وأما إذا كان الرجل من حملة القرآن، مقيمًا للقرآن، ممتثلًا أوامره، منتهيًا عن نواهيه، عاملًا بالقرآن...، فإن القرآن يكون خصمًا له لا خصمًا عليه، ولهذا جاء: (فينتتل)، أي: يتقدم ويبرز خصمًا له مدافعًا عنه، وكما قدمت يشهد لهذا في الجملة قول النبي ﷺ: «**والقرآن حجة لك أو عليك**» حجة لك إن عملت به، وحجة عليك إن لم تعمل به.

١١٣- أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدِ بْنِ رِزْقٍ الْبَزَّازُ، وَأَبُو الْحُسَيْنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْمُعَدِّلِ، قَالَا: أَنْبَأَنَا أَبُو عَلِيٍّ إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الصَّفَّارُ، قال: حدثنا أَبُو يَحْيَىٰ زَكَرِيَّا بْنُ يَحْيَىٰ بْنِ أَسَدٍ الْمَرْوَزِي.

ح وأَنْبَأَنَا الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ أَحْمَدَ الْحَرَشِيُّ، قال: حدثنا أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ الْأَصَمُّ، قال: حدثنا زَكَرِيَّا بْنُ يَحْيَىٰ الْمَرْوَزِيُّ، قال: حدثنا مَعْرُوفٌ الْكَرْخِيُّ، قَالَ: قَالَ بَكْرُ بْنُ خُنَيْسٍ: إِنَّ فِي جَهَنَّمَ لَوَادِيًا تَتَعَوَّذُ جَهَنَّمُ مِنْ ذَلِكَ الْوَادِي كُلَّ يَوْمٍ سَبْعَ مَرَّاتٍ، وَإِنَّ فِي الْوَادِي لَجُبًّا يَتَعَوَّذُ الْوَادِي وَجَهَنَّمُ مِنْ ذَلِكَ الْجُبِّ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعَ مَرَّاتٍ، وَإِنَّ فِي الْجُبِّ لَحَيَّةً يَتَعَوَّذُ الْجُبُّ وَالْوَادِي وَجَهَنَّمُ مِنْ تِلْكَ الْحَيَّةِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعَ مَرَّاتٍ، يَبْدَأُ بِفَسَقَةِ حَمَلَةِ الْقُرْآنِ، فَيَقُولُونَ: أَيْ رَبِّ بَدْءٌ بِنَا قَبْلَ عَبْدَةِ الْأَوْثَانِ؟ قِيلَ لَهُمْ: لَيْسَ مَنْ يَعْلَمُ كَمَنْ لَا يَعْلَمُ.

نعم، هذا الخبر مقطوع، بكر بن خنيس كم بينه وبين النبي عليه الصلاة والسلام!؟ فمثل هذا لا يُعتمد عليه، لكن العقوبات أو العقوبة لمن لا يعمل بالقرآن ولا يعمل بالعلم الذي تعلمه جاءت بها نصوصٌ أخرىٰ ثابتة.

أقصد بالعقوبات ليست بالتفصيل الذي ذكر هنا، وإنما جاءت عقوبات في هذا مر معنا شيء منها.

١١٤- أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَحْمَدَ الْقَزْوِينِيُّ، قَالَ: أَنْبَأَنَا عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَلَمَةَ الْقَطَّانُ، قال: حدثنا أَبُو حَاتِمٍ الرَّازِيُّ، قال: حدثنا هُدْبَةُ، قال: حدثنا سَلَّامٌ يَعْنِي ابْنَ أَبِي مُطِيعٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَيُّوبَ السَّخْتِيَانِيَّ يَقُولُ: لَا خَبِيثَ أَخْبَثُ مِنْ قَارِئٍ فَاجِرٍ.

هذا الأثر عن أيوب رحمة الله عليه، يقول: (لَا خَبِيثَ أَخْبَثُ مِنْ قَارِئٍ فَاجِرٍ)، أي: أنّ القارئ إذا كان فاجرًا فإن خبثه خبث شديد، لأنّ معه القرآن، والقرآن أكبر زاجر وأعظم رادع ومانع من فعل المعاصي وارتكاب الذنوب، بما فيه من الزواجر العظيمة والقوارع العظيمة، فإذا كان قارئ للقرآن وفاجر والعياذ بالله، فهذا من أخبث الناس، خبثه شديد، لأنه عنده أعظم زاجر للبعد عن الفجور.

١١٥- وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ: حدثنا هُدْبَةُ، قال: حدثنا حَزْمٌ هُوَ الْقُطَعِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ مَالِكَ بْنَ دِينَارٍ يَقُولُ: لَأَنَا لِلْقَارِئِ الْفَاجِرِ أَخْوَفُ مِنِّي مِنَ الْفَاجِرِ الْمُبْرِزِ بِفُجُورِهِ، إِنَّ هَذَا أَبْعَدُهُمَا غَوْرًا.

(الفاجر المُبرز) يعني المجاهر بفجوره، يبرز فجوره يظهره، فيقول: أنا أخوف علىٰ القارئ الفاجر من المجاهر بفجوره! يقول: لأنّ (هذا أبعدهما غورًا)، فالقارئ الفاجر خبثه شديد، لأنّ قراءته للقرآن بها حمل أكبر زاجر عن الفجور وعن الفسق.

١١٦- أَخْبَرَنِي أَبُو الْقَاسِمِ بَكْرَانُ بْنُ الطِّيبِ بْنِ الْحَسَنِ السَّقَطِيُّ، بِجَرْجَرَايَا، قال: حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ يَعْقُوبَ الْمُفِيدُ، قال: حدثنا أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ، وَأَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْمُثَنَّىٰ، قَالَا: حدثنا عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ يَزِيدَ، قَالَ: سَمِعْتُ الْفُضَيْلَ، يَقُولُ: إِنَّمَا نَزَلَ الْقُرْآنُ لِيُعْمَلَ بِهِ فَاتَّخَذَ النَّاسُ قِرَاءَتَهُ عَمَلًا، قَالَ: قِيلَ كَيْفَ الْعَمَلُ بِهِ؟ قَالَ: أَيْ لِيُحِلُّوا حَلَالَهُ وَيُحَرِّمُوا حَرَامَهُ، وَيَأْتَمِرُوا بِأَوَامِرِهِ، وَيَنْتَهُوا عَنْ نَوَاهِيهِ، وَيَقِفُوا عِنْدَ عَجَائِبِهِ.

هذا الأثر عن الفضيل، وهو ابن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ، من أئمة التابعين، يقول: (إنما أنزل القرآن ليُعمل به)، احفظوا هذا الأثر، (إنما أُنزل القرآن ليُعمل به)، هذا أثر عظيم جدًّا ونافع للغاية، (إنما أنزل القرآن ليعمل به)، والدليل قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص] يتدبروا آياته لأجل يفهموا القرآن ويعملوا بالقرآن، فالقرآن أنزل ليُعمل به.

قال: (فاتخذ الناس قراءته عملًا)، يعني اكتفوا من القرآن بمجرد التلاوة والإقامة للحروف، وأصبح هذا

حظهم منه، حتىٰ إنّ الرجل ليُقال: إنه من أهل القرآن لا لشيء إلا لضبطه لحروف القرآن وإتقانه لها، وإن كان فيه ما فيه من الإضاعة لحدود الله والتهاون بالفرائض والارتكاب للمحرمات... ونحو ذلك، (اتخذ الناس قراءته عملًا)، إذا كان الفضيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: (اتخذ الناس قراءته عملًا)، وهو في زمن التابعين، يقول: (اتخذ الناس قراءته عملًا)، مما قد رآه أو عاينه في بعضهم من تهاون وتقصير، أشار إلىٰ أمثلة منه في بعض الآثار المروية عنه، حتىٰ إنه قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن أحدهم ليقول: قرأت القرآن ولم أسقط منه حرفًا. علىٰ سبيل المفاخرة، يقول: حتىٰ إن أحدهم ليقول: قرأت القرآن ولم أسقط منه حرفًا، وقد أسقطه والله كله! لا يُرىٰ فيه القرآن، لا في خُلُق، ولا في عمل.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا والله ما هؤلاء بالقراء، ولا العلماء، ولا الحكماء! فإذا كان يقول ذلك في ذاك الزمان، يقول: (اتخذ الناس قراءته عملًا. قال: قيل: كيف العمل به؟) ما منشأ هذا السؤال؟ (قيل: كيف العمل به؟) منشأ هذا السؤال عِظم وقع كلمته رَحِمَهُ ٱللَّهُ، كلمته عظيمة جدًا، قال: (إِنَّمَا نَزَلَ الْقُرْآنُ لِيُعْمَلَ بِهِ، فَاتَّخَذَ النَّاسُ قِرَاءَتَهُ عَمَلًا، قِيلَ: كَيْفَ الْعَمَلُ بِهِ؟ قَالَ: أَيْ لِيُحِلُّوا حَلَالَهُ وَيُحَرِّمُوا حَرَامَهُ، وَيَأْتَمِرُوا بِأَوَامِرِهِ، وَيَنْتَهُوا عَنْ نَوَاهِيهِ، وَيَقِفُوا عِنْدَ عَجَائِبِهِ)، هذا هو العمل بالقرآن، لا مجرد الحفظ والإقامة لحروف القرآن.

٭٭٭

١١٧- أَخْبَرَنِي أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ عِيسَىٰ بْنِ يَحْيَىٰ الْبَلَدِيُّ، قَالَ: أنبأَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ الْفَضْلِ بْنِ يُونُسَ الْخَيَّاطُ، بِالْمَوْصِلِ، قال: حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي الْمُثَنَّىٰ، قال: حدثنا قَبِيصَةُ بْنُ عُقْبَةَ، عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ أَبِي رَزِينٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البقرة:١٢١] قَالَ: يَتَّبِعُونَهُ حَقَّ اتباعهِ، يَعْمَلُونَ بِهِ حَقَّ عَمَلِهِ.

١١٨- أَخْبَرَنَا الْقَاضِي أَبُو مُحَمَّدٍ يُوسُفُ بْنُ رَبَاحِ بْنِ عَلِيٍّ الْبَصْرِيُّ، قال حدثنا أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُحْسِنِ بْنِ الْحُسَيْنِ الْأَزْدِيُّ بِمِصْرَ، قَالَ: أخبرنَا الْعَبَّاسُ بْنُ أَحْمَدَ الْخَوَاتِيمِيُّ، بِطَرَسُوسَ، قال: حدثنا الْعَبَّاسُ بْنُ الْفَضْلِ الْأَرْسُوفِيُّ، قال: حدثنا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، قال: حدثنا نَصْرُ بْنُ عِيسَىٰ، قال: حدثنا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ [البقرة:١٢١] قَالَ: «يَتَّبِعُونَهُ حَقَّ اتباعهِ». [قال الألباني: إسناده ضعيف].

هذا الأثر عن أبي رزين في قوله (﴿ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ قَالَ: يَتَّبِعُونَهُ حَقَّ اتباعهِ، يعملون به حق عمله)، هذا في معنىٰ هذه الآية ﴿ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾، وقد جاء عن غير واحد من أئمة التفسير من الصحابة والتابعين تفسير الآية بهذا، يُعلم بذلك من مطالعة كتب التفسير بالمأثور، وفي مقدمتها تفسير ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، نقل آثار عديدة عن السلف بهذا المعنىٰ ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ أي: يعملون به، يتبعونه بامتثال الأوامر

والانتهاء عن النواهي، قال: ﴿ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ أي: (يتبعونه حق اتباعه، يعملون به حق عمله).

ثم ساقه في الرواية الأخرىٰ مرفوعًا إلىٰ النبي عليه الصلاة والسلام، وإسناده ضعيف كما بيَّن الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ، وقال: إنّ الحديث رواه ابن جرير والحاكم موقوفًا علىٰ ابن عباس، وهو الصواب، وهذا الأثر كما قدمت جاء عن غير واحد من السلف رحمهم الله تعالىٰ تفسيرًا لقوله: ﴿ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾، وهذا فيه أنّ العمل بالقرآن يُعدّ من التلاوة للقرآن، يُعدّ من التلاوة للقرآن العمل بالقرآن، فالعامل بالقرآن يُعدّ تاليًا للقرآن، الصلاة تلاوة للقرآن، بر الوالدين تلاوة للقرآن، البعد عن الغيبة والنميمة والسخرية ومجانبة هذه الأشياء تلاوة للقرآن، اتباع للقرآن، فالتلاوة من معانيها الاتباع ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢﴾[الشمس] أي تبعها، فلا يكون المرء تاليا للقرآن حقًا إلا بالعمل به.

بَابٌ ذَمُّ التَّفَقُّهِ لِغَيْرِ الْعِبَادَةِ

١١٩- أَخْبَرَنَا أَبُو سَعِيدٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَىٰ بْنِ الْفَضْلِ بْنِ شَاذَانَ الصَّيْرَفِيُّ بِنَيْسَابُورَ، قال: حدثنا أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ الْأَصَمُّ، قال أَخْبَرَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ مَزِيدَ الْبَيْرُوتِيُّ، قَالَ :أَخْبَرَنِي أَبِي، قال: حدثنا الْأَوْزَاعِيّ قَالَ: أُنْبِئْتُ أَنَّهُ كَانَ يُقَالُ: وَيْلٌ لِلْمُتَفَقِّهِينَ لِغَيْرِ الْعِبَادَةِ، وَالْمُسْتَحِلِّينَ الْحُرُمَاتِ بِالشُّبُهَاتِ.

قال: (بَابٌ ذَمُّ التَّفَقُّهِ لِغَيْرِ الْعِبَادَةِ)، جاء في الحديث أنّ نبينا عليه الصلاة والسلام قال: «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**» [صحيح البخاري ومسلم]، لأنّ التفقه في الدين هو باب العمل، باب العمل «**من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلىٰ الجنة**» [صحيح مسلم]، لأنّ العلم النافع يثمر العمل الصالح، فمن كان يتفقه لغير هذا القصد، يتفقه لغير العبادة، لغير العمل، والأغراض كثيرة، فهذه الترجمة عقدها رَحِمَهُ اللَّهُ لذم من تفقه لغير العبادة، وأورد عن الأوزاعي قال: (أُنْبِئْتُ أَنَّهُ كَانَ يُقَالُ: وَيْلٌ لِلْمُتَفَقِّهِينَ لِغَيْرِ الْعِبَادَةِ، وَالْمُسْتَحِلِّينَ الْحُرُمَاتِ بِالشُّبُهَاتِ)، يعني يتبع الشبهات يجعلها سلمًا له لتحليل الحرام.

١٢٠- أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَوْهَرِيُّ، قال:حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْخَزَّازُ، قال: حدثنا يَحْيَىٰ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ صَاعِدٍ، قال: حدثنا الْحُسَيْنُ بْنُ الْحَسَنِ الْمَرْوَزِيُّ، قَالَ: أَنْبَأَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ، قَالَ: أَنْبَأَنَا بَكَّارُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: سَمِعْتُ وَهْبَ بْنَ مُنَبِّهٍ يقُولُ: قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ فِيمَا يَعِيبُ بِهِ أَحْبَارَ بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَتَفَقَّهُونَ لِغَيْرِ الدِّينِ، وَتَعَلَّمُونَ لِغَيْرِ الْعَمَلِ، وَتَبْتَاعُونَ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ، تَلْبَسُونَ جُلُودَ الضَّأْنِ وَتُخْفُونَ أَنْفَسَ الذِّئَابِ، وَتُنَقُّونَ الْقَذَىٰ مِنْ شَرَابِكُمْ، وَتَبْتَلِعُونَ أَمْثَالَ الْجِبَالِ مِنَ الْحَرَامِ، وَتُثَقِّلُونَ الدِّينَ عَلَىٰ النَّاسِ أَمْثَالَ الْجِبَالِ، وَلَا تُعِينُونَهُمْ بِرَفْعِ الْخَنَاصِرِ، تُطَوِّلُونَ الصَّلَاةَ وَتُبَيِّضُونَ الثِّيَابَ، وَتَغْتَصِبُونَ مَالَ الْيَتِيمِ وَالْأَرْمَلَةِ، بِعِزَّتِي حَلَفْتُ لَأَضْرِبَنَّكُمْ

بِفِتْنَةٍ يَضِلُّ فِيهَا رَأْيُ كُلِّ ذِي رَأْيٍ، وَحِكْمَةُ الْحَكِيمِ.

نعم، هذا من الإسرائيليات كما ذكر، قال: من أخبار بني إسرائيل، قال: (قال الله فيما يعيب به أحبار بني إسرائيل)، فهذا من الروايات التي تروىٰ عن بني إسرائيل، وفيه معاني عند الوقوف والتأمل فيه معاني واضحة من حيث استقامة المعنىٰ، وفيه معاني تحتاج إلىٰ تأمل.

١٢١- أَخْبَرَنَا الْحَسَنُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، قَالَ :أَخْبَرَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ الدَّقَّاقُ، قال: حدثنا الْحَسَنُ بْنُ سَلَّامٍ، قال: حدثنا أَبُو نُعَيْمٍ، قال: حدثنا أَبُو الْجَابِيَةِ الْفَرَّاءُ، قَالَ: قَالَ الشَّعْبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: إِنَّا لَسْنَا بِالْفُقَهَاءِ، وَلَكِنَّا سَمِعْنَا الْحَدِيثَ فَرَوَيْنَاهُ، وَلَكِنَّ الْفُقَهَاءَ مَنْ إِذَا عَلِمَ عَمِلَ.

نعم، هذا من تواضع السلف رحمهم الله، بخلاف غيرهم، يكون عنده شيء قليل من العلم مع ضعف العمل، ويتفاخر أنا وأنا، وهؤلاء مع ما منّ الله عليهم به من العلم والعمل كانوا يتواضعون ولا يتفاخرون، قال: (إنا لسنا بالفقهاء، ولكن سمعنا الحديث فرويناه، ولكنّ الفقهاء من إذا علم عمل).

١٢٢- حَدَّثنا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخَلَّالُ، قال: حدثنا عُمَرُ بْنُ أَحْمَدَ الْوَاعِظُ، قال: حدثنا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ، قال: أخبرنَا الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ مَزِيدَ، قال: حدثنا أَبِي، قَالَ: سَمِعْتُ الْأَوْزَاعِيَّ يَقُولُ: إِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ شَرًّا فَتَحَ عَلَيْهِمُ الْجَدَلَ وَمَنَعَهُمُ الْعَمَلَ.

هذا يشهد له ما جاء في الحديث: «**ما ضل قوم بعد هدىً كانوا عليه إلا أوتوا الجدل، ثم تلا ﴿ما ضربوه لك إلا جدلا﴾**» [حسنه الألباني في شرح الطحاوية].

١٢٣- أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ الْحُسَيْنُ بْنُ جَعْفَرٍ السَّلَمَاسِيُّ، قَالَ: أنبأنا أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ شَاذَانَ، قال: حدثنا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ الْوَسَاوِسِيُّ، قال: حدثنا عَبْدُاللهِ بْنُ خُبَيْقٍ، قَالَ: سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ الْبَكَّاءَ، يَقُولُ: سَمِعْتُ مَعْرُوفَ بْنَ فَيْرُوزَ الْكَرْخِيَّ يَقُولُ: إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا فَتَحَ لَهُ بَابَ الْعَمَلِ، وَأَغْلَقَ عَنْهُ بَابَ الْجَدَلِ، وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ شَرًّا فَتَحَ لَهُ بَابَ الْجَدَلِ، وَأَغْلَقَ عَنْهُ بَابَ الْعَمَلِ.

الآن بعض الناس، حتىٰ من يُقال عنهم طلاب علم، تجده مثلًا في الليل يسهر في نقاش وجدال وأشياء من هذا القبيل، وينام عن صلاة الفجر، ربما لا يصليها إلا بعد طلوع الشمس، وهو في الليل في جدال وفي نقاش وأشياء من هذا القبيل، فـ(إذا أراد الله بعبده خيرًا فتح له باب العمل وأغلق عنه باب الجدل، وإذا أراد بعبده شرًا فتح به باب الجدل وأغلق عنه باب العمل)، تكون النفس غير مقبلة علىٰ العبادة والعمل، غير مقبلة علىٰ

ذلك، وإذا فتح باب الجدل خاض فيه ولو بالساعات الطوال، وإذا جاءت العبادة ثقلت عليه.

١٢٤- أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ أَحْمَدَ الْوَاعِظُ، قَالَ :حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: حدثنا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمِصْرِيُّ، قال: حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ زَيْدَانَ بْنِ سُوَيْدٍ، قَالَ: حدثنا أَبُو نُعَيْمٍ الْفَضْلُ بْنُ دُكَيْنٍ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَىٰ زُفَرَ وَقَدْ غَرْغَرَتْ نَفْسُهُ فِي صَدْرِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيَّ فَقَالَ لِي: يَا أَبَا نُعَيْمٍ، وَدِدْتُ أَنَّ الَّذِي كُنَّا فِيهِ كَانَ تَسْبِيحًا.

نعم، هذا نظير ما تقدم مما كان عليه السلف رحمهم الله تعالىٰ مع ما أوتوا من العلم والعبادة والإكثار من ذكر الله ﷻ، قال: (يا أبا نعيم، وددت أن الذي كنا فيه كان تسبيحًا)، والذي كانوا فيه من التسبيح، العلم الذي يتبعه العمل هو من التسبيح، هو من ذكر الله ﷻ، ولهذا جاء عن أبي السوار العدوي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ، مرة كان في مجلس يتذاكرون يفقه الناس في الدين، فكان في المجلس فتىٰ فقال: يا قوم قولوا: سبحان الله، قولوا: الحمد لله - وهم في مجلس فقه، ومذاكرة وتعلم - فقطع هذا المجلس وقال: يا قوم قولوا: سبحان الله، قولوا: الحمد لله. فغضب أبو السوار العدوي رَحِمَهُ اللَّهُ، وقال: ويحك في أي شيء كنا إذن!؟ أنّ هذا العلم والتفقه هو من ذكر الله، ولهذا في الحديث قال عليه الصلاة والسلام: «**إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا**» قيل: وما رياض الجنة؟ قال: «**حلق الذكر**» [صحيح الترمذي]، المراد بحلق الذكر أي مجالس العلم والحلال والحرام، وبيان القرآن وبيان السنة، وتفقيه الناس في دين الله ﷻ.

والكتاب بقي فيه بقية، لعل الله ﷻ ييسر لها مجلسا ثالثا نستكمل فيه ما بقي من الكتاب.

نسأل الله أن ينفعنا بما علمنا، وأن يزيدنا علمًا، وأن يصلح لنا شأننا كله، وألا يكلنا إلىٰ أنفسنا طرفة عين، وأن يغفر لنا ولوالدينا ولمشايخنا ولولاة أمرنا وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات، إنه تبارك وتعالىٰ غفور رحيم.

سبحانك اللّٰهُمَّ وبحمدك، أشهد ألا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، اللّٰهُمَّ صل وسلم علىٰ عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه.

المجلس السادس

١٤٤١/١٠/٠٧

بَابُ كَرَاهِيَةِ طَلَبِ الْحَدِيثِ لِلْمُفَاخَرَةِ وَعَقْدِ الْمَجَالِسِ وَاتِّخَاذِ الْأَتْبَاعِ وَالْأَصْحَابِ بِرِوَايَتِهِ

١٢٥- أَخْبَرَنَا الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ أَحْمَدَ الْحِيرِيُّ بِنَيْسَابُورَ، قَالَ: أنبأَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ حَاجِبُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ يَرْحُمَ بْنِ سُفْيَانَ الطُّوسِي، قال: أنبأنا مُحَمَّدُ بْنُ حَمَّادٍ هُوَ الْأَبِيوَرْدِيُّ، قَالَ: حدثنا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، عَنْ سُلَيْمَانَ التَّمِيمِيِّ، عَنْ سَيَّارٍ، عَنْ عَائِذِ اللهِ، قَالَ: الَّذِي يَتَّبِعُ الْأَحَادِيثَ لِيُحَدِّثَ بِهَا لَا يَجِدُ رِيحَ الْجَنَّةِ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله، اللّٰهُمَّ صلّ وسلم علىٰ عبدك ورسولك نبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد.. تذكيرًا بقيمة هذا الكتاب ومكانته، كتاب «اقتضاء العلم العمل» للخطيب البغدادي رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ، هذا الكتاب فريد في بابه، نفيس في مراده ومقصوده، وفيه من خلال ما عقده مصنفه رَحِمَهُ اللهُ، فيه من أبواب شحذٌ للهمم إلىٰ العناية بمقصود العلم وهو العمل، فإنّ مقصود العلم العمل، وثمرة العلم العمل، وأما من كان يستكثر من العلم بلا عناية بالعمل فإنما يستكثر من حجج الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عليه، كما جاء هذا المعنىٰ أو قريبًا منه عن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وأرضاها.

قال رَحِمَهُ اللهُ: (بَابُ كَرَاهِيَةِ طَلَبِ الْحَدِيثِ لِلْمُفَاخَرَةِ وَعَقْدِ الْمَجَالِسِ وَاتِّخَاذِ الْأَتْبَاعِ وَالْأَصْحَابِ بِرِوَايَتِهِ)، هذا من خوارم النية في طلب العلم، وطلب العلم من أجلّ القُرب وأعظم العبادات؛ بل كما قال بعض السلف: ما عُبد الله بمثل طلب العلم، والعبادة لا تكون مقبولة إلا بالإخلاص.

كما قال الله جلّ وعلا في الحديث القدسي: «**أنا أغنىٰ الشركاء عن الشرك، من عمل عملًا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**» [صحيح مسلم]، أي: أنّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يقبل عمله، فإذا كان من يطلب الحديث إنما يطلبه للمفاخرة، والمباهاة، ومجرَّد عقد المجالس، وتكثير الأتباع، وطلب المَحمدة والثناء من الناس... ونحو ذلك من المعاني، فهذا كله من خوارم النية ومُفسداتها، والطلب للعلم يحتاج من طالب العلم إلىٰ مداومة معالجة نيته، فإنّ النية تتفلت، ويأتيها ما يأتيها من أمورٍ تصرفها عن صلاحها، وقصد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالعمل.

أوْرد رَحِمَهُ اللهُ أولًا هذا الأثر: (عن عائذ الله)، وهو أبو إدريس الخولاني رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ، من أئمة التابعين، وأجلّة أهل العلم، ومن فقهاء الإسلام، أنه قال رَحِمَهُ اللهُ: (الَّذِي يَتَّبِعُ الْأَحَادِيثَ لِيُحَدِّثَ بِهَا لَا يَجِدُ رِيحَ الْجَنَّةِ)، هذا الأثر عن أبي إدريس الخولاني فُهم منه معنيان: المعنىٰ الأول الذي بوَّب المصنف هنا لأجله هذه الترجمة، وصدّر

به الآثار التي أوردها فيها، وهو أنّ المعنىٰ في الأثر: (الذي يتبع الأحاديث)، أي: أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام، (ليُحدث بها) الناس، أي: ليس له مُرادٌ إلا تحديث الناس، ليس له مراد في إصلاح نفسه وإقامتها علىٰ العبادة والطاعة والعمل بالعلم، وإنما مقصده تحديث الناس، وهذا المعنىٰ للأثر فهمه غير واحد، منهم الإمام ابن أبي شيبة في «مصنفه»، حيث أورده تحت باب (الرجل يطلب العلم يريد به الناس ويحدث به) أي: أنّ هذه همته ومراده من اتباع الحديث: أي طلب الحديث، يتّبع الحديث: أي: يطلبه ويتعلمه، ليستكثر من الأحاديث والشيوخ (ليُحدّث)، مراده أن يقال عنه المحدِّث فلان، (ليُحدّث به) الناس، وهذا من خوارم النية.

المعنىٰ الثاني الذي فُهم من هذا الأثر: فهمه بعض رواته كما جاء في اعتلال القلوب للخرائطي، ومساوئ الأخلاق أيضًا، قال بعض رواته: يعني النميمة أو النمام، يعني النمام، ويكون المعنىٰ: (الذي يتبع الأحاديث) أي أحاديث الناس، وليس أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام.

(يتّبع الأحاديث) أي أحاديث الناس، يبحث عنها يسأل عنها، (ليُحدث بها) أي: علىٰ وجه النميمة والإفساد بين الناس، (لا يجد ريح الجنة)، ويشهد لهذا المعنىٰ من حيث الجملة ما ثبت في الصحيح أنّ النبي ﷺ قال: «**لا يدخل الجنة نمام**» [صحيح مسلم]، وفي رواية «**قتات**» [متفق عليه]، والقتّات هو النمام.

١٢٦- أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ الْحَسَنِ الشَّاهِدُ، بِالْبَصْرَةِ، قال: حدثنا عَلِيُّ بْنُ إِسْحَاقَ الْمَادِرَائِيُّ، قال: حدثنا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخَلِيلِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ، قال: حدثنا خَالِدُ بْنُ الْحَارِثِ الْهُجَيْمِيُّ قَالَ: قِيلَ لِابْنِ شُبْرُمَةَ: حَدِّثْ تُؤْجَرُ، فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

يُمَنُّونِي الْأَجْرَ الْجَزِيلَ وَلَيْتَنِي نَجَوْتُ كَفَافًا لَا عَلَيَّ وَلَا لِيَا

أيضًا مما يتعلق بأثر أبي إدريس الخولاني، المعنىٰ الذي ذكره جاء عن غير واحد، ومن ذلك ما جاء عن أبي ذر رضي الله عنه، طلبوا منه التحديث فقال: **هذه الأحاديث التي يُبتغىٰ بها وجه الله، لا يتعلمها أحد لا يريد بها إلا عرض الدنيا فيجد عرف الجنة.** [تقريب الزهد لابن المبارك بألفاظ قريبة جدا] أي: ريحها، وهذا المعنىٰ يأتي عن غير واحد من السلف رحمهم الله تعالىٰ.

ثم أورد هذا الأثر عن ابن شبرمة، هو عبد الله بن شبرمة الضبي، الإمام العلامة فقيه العراق، أنه قيل له: (حدِّث تؤجر)، هنا الطلب جاء علىٰ وجهٍ صحيح، طُلِب من إمام ومحدِث مشتغل بالحديث ومميِّز له وعلىٰ علم ودراية، طُلِب منه أن يُحدث، (قيل: حدِّث تؤجر)، ومن ورعه رحمه الله أنشأ يقول:

(يُمَنُّونِي الْأَجْرَ الْجَزِيلَ وَلَيْتَنِي نَجَوْتُ كَفَافًا لَا عَلَيَّ وَلَا لِيَا)

أقول: سبحان الله! إذا كان قال هذه الكلمة هذا الإمام الفقيه المُحدِّث، لما قالوا له: (حدِّث تؤجر)، أنشا هذا البيت، (يمنونني الأجر الجزيل وليتني) يعني أتمنىٰ أن يكون الأمر نجاة و(كفافًا)، كفاف يفسره ما بعده، (لا عليّ ولا ليا، لا علي) إثم، (ولا ليا) أي أجر الذي يمنونه به، أن يسلم فقط ينجو، وهذا من ورع السلف وشدة خوفهم رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

أقول: إذا كان هذا الإمام قال هذه الكلمة عندما قيل له: (حدِّث تؤجر)، والكلمة لها انتشار الآن واسع في زماننا مع وسائل الاتصال، الرسائل التي يتناقلها الناس، كثيرًا ما تذيَّل بعض الفوائد أو حتىٰ بعض الأحاديث بـ (انشر تؤجر) ثم يتوارد الناس علىٰ نشر هذا الذي يؤمِّلون ويتمنون أن ينالوا بذلك أجرًا، ثم هذا الذي ينشرونه أولًا: لا يدرون ما هو؟ إن كان حديثًا لا يعرفون صحته من ضعفه، وإن كان حُكمًا فقهيًا لا يعرفون استقامته، وإن كان نقلًا عن إمام من الأئمة لا يعرفون شيئا عن ثبوته؛ بل الكثير منهم لو أراد أن يتحقق لا يُحسن، لأنه ليس من أهل هذا الأمر، ومع ذلك ينشرون أشياء لا يدرون ما هي، لا لشيء إلا لأنه قيل لهم: (انشر تؤجر) فقط، فإذا كان هذا الإمام قيل له: (حدِّث تؤجر) عن شيء يحسنه، فأشفق وأنشأ هذا البيت:

(يُمَنُّونِي الْأَجْرَ الْجَزِيلَ وَلَيْتَنِي نَجَوْتُ كَفَافًا لَا عَلَيَّ وَلَا لِيَا)

فماذا يقال في الحال الآن مع وجود التفريط من جهتين، جهة عدم العلم بصحة هذا الذي سينشره هل هو صحيح أو غير صحيح، ومن جهة التفريط في العمل، والخوف التفريط في العمل، وهذا الذي كان يشفق منه السلف رحمهم الله مع جدّهم في العمل وإحسانهم فيه وجهادهم لأنفسهم...، لكنَّ هذا حال المحسنين من عباد الله.

قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: المؤمن جمع بين الإحسان والمخافة. يحسنون ويشفقون، يخافون كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [المؤمنون]، وهذه الكلمة: (نجوت كفافًا لا عليّ ولا ليا)، هذه مأثورة عن كثير من السلف رحمهم الله تعالىٰ، مع إمامتهم وعبادتهم وجدّهم في التقرب إلىٰ الله ومجاهدتهم للنفس علىٰ العمل...، مع ذلك يقولون هذه الكلمة، يكفي في هذا الباب ما ثبت في البخاري في قصة عمر بن الخطاب لما طُعن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه، أتاه شاب وأخذ يثني عليه: صحبت رسول الله، واستشهدت في سبيل الله... وأخذ يعدِّد شيئًا من مآثره ومناقبه العظيمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه، فقال عمر مخاطبًا ذلك الشاب: **ليتني يا ابن أخي وذلك** -يعني ذلك الأمر- **كفافًا لا عليّ ولا لي**، فيقول ذلك وهو من هو في العبادة والعمل! بل مبشر بالجنة! ويقول ذلك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه.

وهذا المعنىٰ منقول عن عدد من السلف، هشام الدستوائي، الشعبي، ابن عون... وعدد من الأئمة، ابن

عون قال في هذا المقام – مقام التحديث ورواية الحديث – قال: **وددت أني خرجت منه – يعني العلم – كفافًا لا عليّ ولا لي**، فهذه كلمة منقولة عن السلف، وهي كما قدمت ناشئة من الخوف الذي قام في قلوبهم، وهذا الخوف مع إحسان في العمل والعبادة والتقرب إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ.

وهذا المعنىٰ ذكره الله صفة للمؤمنين الكمل في سورة المؤمنون، ذكر صفاتهم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۝٥٨ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۝٥٩ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ۝٦٠ أُوْلَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ ۝٦١﴾ [المؤمنون]، فذكر من صفات هؤلاء المؤمنين الكُمل أنهم ﴿يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ﴾ أي: يقدمون ما يقدمون من طاعات وعبادات وأنواع القرب ﴿وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ أي: خائفة، من الخوف قولهم هذا: وددت أو ليتني نجوت كفافًا لا عليّ ولا ليا، بخلاف المفرط، المفرط يجيء بقليل من العمل ويرىٰ في نفسه أنه لا أحسن منه عملًا! ولا أحسن منه عبادة وتقربًا إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ!

❀❀◈❀❀

١٢٧- أَخْبَرَنَا الْقَاضِي أَبُو الْعَلَاءِ الْوَاسِطِيُّ، قَالَ: أَنْبَأَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمُعِيدُ، قِرَاءَةً، قَالَ: حَدَّثنا مُحَمَّدُ بْنُ السِّمْطِ، قال: حدثنا أَبُو نَصْرٍ رَجَاءُ بْنُ سَهْلٍ، قال: حدثنا أَبُو مُسْهِرٍ عَبْدُ الْأَعْلَىٰ بْنُ مُسْهِرٍ قَالَ: بَكَّرَ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ عَلَىٰ الْأَوْزَاعِيِّ، قَالَ: فَالْتَفَتَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ:

كَمْ مِنْ حَرِيصٍ جَامِعٍ جَاشِعِ لَيْسَ بِمُنْتَفِعٍ وَلَا نَافِعِ

ثم أورد رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ هذا الأثر عن (عبد الأعلىٰ أبو مسهر): أنّ أصحاب الحديث بكروا إلىٰ الأوزاعي، أي: إلىٰ مجلسه لسماع الحديث منه وتلقّيه عليه، (فالتفت إليهم) رَحِمَهُ اللَّهُ (فقال:

كَمْ مِنْ حَرِيصٍ جَامِعٍ جَاشِعِ لَيْسَ بِمُنْتَفِعٍ وَلَا نَافِعِ)

(كم من حريص): أي علىٰ الجمع، جمع الأحاديث والاستكثار منها، وروايتها، وتتبع الشيوخ...، لكنه مع هذا الحِرْص والدأب والجِدّ والاجتهاد والجمع للأحاديث، مع هذا كله فهو (جاشع)، وجاشع فسرها بالتي بعدها في الشطر الثاني: (ليس بمنتفع ولا نافع، ليس بمنتفع): أي هو في نفسه، (ولا نافع): غيره بهذه الأحاديث.

لماذا؟ لأنّ النفع للآخرين مبني علىٰ حسن الانتفاع، انتفاع المرء في نفسه بما تعلمه وتلقاه، وأن يظهر أثر تلقيه عليه في سلوكه وعمله، أما إذا كان مُستكثرًا من الأحاديث، ولا يُرىٰ ذلك في سلوكه وعبادته، خاصة الصلاة والمواظبة عليها والتبكير لها والعناية بها، فإذا كان في نفسه مُفرّطًا زلّت موعظته عن القلوب، وضَعُفَ تلقي الناس وقبولهم لما يحدّث به أو يرويه لهم، فالجاشع هو الذي لم ينتفع هو في نفسه مما جمع، وأيضًا يتبع ذلك ويترتب عليه ألا يكون منه نفع للآخرين.

١٢٨- أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ الْقَاسِمِ، قال: أنبأنا عَلِيُّ بْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: قُرِئَ عَلَىٰ الْمُفَضَّلِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، بِمَكَّةَ، وَأَنَا حَاضِرٌ، قال: حدثنا أَبُو يَعْقُوبَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الطَّبَرِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ الْفُضَيْلَ يَقُولُ: لَوْ طَلَبْتَ مِنِّي الدَّنَانِيرَ كَانَ أَيْسَرَ إِلَيَّ مِنْ أَنْ تَطْلُبَ مِنِّي الْأَحَادِيثَ، فَقُلْتُ لَهُ: لَوْ حَدَّثْتَنِي بِأَحَادِيثِ فَوَائِدَ لَيْسَت عِنْدِي كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ تَهَبَ لِي عَدَدَهَا دَنَانِيرَ. فَقَالَ: إِنَّكَ مَفْتُونٌ، أَمَا وَاللهِ لَوْ عَمِلْتَ بِمَا قَدْ سَمِعْتَ لَكَانَ لَكَ فِي ذَلِكَ شُغْلًا عَمَّا لَمْ تَسْمَعْ، ثُمَّ قَالَ: سَمِعْتُ سُلَيْمَانَ بْنَ مِهْرَانَ يَقُولُ: إِذَا كَانَ بَيْنَ يَدَيْكَ طَعَامٌ تَأْكُلُهُ، فَتَأْخُذُ اللُّقْمَةَ فَتَرْمِي بِهَا خَلْفَ ظَهْرِكَ، كُلَّمَا أَخَذْتَ اللُّقْمَةَ تَرْمِي بِهَا خَلْفَ ظَهْرِكَ، مَتَىٰ تَشْبَعُ!؟

هذا أثر عظيم جدًّا في هذا الباب، وهو ينطبق علىٰ من كانت هذه حاله، يعني يستكثر من الأحاديث وروايتها وجمعها، ويقصر أو تقصر همَّته عن العمل، فمن كان كذلك يكون كما وصف الفضيل مفتون، يكون مفتونًا، تكون هذه حاله، مفتون بجمع الأحاديث لكن ليست عنده همَّة للعمل بها.

وفي هذا الأثر: أنّ (أبا يعقوب إسحاق بن إبراهيم الطبري) طلب من الإمام الفضيل بن عياض - وهو من أئمة السلف، ومن علماء التابعين - طلب منه أن يحدِّثه ببعض الأحاديث، ومما ذكر في شأن الفضيل في بعض طرق هذا الأثر في بعض المصادر أنه كان يثقل عليه الحديث جدًّا، لهذا المعنىٰ أنّ البعض يعني يستكثر من الأحاديث وتقصر همته عن العمل بها، فيكون بذلك مستكثرًا من حجج الله ﷻ عليه.

فقال له الفضيل: (لو طلبت منِّي الدنانير كان أيسر إليَّ من أن تطلب منِّي الأحاديث)، لهذا المعنىٰ الذي أشرت إليه، فقلت له: (لو حدَّثتني بأحاديث فوائد ليست عندي كان أحب إلي من أن تهب لي عددها دنانير!) فقال له الفضيل: (إنَّك مفتون)، منبهًا إلىٰ الغاية من الأحاديث وطلبها، وأنه ليس الغاية أن يستكثر الإنسان من الأحاديث والفوائد والأشياء التي ليست عنده، وجمعت كذا وأريد كذا... ليس هذا المقصد، المقصد أن يعمل بهذه الأحاديث ويكون من أهلها، ولا يكون من أهلها إلا بالعمل بها، لأنّ مقصود هذه الأحاديث العمل ليس الاستكثار منها، فقال: (إِنَّكَ مَفْتُونٌ، أَمَا وَاللهِ لَوْ عَمِلْتَ بِمَا قَدْ سَمِعْتَ لَكَانَ لَكَ فِي ذَلِكَ شُغْلًا عَمَّا لَمْ تَسْمَعْ)، ثم قال: (سَمِعْتُ سُلَيْمَانَ بْنَ مِهْرَانَ يَقُولُ)، وهذا مثل عجيب جدًّا يوضح هذا الأمر: (إِذَا كَانَ بَيْنَ يَدَيْكَ طَعَامٌ تَأْكُلُهُ، فَتَأْخُذُ اللُّقْمَةَ فَتَرْمِي بِهَا خَلْفَ ظَهْرِكَ كُلَّمَا أَخَذْتَ اللُّقْمَةَ تَرْمِي بِهَا خَلْفَ ظَهْرِكَ، مَتَىٰ تَشْبَعُ!؟) لا يمكن أن يحصل لك والحالة هذه شبع، إذا كان من أمامه الطعام يأخذ اللقمة ويرمي بها وراء ظهره، ويرمي بها وراء ظهره... وهكذا، لا يمكن أن يشبع، وهكذا الذي يكون نهم في جمع الأحاديث ولا يعمل بها، هذه حاله، مثل الشخص الذي يرمي اللقمة وراء ظهره وأنه لا يشبع، كذلك الذي يأخذ الأحاديث ولا تكون أمامه نبراسًا وقائدًا إلىٰ الخير يأتِسي بها ويعمل، وإنما يجمع، وإذا جمع اتجه إلىٰ جمع جديد،

وآخر... وهكذا يستكثر من الجمع، مع التفريط في العمل.

١٢٩- أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ الْقَاسِمِ، قال: أخبرنا عَلِيُّ بْنُ إِسْحَاقَ الْمَادِرَائِيُّ، حدثنا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّائِغُ، قال: أخبرنا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ الْقَوَارِيرِيُّ، قَالَ: رَأَيْتُ رَضِيعًا لِسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ قَدْ جَاءَ إِلَىٰ فُضَيْلٍ فَقَالَ لَهُ: أَمَا يَكْفِي مَا فِي مَنْزِلِكُمْ مِنَ الشَّرِّ حَتَّىٰ تَجِئَ إِلَىٰ هَاهُنَا. يَعْنِي الْحَدِيثَ.

ثم أورد هذا الأثر: يقول جعفر بن محمد الصائغ: (حدثنا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ الْقَوَارِيرِيُّ، قَالَ: رَأَيْتُ رَضِيعًا لِسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ قَدْ جَاءَ إِلَىٰ فُضَيْلٍ)، أي: ابن عياض، هذا الرضيع الذي لسفيان هو في بيته يسمع منه، ويتلقىٰ عنه، ويسمع الأحاديث، فجاء إلىٰ الفضيل مثل مجيء الأول يستكثر من الفوائد، الأول قال: (لو حدثتني بأحاديث فوائد ليست عندي)، فجاء هذا ليستكثر من أحاديث وفوائد ليست عنده، فقال: (أَمَا يَكْفِي مَا فِي مَنْزِلِكُمْ!؟) يعني الذي سمعته من سفيان يكفيك لو عملت به، لكن إذا كان المرء حاله مع هذه الأحاديث أنه فقط يستكثر من روايتها وجمعها ولا يعمل فهذا شر، وهذا هو المراد، المراد بقوله: (أَمَا يَكْفِي مَا فِي مَنْزِلِكُمْ مِنَ الشَّرِّ حَتَّىٰ تَجِئَ إِلَىٰ هَاهُنَا!؟ يَعْنِي الْحَدِيثَ)، يقصد بقوله هذا - يعني ما في منزلكم من الشر - أي: علىٰ هذه الحال، أن يكون الإنسان يستكثر ويجمع الأحاديث ولا يعمل بها.

أما من أكرمه الله بصلاح النية وحسن العمل وجمع الأحاديث كما هو شأن الأئمة الأكابر رواة الحديث وحفّاظه وأئمة الإسلام ومن جمعوا دواوين السنة من الأئمة الأجلاء، فهؤلاء كتبهم كتب خير، وما جمعوه كله خير ونفع للأمة، وليس فيه شر، الشر يأتي من جهة العامل نفسه والسامع للأحاديث، فإذا كان يسمع ولا همة له في العمل بها فهذا شر، شرٌّ علىٰ الشخص، أما الأحاديث خير كلها، فمراد الفُضيل هو هذا، مراد الفضيل رَحِمَهُ اللَّهُ هو هذا، أنّ الاستكثار من الأحاديث ولا همة للمرء للعمل بها فهذا شر.

١٣٠- وَأَخْبَرَنَا عَلِيٌّ، قَالَ: حدثنا عَلِيٌّ، قال: حدثنا جَعْفَرٌ الصَّائِغُ، قال: حدثنا خَالِدُ بْنُ خِدَاشٍ، قَالَ: قَالَ لِي الْفُضَيْلُ: تَأْتِي سُفْيَانَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: نِعْمَ الرَّجُلُ لَوْلَا أَنَّهُ صَاحِبُ حَدِيثٍ.

الشيخ: قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ لما ذكر له خالد بن خداش أنه يأتي سفيان، قال: (نعم الرجل لولا أنه صاحب حديث)، أيضًا المراد هنا هو ما سبق بيانه، ينبه من يأتي هؤلاء الأئمة أن ينتبه لمقصد الحديث والغرض منه، فصاحب الحديث يروي، ومن أتاه يطلب الحديث علمه الأحاديث، لكن من يأتون لتلقي الأحاديث تتفاوت نياتهم ومقاصدهم وأغراضهم من طلب الحديث، وللنية في هذا الباب خوارم كثيرة جدًا، فكلام الأئمة بمثل هذا كله تنبيه علىٰ هذا الأمر وتأكيد عليه.

١٣١- أَخْبَرَنَا أَبُو طَالِبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْفَتْحِ الْحَرْبِيُّ، قَالَ: أنبأَنا عُمَرُ بْنُ أَحْمَدَ الْوَاعِظُ، قَالَ: أخبرنا أَبُو حَبِيبٍ الْعَبَّاسُ بْنُ أَحْمَدَ الْبَرْتِيُّ، قال: حدثنا سَوَّارُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عُيَيْنَةَ، يَقُولُ: لَوْ قِيلَ لِي: لِمَ طَلَبْتَ الْحَدِيثَ؟ مَا دَرَيْتُ مَا أَقُولُ.

قال ابن عيينة سفيان رَحِمَهُ اللَّهُ: (لَوْ قِيلَ لِي: لِمَ طَلَبْتَ الْحَدِيثَ؟ مَا دَرَيْتُ مَا أَقُولُ، لمَ طلبت الحديث؟) أي: ما نيتك في طلبه، (لو قيل لم طلبت الحديث؟ ما دريت ما أقول)، ويأتي مثل هذا عن أئمة السلف رحمهم الله تعالىٰ هضمًا للنفس واستصغارًا لها، مع ما أُوتوا فيما نحسب والله أعلم من صلاح النية وحسن القصد ومجاهدة النفس، وأثر ذلك ظاهر فيما كتب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لروايتهم من القبول والانتشار في الأمة، والذِّكر الحسن في الأمة إلىٰ زماننا هذا، وهذا لسان الصدق الذي جعله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لهؤلاء الأخيار في الآخرين، فالحاصل أنه يقول ذلك هضمًا لنفسه، ولا يزكِّي نفسه، كما قال الله تعالىٰ: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ٣٢﴾ [النجم]، لا يزكي المرء نفسه ونيته، قال: (لَوْ قِيلَ لِي: لِمَ طَلَبْتَ الْحَدِيثَ؟ مَا دَرَيْتُ مَا أَقُولُ)، يعني لا يمكن أن يقول أنا مخلص ونيتي خالصة وليس في نيتي كذا ولا كذا، لا يمكن أن يجزم، لكنه يجاهد نفسه علىٰ الإخلاص، ويعالجها باستمرار؛ لأنّ النية تتفلت، ولهذا جاء في الأثر عنه أو عن الثوري - سفيان الثوري - أنه قال: ما عالجتُ شيئًا أشد عليّ من نيتي، لأنها تتفلَّت.

١٣٢- أَخْبَرَنِي أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ يَحْيَىٰ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ السُّكَّرِيُّ، قَالَ: أنبأَنا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الشَّافِعِيُّ، قال: أخبرنا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَزْهَرِ، قال: أنبأنا الْغَلَابِيُّ، قَالَ: سَأَلَ رَجُلٌ ابْنَ عُيَيْنَةَ، عَنْ إِسْنَادِ حَدِيثٍ، قَالَ: مَا تَصْنَعُ بِإِسْنَادِهِ؟ أَمَّا أَنْتَ فَقَدْ بَلَغَتْكَ حِكْمَتُهُ وَلَزِمَتْكَ مَوْعِظَتُهُ.

ثم أورد هذا الأثر أنّ رجلًا سأل ابن عُيينة عن إسناد حديث، ولعل ابن عيينة شعر أنّ همَّته متجهة للاستكثار من الرواة والأسانيد وعلو الإسناد وما إلىٰ ذلك، فقال: (مَا تَصْنَعُ بِإِسْنَادِهِ؟ أَمَّا أَنْتَ فَقَدْ بَلَغَتْكَ حِكْمَتُهُ وَلَزِمَتْكَ مَوْعِظَتُهُ)، أي: ثبت الحديث، فبقي عملك به؛ لأنّ الحكمة التي في الحديث بلغتك، والموعظة التي فيه لزمتك، فتحتاج إلىٰ أن تجاهد نفسك علىٰ العمل به.

لأنّه قد يكون فيمن يطلب الحديث من يفرط في العمل، ومع التفريط في العمل يطلب علو الإسناد، ويطلب مزيد شيوخ له في الحديث، ويستكثر من الرواة، ويجمع للحديث الواحد أكثر من شيخ...، ويكون مفرطا في العمل، أقول قد يكون فيمن يطلب الحديث من يكون كذلك، فيقال لمن كان كذلك: (قد بلغتك حكمته ولزمتك موعظته)، أي: فاعمل، وجاهد نفسك علىٰ العمل الذي هو مقصود الأحاديث، مقصود الأحاديث هو

مجاهدة النفس علىٰ العمل بها.

١٣٣- أَخْبَرَنِي عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَلِيٍّ الْأَزَجِيُّ، قال: أخبرنا عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْبَجَلِيُّ، قال: أخبرنا أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَمَّارٍ الثَّقَفِيُّ، قال: أخبرنا أَبُو زَيْدٍ عُمَرُ بْنُ شَبَّةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي خَلَّادُ بْنُ يَزِيدَ الْأَرْقَطُ، وَكَانَ أَبُو زَيْدٍ، إِذَا ذَكَرَ خَلَّادًا وَصَفَ جَلَالَتَهُ وَنُبْلَهُ، وَقَالَ: كَانَ مِنَ الْجِبَالِ الرَّوَاسِي نُبْلًا، قَالَ: أَتَيْتُ سُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ فَقَالَ: إِنَّمَا يَأْتِي بِكَ الْجَهْلُ لَا ابْتِغَاءُ الْعِلْمِ، لَوِ اقْتَصَرَ جِيرَانُكَ عَلَىٰ عِلْمِكَ كَفَاهُمْ، ثُمَّ كَوَّمَ كَوْمَةً مِنْ بَطْحَاءَ، ثُمَّ شَقَّهَا بِأُصْبُعِهِ، ثُمَّ قَالَ: هَذَا الْعِلْمُ أَخَذْتَ نِصْفَهُ ثُمَّ جِئْتَ تَبْتَغِي النِّصْفَ الْبَاقِيَ، فَلَوْ قِيلَ: أَرَأَيْتَ مَا أَخَذْتَ هَلِ اسْتَعْمَلْتَهُ؟ فَإِذَا صَدَقْتَ قُلْتَ: لَا، فَيُقَالُ لَكَ: مَا حَاجَتُكَ إِلَىٰ مَا تَزِيدُ بِهِ نَفْسَكَ وِقْرًا عَلَىٰ وِقْرٍ، اسْتَعْمِلْ مَا أَخَذْتَ أَوَّلًا.

يؤجل الكلام علىٰ هذا للقائنا القادم، نكتفي بهذا القدر.

ونسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن ينفعنا أجمعين بما علمنا، وأن يزيدنا علمًا وتوفيقًا، وأن يصلح لنا شأننا كله، وألا يكلنا إلىٰ أنفسنا طرفة عين، إنه تبارك وتعالىٰ سميع الدعاء، وهو أهل الرجاء، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

سبحانك اللَّهُمَّ وبحمدك، أشهد ألا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، اللَّهُمَّ صلّ وسلم علىٰ عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

المجلس السابع

٨ /١٠ /١٤٤١

١٣٣- أَخْبَرَنِي عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَلِيٍّ الْأَزَجِيُّ، قال: أخبرنا عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْبَجَلِيُّ، قال: حدثنا أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَمَّارٍ الثَّقَفِيُّ، قال: أخبرنا أَبُو زَيْدٍ عُمَرُ بْنُ شَبَّةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي خَلَّادُ بْنُ يَزِيدَ الْأَرْقَطُ - وَكَانَ أَبُو زَيْدٍ إِذَا ذَكَرَ خَلَّادًا وَصَفَ جَلَالَتَهُ وَنُبْلَهُ، وَقَالَ: كَانَ مِنَ الْجِبَالِ الرَّوَاسِي نُبْلًا - قَالَ: أَتَيْتُ سُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ فَقَالَ: إِنَّمَا يَأْتِي بِكَ الْجَهْلُ لَا ابْتِغَاءُ الْعِلْمِ، لَوِ اقْتَصَرَ جِيرَانُكَ عَلَىٰ عِلْمِكَ كَفَاهُمْ، ثُمَّ كَوَّمَ كَوْمَةً مِنْ بَطْحَاءَ، ثُمَّ شَقَّهَا بِأُصْبُعِهِ، ثُمَّ قَالَ: هَذَا الْعِلْمُ أَخَذْتَ نِصْفَهُ ثُمَّ جِئْتَ تَبْتَغِي النِّصْفَ الْبَاقِيَ، فَلَوْ قِيلَ: أَرَأَيْتَ مَا أَخَذْتَ هَلِ اسْتَعْمَلْتَهُ؟ فَإِذَا صَدَقْتَ قُلْتَ: لَا، فَيُقَالُ لَكَ: مَا حَاجَتُكَ إِلَىٰ مَا تَزِيدُ بِهِ نَفْسَكَ وِقْرًا عَلَىٰ وِقْرٍ، اسْتَعْمِلْ مَا أَخَذْتَ أَوَّلًا.

الحمد لله رب العالمين، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، واشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلّ وسلم علىٰ عبدك ورسولك نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أما بعد.. فهذا الأثر فيه وصية عظيمة من الإمام سفيان بن عيينة رَحِمَهُ اللَّهُ، وهو من أئمة أهل العلم وأجلة أئمة السلف رَحِمَهُ اللَّهُ، وهذا الأثر فيه التأكيد علىٰ ما ترجم المصنف له رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ، من أنّ مقصود العلم العمل، ليس مقصود العلم التكثر به والمباهاة والمفاخرة ونحو ذلك، وإنما مقصود العلم العمل.

ولهذا كان السلف رحمهم الله إذا رأوا في شخص همة متجهة للجمع - جمع الأحاديث والاستكثار منه - مع التفريط في العمل، أوصوه بمثل هذه الوصية، وعنه في ذلك نُقول كثيرة جدًا، لأنّ مقصود العلم العمل، ولهذا لما أتىٰ هذا الرجل الذي هو (خلّاد بن يزيد الأرقط)، لمّا جاء إلىٰ سفيان رَحِمَهُ اللَّهُ يطلب الحديث، قال له سفيان: (إِنَّمَا يَأْتِي بِكَ الْجَهْلُ لَا ابْتِغَاءُ الْعِلْمِ)، قال ذلك له رَحِمَهُ اللَّهُ تنبيهًا علىٰ الاهتمام بالعمل الذي هو مقصود العلم، وأنّ طالب الحديث كلما تزود من الأحاديث حظًّا ونصيبًا جاهد نفسه علىٰ العمل به، وإلا أصبح يُكثر بمجرد جمعه للأحاديث من حجج الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عليه، فقال: (إِنَّمَا يَأْتِي بِكَ الْجَهْلُ لَا ابْتِغَاءُ الْعِلْمِ)، هذا يُقال في حق المفرّط الذي يستكثر من الأحاديث، ثم لا يزال يطلب الأحاديث وهو لم يعمل بما علمه من أحاديث.

كانت وفاة خلاد هذا في عام مائتين وعشرين، ووفاة سفيان عام مائة وتسعين، بين وفاتيهما ثلاثين سنة، ووُصف هنا في هذا الأثر - أعني خلاد - بالجلالة والنبل، وأنه من الجبال الرواسي نبلًا، فقد يكون قال له ذلك سفيان في مرحلة مبكرة من طلبه للحديث، قال: (إِنَّمَا يَأْتِي بِكَ الْجَهْلُ لَا ابْتِغَاءُ الْعِلْمِ)، وإذا سمع طالب العلم مثل هذه النصائح تستقيم حاله وتصلح، فربما أنّ حاله ارتقت إلىٰ ما وُصف به أنه ذا جلالة ونبل ومن

الجبال الرواسي... ونحو ذلك مما ذكر في وصفه، قال له: (لَوِ اقْتَصَرَ جِيرَانُكَ عَلَىٰ عِلْمِكَ كَفَاهُمْ)، أي ما حصلته من الأحاديث كافية لنفع نفسك ونفع جيرانك.

ثم ضرب هذا المثل العجيب، (كوّم) سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (كومة) من تراب – (من بطحاء – ثم شقّها بإصبعه) نصفين، قسم هذه الكومة من التراب إلىٰ نصفين، ثم قال: (هَذَا الْعِلْمُ أَخَذْتَ نِصْفَهُ، ثُمَّ جِئْتَ تَبْتَغِي النِّصْفَ الْبَاقِيَ، لَوْ قِيلَ) لك: (أَرَأَيْتَ مَا أَخَذْتَ هَلِ اسْتَعْمَلْتَهُ؟) هل عملت به؟ هل طبقته في حياتك؟ (فَإِذَا صَدَقْتَ) مع نفسك ستقول: (لا) لم أعمل به، بل هناك أشياء سمعتها ولا زلت مفرطا في العمل بها، (فيقال لك: مَا حَاجَتُكَ إِلَىٰ مَا تَزِيدُ بِهِ نَفْسَكَ وِقْرًا عَلَىٰ وِقْرٍ، اسْتَعْمِلْ مَا أَخَذْتَ أَوَّلًا).

وهذه نصيحة بليغة جدًا، أنّ طالب الحديث ينبغي أن يُمرّن نفسه ويعودها علىٰ العمل، إن كان الحديث الذي سمعه في فريضة من فرائض الدين وواجب من واجباته فهذا العمل به لازم ومتأكد، ويأثم المرء في تركه، وإن كان الحديث الذي سمع في السنن والرغائب، فالعمل بها ليس بواجب، لكنه ينبغي أن يجعل له حظًّا من العمل بها، وألا يزهد فيما يسمعه أو يقرأه في الأحاديث التي فيها سنن ورغائب؛ بل يجاهد نفسه علىٰ العمل بها، وأن يستكثر نصيبًا وحظًّا منها، ولهذا قال بعض السلف في مثل هذا المعنىٰ أو في مثل هذا الأمر – الذي هو السنن – قال: إذا سمعت بالحديث فاعمل به ولو مرة تكن من أهله. أما أن يكون فقط يجمع الأحاديث ومُعرض تمامًا عن العمل بها فهذا ليس المسلك القويم الذي ينبغي عليه أن يكون عليه طالب الحديث حقًّا وصدقًا.

١٣٤- أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي عَلِيٍّ الْمُعَدِّلُ، قال: حدثنا أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ الْأَزْرَقِ بْنِ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ الْبُهْلُولُ التَّنُوخِيُّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبِي، قال: حدثنا أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ مَنْصُورٍ الرَّمَادِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي نُعَيْمٌ يَعْنِي ابْنَ حَمَّادٍ قَالَ: سَأَلْتُ ابْنَ عُيَيْنَةَ – أَوْ سَأَلَهُ إِنْسَانٌ –: مَنِ الْعَالِمُ؟ قَالَ: الَّذِي يُعْطِي كُلَّ حَدِيثٍ حَقَّهُ.

هذا أثر آخر أيضًا عن سفيان بن عيينة رَحِمَهُ اللَّهُ، سئل – سأله نعيم بن حماد، أو سأله إنسان –: (من العالم؟) أي: من الشخص الذي يوصف بالعالم حقًا، قال: (الَّذِي يُعْطِي كُلَّ حَدِيثٍ حَقَّهُ)، وهذا الذي ذكر سفيان رَحِمَهُ اللَّهُ يُعد ميزانًا دقيقًا في الباب؛ لأنّ حق الحديث الذي ورد الحديث لأجله هو العمل، هذا هو حق الحديث الذي ورد الحديث لأجله هو العمل، أن يعمل به، لم يرد الحديث ليستكثر منه الناس، ويقال: فلان أحفظ من فلان! وفلان أكثر رواية من فلان! وفلان أجمع للأحاديث من فلان... !، لم تأت الأحاديث لهذا الغرض، وإنما جاءت للعمل ليُعمل بها، فالعالم هو (الذي يعطي كل حديث حقه)، وحق الحديث هو العمل به، والإقبال عليه اتِّباعًا واهتداءً بهدي الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، الحاصل أنّ هذه كلمة عظيمة جدًّا في الباب،

وفي وصف العالم حقًا، وأنه الذي يعطي كل حديث حقه عملًا بالحديث واتباعًا لهدي النبي الكريم عليه الصلاة والسلام.

١٣٥- أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ الْحَسَنُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْمُنْذِرِ الْقَاضِي، قال: أخبرنا إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّفَّارُ، قال: حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ أَبُو بَكْرٍ، قَالَ: أنبأَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُوسَىٰ، قَالَ: قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ: وَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَطْلُبِ الْحَدِيثَ، وَأَنَّ يَدِي قُطِعَتْ مِنْ هَاهُنَا؛ بَلْ مِنْ هَاهُنَا، وَأَشَارَ إِلَىٰ الْكَفِّ، ثُمَّ أَشَارَ إِلَىٰ الْمَنْكِبِ، قَالَ: لَا بَلْ مِنْ هَاهُنَا.

ثم أورد هذا الأثر عن الأمام سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ، فيما يتعلق بطلب الحديث والاستكثار منه والجمع، والإمام سفيان الثوري من الأئمة الكبار الأجلة جمعًا للحديث، وعناية به، ورواية له، وضبطًا له، ومحبةً لجمعه، فيقول رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَطْلُبِ الْحَدِيثَ)، هذا المأثور عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ورحمه ينبغي أن يُفهم علىٰ وجهه، لأنّ طلب الحديث هو من أعظم الأعمال وأجلّ القُرب، حتىٰ جاء عنه سفيان رَحِمَهُ اللَّهُ الثوري أنه قال: ما أعلم أفضل من الحديث، إذا صحت النية فيه، فقوله: (وَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَطْلُبِ الْحَدِيثَ)، لا يقصد التزهيد في الحديث وطلب الحديث، هذا من أعظم القرب وأجلّها؛ ولكن أدركَته شفقة وخوف علىٰ نفسه رَحِمَهُ اللَّهُ من كثرة الأحاديث التي رواها وجمعها وحصَّلها، ويخشىٰ أن يكون قد فرّط في شيء من هذه الأحاديث عملًا بها، والإنسان مهما جاهد نفسه لا يخلو من قصور وتقصير، فأدركه خوف، وهذا الخوف الذي يدرك السلف رحمهم الله هو ناشئ عن جمعهم بين إحسان في العمل ومخافة، مثل ما وصفهم الحسن البصري بذلك، قال: إن المؤمن جمع بين إحسان ومخافة، فهم يحسنون العمل ويجاهدون أنفسهم علىٰ ذلك، لكن مع هذا الإحسان يشهد رؤية التقصير لا يشهد رؤية التكميل للعمل؛ بل يشهد رؤية التقصير في العمل، فيدركه الخوف.

بناء علىٰ ذلك قال سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَطْلُبِ الْحَدِيثَ، وَأَنَّ يَدِي قُطِعَتْ مِنْ هَاهُنَا، لَا بَلْ مِنْ هَاهُنَا، وَأَشَارَ إِلَىٰ) كَفِّه، (ثُمَّ أَشَارَ إِلَىٰ الْمَنْكِبِ، قَالَ: لَا بَلْ مِنْ هَاهُنَا) أي من المنكب، هذا كله من الخوف الذي يعني حصل له خشية التقصير، وهذا إنما ينشأ مثل هذا الخوف العظيم مع الإحسان في العمل، فهذا شأن السلف يحسنون ويخافون.

١٣٦- أَخْبَرَنِي أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ الطَّبَرِيُّ، قَالَ: أَنْبَأَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَكْرَانَ الْبَزَّازُ، قَالَ: حدثنا أَبُو عَبْدِ اللهِ بْنُ مَخْلَدٍ الْعَطَّارُ، قَالَ: أَنْبَأَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْحَكَمِ، قَالَ: أَنْبَأَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: أَنْبَأَنَا

حَجَّاجُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ: رَضِيَ النَّاسُ بِالْحَدِيثِ، وَتَرَكُوا الْعَمَلَ.

هذا أيضًا أثر عن الإمام سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ، في بيان حال بعض المشتغلين في الحديث، من حيث إقبالهم علىٰ الحديث جمعًا له فقط واستكثارًا من الرواية والشيوخ وعلوّ الأسانيد... ونحو ذلك، مع تفريطهم في العمل به، وهذا الطَّلب للحديث علىٰ هذه الصفة يُعدّ فتنة، مثل ما قال عبد الرحمن بن مهدي: فتنة الحديث أشد من فتنة المال والولد، فهذه فتنة، يُفتن بالجمع، والتحصيل، والاستكثار، وعندي كذا... إلىٰ آخره، ويكون مفرِّطًا في العمل، فمن كانت هذه حالهم يصفهم سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله: (رَضِيَ النَّاسُ بِالْحَدِيثِ، وَتَرَكُوا الْعَمَلَ). تركوا العمل الذي هو مقصود الحديث، الذي هو كما تقدم في أثر سفيان حق الحديث، فـ(رضي الناس بالحديث) أي: اقتصارا علىٰ جمع الأحاديث، والاستكثار منها رواية لها، دون عناية بالعمل بها.

نظير هذا الأثر تمامًا - أعني قول سفيان هذا في المشتغلين بالحديث حفظًا وجمعًا مع التفريط في العمل - نظير هذا تمامًا قول الإمام الحسن البصري في المشتغلين بالقرآن والقرَّاء، يقول الحسن البصري في هؤلاء يقول: أنزل القرآن ليُعمل به، فاتخذ الناس قراءته عملًا. هذا نظير قول سفيان: (رَضِيَ النَّاسُ بِالْحَدِيثِ)، يعني القراءة فقط والاستكثار منه، مع ترك العمل، مع أن القرآن والحديث كلاهما إنما أنزلا للعمل، ليعمل الناس بهما، فمن كان حظُّه من القرآن مجرد الحفظ لحروفه مع التفريط في العمل انطبق عليه قول الحسن، ومن كان أيضًا حظه من الحديث الرواية والاستكثار من الحديث مع التفريط في العمل انطبق عليه قول الإمام سفيان الثوري، فهما أثران في معنًىٰ واحد وفي باب واحد.

١٣٧- أَنبأنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبَانَ الْهِيتِيُّ، قال: حدثنا أَحْمَدُ بْنُ سَلْمَانَ النَّجَّادُ، قال: حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدُوسٍ، قال: حدثنا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ، قَالَ: سَمِعْتُ شُعَيْبَ بْنَ حَرْبٍ، قَالَ: سَمِعْتُ سُفْيَانَ وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَقَالَ: حَتَّىٰ تَعْمَلُوا بِمَا تَعْلَمُونَ، ثُمَّ تَأْتُونِي فَأُحَدِّثَكُمْ، قَالَ: وَسَمِعْتُ سُفْيَانَ يَقُولُ: يُدَنِّسُونَ ثِيَابَهُمْ، ثُمَّ يَقُولُونَ: تَعَالَوُا اغْسِلُوهَا.

ثم أورد رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ هذا الأثر عن سفيان رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ، وهو في معنىٰ الذي قبله، الذي قبله قال: (رَضِيَ النَّاسُ بِالْحَدِيثِ، وَتَرَكُوا الْعَمَلَ)، فهنا فيه تأكيد علىٰ المعنىٰ السابق، يقول رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ لما أُرسل إليه يطلبون أن يحدثهم بأحاديث وفوائد ليست عندهم، قال: (حَتَّىٰ تَعْمَلُوا بِمَا تَعْلَمُونَ، ثُمَّ تَأْتُونِي فَأُحَدِّثَكُمْ)، وهذه الطريقة فيها تربية للطلاب، فيها تربية عظيمة للطلاب، وتنشئة لهم علىٰ مجاهدة النفس علىٰ العمل بما تعلَّموه، ولهذا طالب العلم طالب الحديث ينبغي أن يُصحب مع تعليمه للأحاديث وصيته وحثه علىٰ المجاهدة للنفس علىٰ

العمل به، مثلما فعل رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ قال: (حَتَّىٰ تَعْمَلُوا بِمَا تَعْلَمُونَ، ثُمَّ تَأْتُونِي فَأُحَدِّثُكُمْ).

قال وسمعت سفيان يقول: (يُدَنِّسُونَ ثِيَابَهُمْ، ثُمَّ يَقُولُونَ: تَعَالَوْا اغْسِلُوهَا، يدنسون ثيابهم)، تدنيس الثياب هو الوقوع في المعصية، لأن الأصل في المسلم كما قال الله: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾ [المدثر]، أي: طهر نفسك واربأ بها عن المعاصي والتلوث بها والتدنس بها، وتدسية النفس بالمعاصي، فهذا مقام عظيم يحتاج إلىٰ أن يعتني به طالب العلم، في هذا الأثر نبّه علىٰ أمرين عظيمين شريفين في هذا الباب:

الأول: هو العناية بالعمل بالأحاديث، اتباعًا واهتداءً لهدي النبي الكريم عليه الصلاة والسلام.

والثاني: عدم تدسية النفس وتدنيسها بالذنوب.

وهذان الأمران اللذان جُمع بينهما في هذا الأثر، يصح وصفهما بالتخلية والتحلية، التخلية من أن يدنس نفسه بالآثام والذنوب، والتحلية بالعمل بالأحاديث والاهتداء بهدي النبي الكريم عليه الصلاة والسلام.

٨٠٨٠◇٥٥٥٥

١٣٨- أَخْبَرَنَا أَبُو سَعِيدٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَىٰ الصَّيْرَفِيُّ، قال: حدثنا أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ الْأَصَمُّ، قال: حدثنا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، قال: حدثنا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ الْقَوَارِيرِيُّ، قَالَ: قَالَ يَحْيَىٰ بْنُ سَعِيدٍ: مَا أَخْشَىٰ عَلَىٰ سُفْيَانَ شَيْئًا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا حُبَّهُ لِلْحَدِيثِ.

ثم أورد رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ هذا الأثر عن الإمام الجليل يحيىٰ بن سعيد القطان رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ، قال: (مَا أَخْشَىٰ عَلَىٰ سُفْيَانَ شَيْئًا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا حُبَّهُ لِلْحَدِيثِ)، حب الحديث هذا لا يُخشىٰ منه، حب الحديث لا يُخشىٰ منه إذا كان مصحوبًا بالعمل؛ بل إنّ هذا الحب للحديث هو النجاة، نجاة العبد إنما تكون بحبه للحديث علمًا وعملًا، فحب الحديث لا يُخشىٰ علىٰ الإنسان منه إطلاقًا، ولهذا قال الإمام مالك: السنة سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تركها هلك. فالنجاة إنما تكون باتباع الحديث والعمل به، فقول يحيىٰ بن سعيد القطان هذا لعله يفسره ما جاء في سياق هذا الأثر في بعض مصادره: أنّ يحيىٰ قال: كان الثوري غلبت عليه شهوة الحديث، شهوة الحديث الاستكثار من روايته وجمعه وتتبع طرقه وما إلىٰ ذلك، فمن هذا الباب خشي، وتقدم معنا خوف سفيان نفسه علىٰ نفسه عندما قال: (وَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَطْلُبِ الْحَدِيثَ، وَأَنَّ يَدِي قُطِعَتْ مِنْ هَاهُنَا)، كله مراعاة لهذا الملحظ، هذا يقولونه مع إمامتهم وفضلهم.

ولهذا علق الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ، علق علىٰ هذا الأثر في «سير أعلام النبلاء»، قال: حب ذات الحديث والعمل به لله مطلوب، من زاد المعاد، وحب روايته وعواليه والتكثر بمعرفته مذموم مخوف. فهو الذي خاف منه سفيان والقطان – أي: يحيىٰ بن سعيد –، وأهل المراقبة، فإنّ كثيرًا من ذلك وبال علىٰ المُحدث.

وهذا الذي ذكر الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ يحمل عليه قول القطان هنا: (مَا أَخْشَىٰ عَلَىٰ سُفْيَانَ شَيْئًا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا)

حُبَّ الْحَدِيثِ، وأيضًا يُحمل عليه قول الثوري نفسه رَحِمَهُ اللَّهُ الذي تقدم: (وَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَطْلُبِ الْحَدِيثَ، وَأَنَّ يَدِي قُطِعَتْ مِنْ هَاهُنَا).

١٣٩- أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ رَزْقٍ، قَالَ: أَنْبَأَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَلِيٍّ الْخُطَبِيُّ، وَأَبُو عَلِيِّ بْنُ الصَّوَّافِ، وَأَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ حَمْدَانَ، قَالُوا: أنبأنا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ ابْنِ حَنْبَلٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قال: حدثنا أَبُو قَطَنٍ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عَوْنٍ قَالَ: وَدِدْتُ أَنِّي خَرَجْتُ مِنْهُ كَفَافًا - يَعْنِي مِنَ الْعِلْمِ-، قَالَ أَبُو قَطَنٍ: قَالَ شُعْبَةُ: مَا أَنَا مُقِيمٌ عَلَىٰ شَيْءٍ أَخَافُ أَنْ يُدْخِلَنِيَ النَّارَ غَيْرُهُ، يَعْنِي الْحَدِيثَ.

ثم أورد هذا الأثر رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ عن ابن عون، أنه قال: (وَدِدْتُ أَنِّي خَرَجْتُ مِنْهُ كَفَافًا، يَعْنِي مِنَ الْعِلْمِ)، وهذه الكلمة تقدم معنا أنها جاءت عن غير واحد من أئمة السلف رحمهم الله، منهم هشام الدستوائي، والشعبي، وابن عون، وأيضًا تقدم قول عمر بن الخطاب لها وهو في سياق، أو في اللحظات الأخيرة من حياته، قال: **ليتني يا ابن أخي وذلك كفافًا، لا عليّ ولا لي**، فهذه أتت عن غير واحد من السلف رحمهم الله، وهذا مبني علىٰ خوفٍ قام في قلوبهم مع إحسان في العمل، وإحسان في التقرب إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، خشية أن يكونوا قصروا في حق العلم الذي هو العمل به.

(قال أبو قطن: قال شعبة) أي: ابن الحجاج: (مَا أَنَا مُقِيمٌ عَلَىٰ شَيْءٍ أَخَافُ أَنْ يُدْخِلَنِيَ النَّارَ غَيْرُهُ، يَعْنِي الْحَدِيثَ)، هذا فيه خوف أهل الحديث رحمهم الله علىٰ أنفسهم من الأحاديث الكثيرة التي جمعوها وحصلوها، وأكثروا من جمعها والعناية بها، خشية أن يكونوا فرطوا فيها، فرطوا في العمل فيها، سبحان الله يقولون ذلك مع أنهم أهل مجاهدة عظيمة لأنفسهم بالعمل، لكن هذا مثل ما قدمت غير مرة، يقول الحسن: المؤمن جمع بين إحسان ومخافة، فيحسنون ويخافون، بخلاف المفرط فإنه يسيء ولا يخاف، فهؤلاء الأئمة يعني خوفهم من النار مبني علىٰ ذلك، فيقول: (مَا أَنَا مُقِيمٌ عَلَىٰ شَيْءٍ أَخَافُ أَنْ يُدْخِلَنِيَ النَّارَ غَيْرُهُ، يَعْنِي الْحَدِيثَ)، الاشتغال به تعلمًا وتعليمًا ورواية... إلىٰ آخره، فيخشىٰ علىٰ نفسه، مع أنه رَحِمَهُ اللَّهُ كان من العُبّاد، وفي ترجمته ذكروا من عبادته شيئًا عجبًا رَحِمَهُ اللَّهُ.

قال أبو بحر البكراوي: ما رأيت أعبد لله من شعبة، وقال يحيىٰ بن سعيد: ما رأيت أشكر لله من شعبة، والنقول عن أئمة السلف في وصف عبادة شعبة عظيمة جدًّا، يقرؤها المتأمل فيجد سيرة عالم عابد، متقٍ لله، شكور، مقبل علىٰ عبادة الله، كثير الصلاة والعبادة...، ثم يقول: (مَا أَنَا مُقِيمٌ عَلَىٰ شَيْءٍ أَخَافُ أَنْ يُدْخِلَنِيَ النَّارَ غَيْرُهُ، يَعْنِي الْحَدِيثَ)، فهذا الخوف الذي هو من ورع السلف وحسن حالهم مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أحسنوا في العبادة، ومع هذا الإحسان في العبادة كانوا يخافون، فماذا يقول المفرِّط!؟

١٤٠- أَخْبَرَنَا أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ أَحْمَدَ الْبَرْمَكِي، قَالَ: أنبأَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ خَلَفِ بْنِ بَخِيتٍ الدَّقَّاقُ، قال: حدثنا عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْجَوْهَرِيُّ، قال: حدثنا أَبُو بَكْرٍ الْأَثْرَمُ، قَالَ: وَسَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ أَحْمَدَ ابْنَ حَنْبَلٍ ذَكَرَ قَوْلَ شُعْبَةَ: مَا أَخَافُ أَنْ يُدْخِلَنِي النَّارَ غَيْرُهُ، يَعْنِي: الْحَدِيثَ، فَقَالَ: تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ صَادِقًا فِي الْعَمَلِ، أَوْ نَحْوَ هَذَا.

تقدم معنا في الإسناد المتقدِّم أنه من رواية الإمام أحمد، رواه الإمام أحمد عن أبي قطن أنه قال: قال شعبة: (مَا أَنَا مُقِيمٌ عَلَىٰ شَيْءٍ أَخَافُ أَنْ يُدْخِلَنِي النَّارَ غَيْرُهُ، يَعْنِي الْحَدِيثَ)، فقال ذلك الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ توضيحًا لقول شعبة، حتىٰ يُفهم علىٰ بابه ووجهه الصحيح، قال الإمام أحمد: (تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ صَادِقًا فِي الْعَمَلِ، أَوْ نَحْوَ هَذَا)، هذا الأثر أورده أبو بكر الأثرم في سؤالات الإمام أحمد، ولفظه أوضح من الذي عندنا هنا، ولعل اللفظ الذي عندنا هنا دخله شيء من التصحيف، فالإمام أحمد يقول كما في سؤالات الأثرم: نعلم - وليس تعلم - نعلم أنه صافي العمل، فهذا توضيح من الإمام أحمد أنّ الإمام شعبة - وهذا ذُكر كما قدمت كثيرًا في ترجمته - أنّ الرجل صاحب عبادة وإقبال علىٰ الله، وهو كما وصفه الإمام أحمد: صافي العمل، عنده حسن إقبال وعبادة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لا يُرىٰ في عمله التفريط والتقصير والتهاون، بل هو صافي العمل، بهذا وصفه الإمام أحمد، إذن ماذا يكون هذا الخوف؟ (مَا أَخَافُ أَنْ يُدْخِلَنِي النَّارَ غَيْرُهُ، يَعْنِي: الْحَدِيثَ)، يكون هذا الخوف من باب الورع، علىٰ حد قول الحسن: جمعوا بين إحسان ومخافة، فهذا وجه كلام شعبة بن الحجاج، الإمام الجليل من أئمة السلف النبلاء وأجلة أهل العلم الفضلاء رَحِمَهُمُ اللَّهُ تعالىٰ.

ورحم أئمة السلف أجمعين، وجزاهم عنا خيرًا، وألحقنا أجمعين بالصالحين من عباده، وهدانا إليه صراطًا مستقيمًا، وأصلح لنا شأننا كله، إنه تبارك وتعالىٰ سميع الدعاء، وهو أهل الرجاء، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلىٰ الله وسلم علىٰ عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

المجلس الثامن

٠٩/ ١٠/ ١٤٤١

١٤١- أَخْبَرَنَا أَبُو نُعَيْمٍ الْحَافِظُ، إِجَازَةً، قال: حدثنا حَبِيبُ بْنُ الْحَسَنِ، وَأَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْعَطَّارُ، قَالَا: حدثنا سَهْلُ بْنُ أَبِي سَهْلٍ، قال: حدثنا بِشْرُ بْنُ خَالِدٍ، قال: حدثنا شَبَابَةُ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَىٰ شُعْبَةَ فِي يَوْمِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ وَهُوَ يَبْكِي، فَقُلْتُ لَهُ: مَا هَذَا الْجَزَعُ يَا أَبَا بِسْطَامٍ؟ أَبْشِرْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْإِسْلَامِ مَوْضِعًا، فَقَالَ: دَعْنِي! فَلَوَدِدْتُ أَنِّي وَقَّادُ حَمَّامٍ، وَأَنِّي لَمْ أَعْرِفِ الْحَدِيثَ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله صلىٰ الله وسلم عليه وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد.. فلا نزال في باب (كراهية طلب الحديث للمفاخرة وعقد المجالس واتخاذ الأتباع والأصحاب) برواياته، أورد الإمام الخطيب البغدادي هذا الأثر عن شبابة رَحِمَهُ اللهُ، أنه دخل (علىٰ شعبة في يومه الذي مات فيه وهو يبكي)، شعبة تقدم في لقائنا السابق قوله رَحِمَهُ اللهُ: (ما أنا مقيم علىٰ شيء أخاف أن يدخلني النار غيره، يعني الحديث)، وتقدم كلام الإمام أحمد فيه، وإمامته وفضله وعنايته بالعمل والعبادة رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ، ومع هذه الحال التي كان عليها هؤلاء الأئمة في العبادة كان يلحقهم من الخوف ما يلحقهم.

ولهذا كان (في يومه الذي مات فيه يبكي)، فقال له شبابة: يا أبا بسطام ما هذا الجزع؟ (أبشر فإن لك في الإسلام موضعًا)، يعني لك قدم معروفة في الإسلام، تعليمًا ونصحًا وهدايةً وإرشادًا ودعوة...، (لك في الإسلام موضعًا)، لك مكانة، لك جهود عظيمة في خدمة الإسلام، هذا يذكرنا بقول ذلك الشاب لعمر بن الخطاب لما كان في الموت: يا أمير المؤمنين، صحبت رسول الله ﷺ، واستشهدت في سبيل الله... وأخذ يعدد من مآثره، فقال عمر: **ليتني يا ابن أخي وذلك كفافًا، لا عليّ ولا لي**، فهنا الإمام شعبة رَحِمَهُ اللهُ قال: (دعني)، يعني من هذا الثناء والإطراء، (فلوددت أني وقَّاد حمّام)، وقَّاد الحمام من هو؟ هو ذاك الذي يجمع الحطب، ويكسره، ويوقده... هذا عمله، (وقّاد حمّام)، أي لم أشتغل بهذا الجمع الكثير للأحاديث، (فلوددت أني وقاد حمام وأني لم أعرف الحديث)، (لم أعرف الحديث) يعني الاستكثار من جمعه، وهذا فيه استحضار من هذا الإمام رَحِمَهُ اللهُ أنه سيسأله الله عن علمه ماذا عمل به، لأنه «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتىٰ يُسأل عن أربع**» [صحيح الترغيب]، «ومنها العلم ماذا عمل به»، ولهذا كان يقول: (وددت اني لم أعرف الحديث)، أي لم اشتغل بجمعه، بالكثرة، فهذا كله من الخوف والورع الذي لحق قلوب السلف رحمهم الله، مع حسن العمل

والعبادة والتقرب إلىٰ الله ﷻ.

نحو ذلك قول سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ: وددت أن علمي نُسخ من صدري، ألست أريد أن أُسأل غدًا عن كل حديث رويته: إيش أردت به!؟ وهذا يوضح سبب الخوف الذي عند شعبة في يوم موته رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ، قال: (وددت أني لم أعرف الحديث)، سفيان يقول: وددت أن علمي نُسخ من صدري، ثم بيّن السبب، سبب هذا الخوف: ألست أريد أن أسأل غدًا عن كل حديث رويته، إيش أردت به؟ فـ«**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتىٰ يُسأل عن أربع**» منها «**عن علمه ماذا عمل به**»، أورد الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ في «سير أعلام النبلاء» هذا الأثر المتعلق بشعبة، وقال عقبه: كل من حاقَقَ نفسه في صحة نيته في طلب العلم يخاف من مثل هذا، ويود أن ينجو كفافًا. وقبل ذلك الصحابة خافوا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، قال ابن أبي مليكة رَحِمَهُ اللَّهُ – وهو من التابعين –: أدركت أكثر من ثلاثين صحابيا، كلهم يخاف النفاق علىٰ نفسه. فالحاصل أنّ هذا الخوف الذي لحق هؤلاء هو خوفٌ مع إحسان في العمل والعبادة والتقرب إلىٰ الله جلّ وعلا.

١٤٢- أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ الْعَتِيقِيُّ، قال: حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْخَزَّازُ، قال: حدثنا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّنْدَلِيُّ، قَالَ: أَنْبَأَنَا مُحَمَّدُ بْنُ هَارُونَ أَبُو نَشِيطٍ الْحَرْبِيُّ قَالَ: لَقِيَنِي بِشْرُ بْنُ الْحَارِثِ فِي الطَّرِيقِ، فَنَهَانِي عَنِ الْحَدِيثِ وَأَهْلِهِ، قَالَ: وَأَقْبَلْتُ إِلَىٰ يَحْيَىٰ بْنِ سَعِيدٍ الْقَطَّانِ، فَبَلَغَنِي أَنَّهُ قَالَ: أَنَا أُحِبُّ هَذَا الْفَتَىٰ وَأُبْغِضُهُ، فَقِيلَ لَهُ: لِمَ تُحِبُّهُ وَتُبْغِضُهُ؟ فَقَالَ: أُحِبُّهُ لِمَذْهَبِهِ، وَأُبْغِضُهُ لِطَلَبِهِ الْحَدِيثَ.

ثم أورد رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ هذا الأثر عن أبي نشيط الحربي، قال: (لَقِيَنِي بِشْرُ بْنُ الْحَارِثِ فِي الطَّرِيقِ، فَنَهَانِي عَنِ الْحَدِيثِ وَأَهْلِهِ)، هذا النهي كما سيأتي البيان من قول بشر نفسه ليس المقصود تعلم الحديث والتفقه فيه من أجل العمل ومجاهدة النفس، وإنما النهي هنا عن الاستكثار من الحديث مع التفريط في العمل والتقصير فيه، قال: (فَنَهَانِي عَنِ الْحَدِيثِ وَأَهْلِهِ، قَالَ: وَأَقْبَلْتُ إِلَىٰ يَحْيَىٰ بْنِ سَعِيدٍ الْقَطَّانِ)، وهذا من أئمة المحدثين أئمة السلف، (فبلغني أنه) – أي بشر بن الحارث – (قال: أَنَا أُحِبُّ هَذَا الْفَتَىٰ وَأُبْغِضُهُ)، ومثل هذه البلاغات لا تكون دقيقة في الاعتماد عليها، فقال: (فَبَلَغَنِي أَنَّهُ قَالَ: أَنَا أُحِبُّ هَذَا الْفَتَىٰ وَأُبْغِضُهُ)، أحب هذا الفتىٰ يعني يحيىٰ بن سعيد، القائل بشر، (أُحِبُّ هَذَا الْفَتَىٰ وَأُبْغِضُهُ، فَقِيلَ لَهُ: لِمَ تُحِبُّهُ وَتُبْغِضُهُ؟ فَقَالَ: أُحِبُّهُ لِمَذْهَبِهِ وَأُبْغِضُهُ لِطَلَبِهِ الْحَدِيثَ).

ذكر هذا الأثر الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ في «السِّيَر»، وليس فيه: «وأبغضه»، وإنما الذي فيه: إني أحب هذا الفتىٰ، وليس فيه وأبغضه، فالحاصل أنّ نهي بشر عن الحديث وأهله مقصوده بذلك من يفرط في العمل، وهمه الاستكثار من الحديث، ولهذا جاء عنه رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: العلم حسن لمن عمل به، ومن لم يعمل به ما أضره عليه، وقال:

هذه حجج.

١٤٣- أَخْبَرَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ الْفَضْلُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْفَضْلِ الْأَبْهَرِيُّ، قال: حدثنا أَبُو بَكْرِ بْنُ الْمُقْرِيُّ، بِأَصْبَهَانَ، قال: حدثنا أَحْمَدُ بْنُ شُعَيْبٍ الْأَنْطَاكِيُّ، قال: حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ الدَّيْنَوَرِيُّ، قال: حدثنا الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْعَظِيمِ، قَالَ: قَالَ بِشْرُ بْنُ الْحَارِثِ: إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَنْتَفِعَ بِالْحَدِيثِ، فَلَا تَسْتَكْثِرْ مِنْهُ، وَلَا تُجَالِسْ أَصْحَابَ الْحَدِيثِ.

ثم أورد رَحِمَهُ اللَّهُ أيضا عن بشر بن الحارث أنه قال: (إن أردت ان تنتفع بالحديث فلا تستكثر منه)، وهذا الأثر يوضح الذي قبله، يوضح قول أبو نشيط: (نهاني عن الحديث وأهله)، المقصود بالنهي الاستكثار من الحديث مع التفريط في العمل، وقوله: (لا تجالس أصحاب الحديث)، أي: المشتغلين به جمعًا فقط، وعندهم تقصير في العمل، فإنّ مجالستهم تثمر في مجالسهم أن يسلك مسلكهم، يستكثر من الأحاديث مع التفريط في العمل، فهذا مراد بِشر، ولهذا جاء عنه أنه قال: لا أعلم أفضل من طلب الحديث لمن اتقىٰ الله وحسنت نيته فيه، وأيضًا جاء عنه أنه - ولعله يأتي لاحقًا - قال بشر: يقولون إني أنهىٰ عن طلب الحديث، وأنا لا أقول شيئًا أفضل منه لمن عمل به، فإذا لم يعمل به فتركه أفضل. فعلىٰ هذا يُحمل كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ في النهي عن الحديث، أي الاستكثار منه مع التفريط في العمل، أما من يعمل فهذا كما يقول بشر: ليس هناك أفضل من الحديث، لمن وفقه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ للعمل به.

١٤٤- أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْقَاسِمِ النَّرْسِيُّ، قَالَ أَنْبَأَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الشَّافِعِيُّ، قال: حدثنا هَيْثَمُ بْنُ مُجَاهِدٍ، قَالَ: أخبرنا إِسْحَاقُ بْنُ الضَّيْفِ قَالَ: قَالَ لِي بِشْرُ بْنُ الْحَارِثِ: إِنَّكَ قَدْ أَكْثَرْتَ مُجَالَسَتِي، وَلِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ، إِنَّكَ صَاحِبُ حَدِيثٍ، وَأَخَافُ أَنْ تُفْسِدُوا عَلَيَّ قَلْبِي، فَأُحِبُّ أَلَّا تَعُودَ إِلَيَّ، فَلَمْ أَعُدْ إِلَيْهِ.

ثم أورد رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ هذا الأثر، أنّ إسحاق بن الضَّيف قال: قال لي بشر بن الحارث: (إنك قد أكثرت مجالستي، ولي إليك حاجة)، أي: لي طلب عندك، قال: (إنك صاحب حديث، وأخاف أن) يفسدوا (علي قلبي، فأحب ألا تعود إلي، فلم أعد إليه)، ربما والله تعالىٰ أعلم أن يكون قول بشر بن الحارث هذا مبني لما رآه في إسحاق بن الضيف من قصور في العمل، والإقبال علىٰ العبادة، وبشر بن الحارث معروف بعظيم مجاهدته لنفسه علىٰ العبادة والورع والإقبال علىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فربما لهذا السبب طلب منه ألا يعود إليه، وعلىٰ كلٍّ يعني الأصل في مثل هذا ليس طلب عدم العودة إليه، وإنما العمل علىٰ حُسن التوجيه للعبادة والعمل

والتقرب إلىٰ الله ﷻ، والدِّين النصيحة، تعليمًا ونصحًا وبيانًا والله تعالىٰ أعلم.

١٤٥- أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ عُمَرَ الْبَرْمَكِيُّ، قَالَ: أَنبأنَا أَبُو الْفَضْلِ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الزُّهْرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي حَمْزَةُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ هَانِئٍ النَّيْسَابُورِيَّ، يَقُولُ: سَمِعْتُ بِشْرَ بْنَ الْحَارِثِ يَقُولُ: مَا لِي وَلِلْحَدِيثِ، مَا لِي وَلِلْحَدِيثِ، إِنَّمَا هُوَ فِتْنَةٌ إِلَّا لِمَنْ أَرَادَ الله بِهِ. قَالَ: وَقَالَ بِشْرٌ: يَقُولُونَ: إِنِّي أَنْهَىٰ عَنْ طَلَبِ الْحَدِيثِ، أَنَا لَا أَقُولُ شَيْئًا أَفْضَلَ مِنْهُ لِمَنْ عَمِلَ بِهِ، فَإِذَا لَمْ يَعْمَلْ بِهِ فَتَرْكُهُ أَفْضَلُ.

ثم أورد رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الأثر أيضًا عن (بشر بن الحارث يقول: ما لي وللحديث، مالي وللحديث، إنما هو فتنة إلا لمن أراد الله به)، أشرت سابقًا إلىٰ قول عبد الرحمن بن مهدي رَحِمَهُ اللَّهُ: فتنة الحديث أشد من فتنة المال والولد، فالحديث فتنة عندما يكون همة المرء متجهة فقط للاستكثار منه وجمعه، وأيضًا ربما يدخل في باب المفاخرة، أن عنده من الرواية والشيوخ و... إلىٰ آخره ما ليس عند غيره، فإذا دخل في هذا دخل في هذه الفتنة، قال: (إنما هو فتنة إلا لمن أراد الله به)، أي: من قصد به وجه الله ﷻ والتقرب إليه ﷻ.

(وقال بشر: يقولون إني أنهىٰ عن طلب الحديث، أنا لا أقول شيئا أفضل منه لمن عمل به)، فينبغي أن يحمل كلام بشر الذي فيه النهي عن طلب الحديث يحمل علىٰ هذا الذي يفسر قوله، فقوله مثلًا لأبي نشيط الحربي المتقدم: (نهاني عن الحديث وأهله)، يعني هذا في حق من يفرط في العمل، ويقصر في العمل، ولهذا يقول بشر: (يقولون: إني أنهىٰ عن طلب الحديث)، يقول: (أنا لا أقول شيء أفضل منه لمن عمل به، فإذا لم يعمل به فتركه أفضل). وأيضًا الذي يُقال هنا، لا يقال تركه أفضل، وإنما يقال الأفضل هو الاجتهاد في طلبه مع مجاهدة النفس علىٰ العمل به.

١٤٦- أَخْبَرَنَا الْعَتِيقِيُّ، قال: حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ، قال: حدثنا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّنْدَلِيُّ، قَالَ: أَنْبَأنا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الْجَوْهَرِيُّ قَالَ: قُلْتُ لِبِشْرِ بْنِ الْحَارِثِ: أَقْرِئْ أَبَا الْوَلِيدِ الطَّيَالِسِيَّ مِنْكَ السَّلَامَ؟ وَأَرَدْتُ أَنْ أَخْرُجَ إِلَىٰ الْبَصْرَةِ، فَقَالَ لِي: إِنَّ أَبَا الْوَلِيدِ يَمُوتُ وَأَنْتَ تَمُوتُ، تُرِيدُ أَنْ يُقَالَ: سَمِعَ؟ قَدْ سَمِعْتَ، انْظُرْ فِيمَا سَمِعْتَ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَعْمَلْ بِهِ كَانَ عَلَيْكَ وَبَالًا فِي الْقِيَامَةِ.

هذا محمد بن يوسف الجوهري أراد الرحلة لطلب الحديث علىٰ أبي الوليد الطيالسي، فقال (لبشر بن الحارث: أَقْرِئْ أَبَا الْوَلِيدِ مِنْكَ السَّلَامَ؟) أبلغه سلامك، وأشعره أنه سيرحل إلىٰ أبي الوليد ليطلب الحديث علىٰ يديه، فقال له بشر: (إِنَّ أَبَا الْوَلِيدِ يَمُوتُ وَأَنْتَ تَمُوتُ، تُرِيدُ أَنْ يُقَالَ: سَمِعَ؟ قَدْ سَمِعْتَ)، يعني تريد أن يقال: محمد بن يوسف الجوهري سمع أبا الوليد وأخذ عن أبي الوليد!؟ (تريد أن يقال) ذلك!؟ (قد

سمعت)، يعني إذا قيل ذلك ما الذي سيكون!؟ (انظر فيما سمعت) لا تنظر الىٰ مجرد أنك سمعت فلان وسمعت فلان وأخذت عن فلان، لا تنظر إلىٰ ذلك، ولكن انظر إلىٰ العمل، (انظر فيما سمعت، فإنك إن لم تعمل به كان عليك وبالًا في القيامة)، لأنّ النبي ﷺ قد قال في الحديث الصحيح: «**لا تزول قدم عبد يوم القيامة حتىٰ يُسأل عن أربع**» وذكر منها «**عن علمه ماذا عمل به**» [صحيح الترغيب].

١٤٧- أَخْبَرَنَا أَبُو طَاهِرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ الْحَسَنِ الْعَلَوِيُّ بِالرِّيِّ، قال: حدثنا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَهْلٍ الْبَزَّازُ، قال: حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ أَيُّوبَ، قَالَ: قَالَ أَبُو الْوَلِيدِ يَوْمًا: مَا يُرِيدُونَ بِهَذِهِ الْأَحَادِيثِ إِلَّا التَّكَاثُرَ، وَالْقَلِيلُ يُجْزِئُ لِمَنِ اتَّقَىٰ اللهَ، أَوْ نَحْوَهُ، ثُمَّ قَالَ: يَجْمَعُ أَحَدُهُمُ الْمُسْنَدَ وَكَذَا وَكَذَا... لِيُحَوِّلَ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ، وَنَحْوًا مِنْ هَذَا الْكَلَامِ.

ثم أورد الإمام الخطيب البغدادي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ هذا الأثر عن أبي الوليد الطيالسي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ، قد تقدم ذكر أبي الوليد في الأثر الذي قبله، (قَالَ أَبُو الْوَلِيدِ الطَّيَالِسِيَّ يَوْمًا: مَا يُرِيدُونَ بِهَذِهِ الْأَحَادِيثِ إِلَّا التَّكَاثُرَ، وَالْقَلِيلُ يُجْزِئُ لِمَنِ اتَّقَىٰ اللهَ، أَوْ نَحْوَهُ، ثُمَّ قَالَ: يَجْمَعُ أَحَدُهُمُ الْمُسْنَدَ وَكَذَا وَكَذَا، لِيُحَوِّلَ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ، وَنَحْوًا مِنْ هَذَا الْكَلَامِ)، وهذا تنبيه من هذا الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ علىٰ أهمية إصلاح طالب الحديث نيته في الطلب، وألا يكون مراده بطلب الحديث مجرد الاستكثار من الرواية، وأنه سمع فلان وسمع فلان وروىٰ عن فلان وحدث عن فلان ومن شيوخه فلان...، لا تكن هذه همته، وإنما تكون همته العمل بما يتعلم، وحسن الانتفاع، لأنّ هذا هو حق الحديث كما تقدم، فيقول أبو الوليد: (مَا يُرِيدُونَ بِهَذِهِ الْأَحَادِيثِ إِلَّا التَّكَاثُرَ)، يشير إلىٰ قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾ [التكاثر].

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه الفوائد: فالتكاثر - يعني المذموم في الآية - في كل شيء، من مال أو جاه أو رئاسة أو نسوة أو حديث أو علم... ولا سيما إذا لم يحتج إليه، والتكاثر في الكتب والتصانيف وكثرة المسائل وتفريعها وتوليدها...، والتكاثر الذي ذُم في الآية - يقول ابن القيم - أن يطلب الرجل أن يكون أكثر من غيره، وهذا مذموم، إلا فيما يقرب إلىٰ الله، فالتكاثر فيه منافسة للخيرات ومسابقة إليها.

فقول الإمام أبو الوليد الطيالسي رَحِمَهُ اللَّهُ: (مَا يُرِيدُونَ بِهَذِهِ الْأَحَادِيثِ إِلَّا التَّكَاثُرَ)، هو هذا المعنىٰ، قال: (وَالْقَلِيلُ يُجْزِئُ لِمَنِ اتَّقَىٰ اللهَ، أَوْ نَحْوَهُ)، أي لمن اتقىٰ الله وخافه وعمل بهذه الأحاديث، ثم قال: (يَجْمَعُ أَحَدُهُمُ الْمُسْنَدَ وَكَذَا وَكَذَا لِيُحَوِّلَ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ، وَنَحْوًا مِنْ هَذَا)، وهذا فيه وعيد شديد ثبت عن نبينا عليه الصلاة والسلام: «**من طلب العلم ليجاري به العلماء، أو ليماري به السفهاء، أو يصرف به وجوه الناس إليه**» [صحيح الترمذي - ذكره الشيخ باختلاف يسير]، جاء ذم ذلك عن نبينا الكريم صلوات الله وسلامه وبركاته

عليه، وهذا كله من التكاثر المذموم.

١٤٨- أَخْبَرَنَا أَبُو الْمُظَفَّرِ هَنَّادُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ النَّسَفِيُّ، قَالَ: أنبأَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْحَافِظُ، بِبُخَارَىٰ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا صَالِحٍ خَلَفَ بْنَ مُحَمَّدٍ، يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا بَكْرِ بْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ يَعْنِي التَّاجِرَ، يَقُولُ: سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ وَسُئِلَ عَنْ رَجُلٍ يَكْتُبُ الْحَدِيثَ فَيُكْثِرُ قَالَ: يَنْبَغِي أَنْ يُكْثِرَ الْعَمَلَ بِهِ عَلَىٰ قَدْرِ زِيَادَتِهِ فِي الطَّلَبِ، ثُمَّ قَالَ: سَبِيلُ الْعِلْمِ مِثْلُ سَبِيلِ الْمَالِ، إِنَّ الْمَالَ إِذَا زَادَ زَادَتْ زَكَاتُهُ.

ثم أورد رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ هذا الأثر عن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ، في الرجل (يكتب) الأحاديث (فيكثر)، أي في جمعها، قال: (يَنْبَغِي أَنْ يُكْثِرَ الْعَمَلَ بِهِ عَلَىٰ قَدْرِ زِيَادَتِهِ فِي الطَّلَبِ، ثُمَّ قَالَ: سُبِلُ الْعِلْمِ مِثْلُ سَبِلِ الْمَالِ، إِنَّ الْمَالَ إِذَا ازداد) ازدادَتْ (زَكَاتُهُ)، فكذلك العلم له زكاة، زكاة العلم بالعمل والتعليم، كلما ازداد المرء في الطلب ينبغي أن يزداد في العمل، وهذا العمل هو زكاة العلم.

والعلم أو الأحاديث التي يجمعها المرء إما أن تكون مشتملة علىٰ واجبات وفرائض فهذه واجبة وموجبة للعمل بها، أو تكون نوافل وسنن فهذه ينبغي أن يكون من يجمع الأحاديث أن يجعل له حظا ونصيبا منها ولو قل، لا أن يهملها تمامًا ويعرض عن العمل بها، ولهذا يقول الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: إن كانت الأحاديث في الواجبات فهي موجبة، وإن كانت في فضائل الأعمال فهي فاضلة، لكن يتأكد العمل بها علىٰ المحدث، والإمام أحمد رحمه الله تعالىٰ – القائل هنا: (ينبغي أن يكثر العمل به علىٰ قدر زيادته في) طلبه لما (سُئل عن) الرجل (يكتب الحديث فيكثر) منه –، من يطالع سيرته وهديه رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ يجد أنّ حاله كذلك، ولهذا أورد الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ في السير: قال المروذي: قال لي أحمد: ما كتبت حديثًا إلا وقد عملت به، حتىٰ مرّ بي أنّ النبي ﷺ احتجم وأعطىٰ أبو طيبة دينارا، فأعطيت الحجام دينارا حين احتجمت.

١٤٩- أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ الْفَضْلِ الْقَطَّانُ، قَالَ: أَنْبَأَنَا دَعْلَجُ بْنُ أَحْمَدَ، قَالَ أنبأَنا أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الْأَبَّارُ، قال: حدثنا أَبُو عَمَّارٍ الْحُسَيْنُ بْنُ حُرَيْثٍ، قال: حدثنا وَكِيعُ بْنُ الْجَرَّاحِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُجَمِّعٍ قَالَ: كُنَّا نَسْتَعِينُ عَلَىٰ حِفْظِ الْحَدِيثِ بِالْعَمَلِ بِهِ.

ثم ختم رَحِمَهُ اللَّهُ هذه الترجمة بهذا الأثر عن إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع، قال: (كُنَّا نَسْتَعِينُ عَلَىٰ حِفْظِ الْحَدِيثِ بِالْعَمَلِ بِهِ)، وهذا الذي ختم به الإمام الخطيب رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الباب يتضمن وصية منه رَحِمَهُ اللَّهُ بهذه الطريقة النافعة، التي ينبغي أن يكون عليها طالب الحديث، كل ما سمع حديثا أو حفظه يجاهد نفسه علىٰ العمل به، فإنه يكون قد أدىٰ زكاته، وقام بحقه، وأيضًا ثبته، ثبت حفظه بعمله به.

وقبل أن أختم أود الإشارة إلىٰ فائدة مهمة تتعلق بأثر سفيان الثوري، وقد تقدم في الدرس الماضي، وهو قوله: (وددت أني لم أطلب الحديث، وأن يدي قطعت من هاهنا) إلىٰ آخره...

أقول: هذا الخوف من أسباب وجوده في سفيان حسن التربية، فإنّ أمه أحسنت في تربيته بتوفيق من الله عَزَّوَجَلَّ، ولهذا جاء في كتاب الورع للإمام أحمد عن وكيع قال: قالت أم سفيان الثوري لسفيان: يا بني، إذا كتبت عشرة أحرف فانظر هل ترىٰ في نفسك زيادة في خشيتك وحلمك ووقارك؟ فإن لم تر ذلك فاعلم أنها تضرك ولا تنفعك، وقالت له رحمها الله: يا بني، اطلب العلم وأنا أكفيك بمغزلي. رحمها الله وغفر لها.

ونسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يوفقنا أجمعين لكل خير، وأن يُصلح لنا شأننا كله، وألا يكلنا إلىٰ أنفسنا طرفة عين، إنه تبارك وتعالىٰ سميع الدعاء، وهو أهل الرجاء، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

المجلس التاسع

١٤٤١/١٠/١٠

بَابٌ مَنْ كَرِهَ تَعَلُّمَ النَّحْوِ لِمَا يُكْسِبُ مِنَ الْخُيَلَاءِ وَالزَّهْوِ

١٥٠- أَخْبَرَنَا أَبُو نُعَيْمٍ الْحَافِظُ، قَالَ: حدثنا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْفَتْحِ الْحَنْبَلِيُّ، قال: حدثنا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ، قال: حدثنا كَثِيرُ بْنُ عُبَيْدٍ، قال: حدثنا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، عَنِ الضَّحَّاكِ بْنِ أَبِي حَوْشَبٍ، قَالَ: سَمِعْتُ الْقَاسِمَ بْنَ مُخَيْمِرَةَ يَقُولُ: تَعَلُّمُ النَّحْوِ أَوَّلُهُ شُغْلٌ، وَآخِرُهُ بَغِيٌ.

الحمد لله رب العالمين، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله، اللّٰهُمَّ صلّ وسلم علىٰ عبدك ورسولك نبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد.. فإنّ علم النحو يُعدّ من العلوم المهمة، وهو من علوم الآلة، وله فوائد مهمة في تعلُّم المرء له، من حيث إصلاح اللسان، وصيانة المنطق، وحسن الحديث، والسلامة من اللَّحن...، وله فوائد، وشأنه كما قال الشعبي رَحِمَهُ اللَّهُ: النحو في العلم كالملح في الطعام، لا يُستغنىٰ عنه.

وقد عقد المصنِّف الإمام الخطيب البغدادي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ هذا الباب: (من كره تعلم النحو لما يكسب من الخيلاء والزهو)، الزهو: الكبر، فالكراهية التي ذكرت هنا مناطة بالعلة أيضًا المذكورة، وهذا يختلف باختلاف نية المتعلم، وعليه فإنّ هذه الترجمة ليس فيها تهوين من تعلم النحو، لأنه لابد منه، وهو من علوم الآلة المهمة، لأنّه يعين المتعلم علىٰ تصحيح قراءته، فيكون النهي هنا منصبًا علىٰ التوغل في دقائق هذا العلم وتفريعاته، علىٰ وجه التباهي والتفاخر والتقعر والاختيال... ونحو ذلك، أمّا إذا كان القصد من تعلُّمه ضبط اللسان، والسلامة من اللحن، والإعانة علىٰ فهم القرآن والسنة، والتفقُّه في دين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ...، فهذا بلا شك فيه منفعة عظيمة لمن يتعلَّم النحو.

أورد رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ هذا الأثر عن القاسم بن مخيمرة قال: (تَعَلُّمُ النَّحْوِ أَوَّلُهُ شُغْلٌ، وَآخِرُهُ بَغِيٌ). هذا يُقال فيه تفصيل: إذا كان الهدف من تعلمه إصلاح اللسان، وفهم القرآن والسنة، والاستعانة بهذا العلم الذي هو من علوم الآلة المهمة، فهو شغل في خير، ونفع وفائدة لطالبه، وأما إذا كان في النية خلل، فإنه يثمر البغي والخيلاء والزهو والتكبر وغير ذلك من المعاني الفاسدة.

١٥١- أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ أَحْمَدَ الْوَاعِظُ قال: حدثنا أَبِي قال: حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ شُجَاعٍ، قال: حدثنا أَيُّوبُ بْنُ سُلَيْمَانَ، قال: حدثنا عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ أَبُو تَقِيٍّ قال: حدثنا سَلَمَةُ بْنُ كُلْثُومٍ قَالَ: سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَدْهَمَ: عَنْ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ قَالَ: تَلْقَىٰ الرَّجُلَ وَمَا يَلْحَنُ حَرْفًا، وَعَمَلُهُ لَحْنٌ كُلُّهُ.

هذا ذكر لمشكلة موجودة، يعني قديمًا وحديثًا أيضًا، أنّ في الناس من يعتني بضبط اللغة وإقامة اللسان، ويعتني عناية دقيقة بقواعد اللغة والنحو، يعتني بها عناية، ولهذا فمن شدَّة عنايته باللغة لا يُضبط عليه لحن ولا في حرف واحد، لكن أعماله من حيث طاعته لله وإقامته لدين الله ﷻ (لحن كله)، فلا يلحن في الكلام لكن يكون مثلًا مفرط في الصلاة، مرتكب لكبائر من الذنوب... ونحو ذلك، فهو يتحدث عن مشكلة لها وجود، (تَلْقَىٰ الرَّجُلَ وَمَا يَلْحَنُ حَرْفًا، وَعَمَلُهُ لَحْنٌ كُلُّهُ)، يعني ضبط نفسه من حيث إقامة اللسان علىٰ قواعد اللغة، لكن لم يضبط أعماله علىٰ إقامتها علىٰ طاعة الله ﷻ.

١٥٢- حَدَّثَنِي أَبُو الْقَاسِمِ الْأَزْهَرِيُّ قال: حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْخَزَّازُ قال: حدثنا ابْنُ أَبِي دَاوُدَ قَالَ: حدثنا عَبْدُ اللهِ بْنُ خُبَيْقٍ، قَالَ: سَمِعْتُ شَيْخًا مِنْ أَهْلِ دِمَشْقَ يَقُولُ: **قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ: أَعْرَبْنَا فِي الْكَلَامِ فَمَا نَلْحَنُ، وَلَحَنَّا فِي الْأَعْمَالِ فَمَا نُعْرِبُ.**

هذه كلمة لإبراهيم بن أدهم هي بمعنىٰ كلمة مالك بن دينار المتقدمة، (أَعْرَبْنَا فِي الْكَلَامِ فَمَا نَلْحَنُ)، أي ضبطنا الكلام علىٰ ضوء القواعد - قواعد اللغة - فما يقع في ألسنتنا لحن في الكلام، قال: (وَلَحَنَّا فِي الْأَعْمَالِ فَمَا نُعْرِبُ، لحنا في الأعمال) أي: الطاعات والعبادات والقرب، (فما نعرب) أي: فما نحسن إقامتها علىٰ الوجه المطلوب المأمور به شرعًا في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وإبراهيم بن أدهم يتحدث أيضًا عن مشكلة لها وجود مثل ما سبق الإشارة إلىٰ ذلك في قول مالك بن دينار الذي تقدم.

١٥٣- أَخْبَرَنِي أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَيُّوبَ الْقُمِّيُّ، قَالَ: أَنْبَأَنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ عِمْرَانَ الْمَرْزُبَانِيُّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي الصُّولِيُّ: قَالَ بَعْضُ الزُّهَّادِ: أَعْرَبْنَا فِي كَلَامِنا فَمَا نَلْحَنُ، وَلَحَنَّا فِي أَعْمَالِنا فَمَا نُعْرِبُ، وقال الشاعر:

لَمْ نُؤْتَ مِنْ جَهْلٍ وَلَكِنَّنَا ... نَسْتُرُ وَجْهَ الْعِلْمِ بِالْجَهْلِ

نَكْرَهُ أَنْ نَلْحَنَ فِي قَوْلِنَا ... وَلَا نُبَالِي اللَّحْنَ فِي الْفِعْلِ

ثم أورد هذا الأثر عن الصُّولي، وهو أبو بكر محمد بن يحيىٰ، يقول: (قَالَ بَعْضُ الزُّهَّادِ: أَعْرَبْنَا فِي كَلَامِنا فَمَا نَلْحَنُ، وَلَحَنَّا فِي أَعْمَالِنا فَمَا نُعْرِبُ)، لعل قوله: (قَالَ بَعْضُ الزُّهَّادِ)، يشير إلىٰ كلمة إبراهيم بن أدهم التي تقدمت، فهي من قوله كما تقدمت الإشارة، ثم قال: (قال الشاعر)، أي في المعنىٰ نفسه:

(لَمْ نُؤْتَ مِنْ جَهْلٍ وَلَكِنَّنَا ... نَسْتُرُ وَجْهَ الْعِلْمِ بِالْجَهْلِ

نَكْرَهُ أَنْ نَلْحَنَ فِي قَوْلِنَا ... وَلَا نُبَالِي اللَّحْنَ فِي الْفِعْلِ)

(نكره أن نلحن في قولنا) أي: أحسنا ضبط قولنا من حيث القواعد - قواعد اللغة -، فما يقع في لساننا لحن

لضبطنا اللسان علىٰ قواعد اللغة، لكنّا في الوقت نفسه (لا نبالي اللحن في الفعل) أي: العبادات والأعمال، فنلحن فيها، أي نكون مفرطين مقصرين مهملين غير ضابطين لها علىٰ الوجه المطلوب، ولهذا اللحن في الفعل، قد ترىٰ من مثلًا يضبط اللغة، ثم إذا جاء للصلاة يكون في صلاته لحن، فيها خلل حتىٰ في إقامة بعض واجبات الصلاة وبعض شروط الصلاة، أو حتىٰ في الآداب آداب الصلاة...، وقل مثل ذلك في سائر العبادات، ومقصود اللغة والنحو إقامة الدين، فإذا جُعل النحو هو المقصود وضُيع الدين وأُهمل فهذا الذي ينطبق عليه قول هذا الشاعر في شطر البيت الأول:

(لَـمْ نُـؤْتَ مِـنْ جَهْـلٍ وَلَكِنَّنَـا نَسْـتُرُ وَجْـهَ الْعِلْـمِ بِالْجَهْـلِ)

١٥٤- أَخْبَرَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ الْوَاعِظُ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قال: حدثنا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، قال: حدثنا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَهْضَمِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خَالِدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ نَصْرٍ، يَعْنِي أَبَاهُ، قَالَ: رَأَيْتُ الْخَلِيلَ بْنَ أَحْمَدَ فِي النَّوْمِ، فَقُلْتُ فِي مَنَامِي: لَا أَرَىٰ أَحَدًا أَعْقَلَ مِنَ الْخَلِيلِ، فَقُلْتُ: مَا صَنَعَ اللهُ بِكَ؟ قَالَ: أَرَأَيْتَ مَا كُنَّا فِيهِ!؟ فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَفْضَلَ مِنْ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ.

١٥٥- أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ الْمُبَارَكِ بْنِ أَحْمَدَ الْبَرَاثِيُّ، قال: حدثنا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُوسَىٰ التَّمَّارُ بِالْبَصْرَةِ، قال: حدثنا أَبُو عِيسَىٰ جُبَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قال: حدثنا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ التِّرْمِذِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ نَصْرَ بْنَ عَلِيٍّ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: رَأَيْتُ الْخَلِيلَ بْنَ أَحْمَدَ فِي الْمَنَامِ، فَقُلْتُ له: مَا فَعَلَ بِكَ رَبُّكَ؟ قَالَ: غَفَرَ لِي، قُلْتُ: بِمَ نَجَوْتَ؟ قَالَ: بِلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، قُلْتُ: كَيْفَ وَجَدْتَ عِلْمَكَ؟ أَعني الْعَرُوضَ وَالْأَدَبَ وَالشِّعَرَ؟ قَالَ: وَجَدْتُهُ هَبَاءً مَنْثُورًا.

ثم أورد المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ هذا الأثر أيضًا، يتعلق بهذه الترجمة التي هي: (من كره تعلم النحو لما يُكسب من الخيلاء والزهو).

أورد هذا الأثر، يتعلق بالخليل بن أحمد، والخليل بن أحمد هو واضع علم النحو كما يذكر في ترجمته، نُسب إليه أنه وضع علم النحو، والذي ذكر هنا رؤيا منامية، والرؤىٰ المنامية تذكر من باب الاستئناس، يُستأنس بها، تفيد في هذا الباب.

فرآه علي بن نصر الجهضمي في المنام، فقال: (فَقُلْتُ فِي مَنَامِي: لَا أَرَىٰ أَحَدًا أَعْقَلَ مِنَ الْخَلِيلِ: فَقُلْتُ: مَا صَنَعَ اللهُ بِكَ؟ قَالَ: أَرَأَيْتَ مَا كُنَّا فِيهِ!؟ فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَفْضَلَ مِنْ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ)، وهذا حق لا ريب فيه، سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، هي أحب الكلام إلىٰ الله ﷻ، والاشتغال بها هو اشتغال بخير عمل وبأحبه إلىٰ الله ﷻ، فقوله هنا: (لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَفْضَلَ مِنْ: سُبْحَانَ

اللهِ)، هذا منصوص عليه في الحديث: «**أحب الكلام إلىٰ الله: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر**» [صحيح مسلم]، قال عليه الصلاة والسلام: «**لأن أقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، أحب إلي مما طلعت عليه الشمس**» [صحيح مسلم]، فالذي يستفاد منه ومن هذه الرؤيا في هذا الباب، أنّ من شغله علم النحو عن التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير، وأصبح يفرع في النحو ويتقعر ويتوسع فيه، ويكون في الوقت نفسه مفرطًا في هذا الذكر العظيم، منشغلًا عن ذكر الله ﷻ، فهذا يلحقه من الذم ما يلحقه بحسب تضييعه لذكر الله ﷻ.

وأورد أيضًا بعده عن نصر بن علي يقول: (سَمِعْتُ أَبِي)، الذي هو علي بن نصر، يقول: (رَأَيْتُ الْخَلِيلَ بْنَ أَحْمَدَ فِي الْمَنَامِ فَقُلْتُ: لَهُ؟ مَا فَعَلَ بِكَ رَبُّكَ؟ قَالَ: غَفَرَ لِي، قُلْتُ: بِمَ نَجَوْتَ؟ قَالَ: بِلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، قُلْتُ: كَيْفَ وَجَدْتَ عِلْمَكَ؟ أَعِنِّي الْعُرُوضَ، وَالْأَدَبَ، وَالشِّعَرَ؟ قَالَ: وَجَدْتُهُ هَبَاءً مَنْثُورًا).

وكون ذكر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله نجاة للمرء والاستكثار، منها نجاة هذا لا ريب فيه، والنبي ﷺ صح عنه أنها كنز من تحت العرش، وأمر بالإكثار منها، فهي نجاة ولا ريب في ذلك، بل إنها هي المعينة علىٰ النجاة، عون المرء علىٰ النجاة، من استكثر من لا حول ولا قوة إلا بالله أعانته، لأنها كلمة استعانة، أعانته علىٰ الطاعات والعبادات والقرب.

ولهذا شُرع لنا عند سماع الأذان أن نقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، طلبًا للعون، وإذا خرجنا من البيت أن نقول: بسم الله توكلنا علىٰ الله لا حول ولا قوة إلا بالله، طلبًا للعون، فلا حول ولا قوة إلا بالله هي أعظم عون للمرء علىٰ النجاة، فإذا كان مكثرًا منها فهو ناج بإذن الله وموفق.

وعلم العروض والأدب والشعر، الاشتغال به لا يجدي في الآخرة ولا ينفع، إلا إذا صلحت النية وصلح القصد، وجاهد المرء علىٰ صلاح نيته، أما إذا كان يستعمله للمفاخرة والمباهاة والزهو ونحو ذلك، والتعالي علىٰ الناس... ونحو هذه المعاني، فهذا كله لا ينفعه في الآخرة، بل يضره.

١٥٦- أَنْشَدَنَا أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُظَفَّرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ السَّرَّاجُ، قَالَ: أَنْشَدَنَا أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ سَلْمَانَ بْنِ الْحَسَنِ النَّجَّادُ الْفَقِيهُ، قَالَ: أَنْشَدَنَا هِلَالُ بْنُ الْعَلَاءِ الْبَاهِلِيُّ لِنَفْسِهِ قال:

سَيَبْلَىٰ لِسَانٌ كَانَ يُعْرِبُ لَفْظَهُ ... فَيَا لَيْتَهُ فِي وَقْفَةِ الْعَرْضِ يَسْلَمُ

وَمَا يَنْفَعُ الْإِعْرَابُ إِنْ لَمْ يَكُنْ تُقًى ... وَمَا ضَرَّ ذَا تَقْوَىٰ لِسَانٌ مُعْجَمُ

ثم أورد هذا الأثر أنّ أبا بكر أحمد بن سلمان النجّاد، أنشد قول هلال بن العلاء الباهلي لنفسه:

(سَـيَبْلَىٰ لِسَـانٌ كَـانَ يُعْـرِبُ لفظـهُ .....)

لَفْظَه (لعل ضبطها هكذا)

(..... فَيَـا لَيْتَـهُ فِـي وَقْفَـةِ الْعَـرْضِ يَسْـلَمُ

وَمَا يَنْفَعُ الْإِعْرَابُ إِنْ لَـمْ يَكُـنْ تُقًـىٰ وَمَـا ضَـرَّ ذَا تَقْـوَىٰ لِسَـانٌ مُعْجَـمُ)

إنشاد أبي بكر النجاد هذين البيتين لهلال بن العلاء كان له قصة، جاءت في بعض المصادر التي أوردت هذا الأثر، وهي: أنه كان في مجلس في دار الخلافة يُملي - أعني النجاد - يُملي، فغلط في شيء من العربية، فردّ عليه بعض الحاضرين، فاشتد - أي الرادّ - اشتد عليه في شيء أخطأ في ولحن فيه، فاشتد عليه، فلما فرغ المجلس قال أبو بكر النجاد لهم: خذوا، ثم أنشد هذين البيتين لهلال بن العلاء، وهلال بن العلاء مثل ما ذكر الذهبي في «السير» له شعر رائق لائق لكل ذائق، فمنه: وذكر هذين البيتين.

قال: (سَيَبْلَىٰ لِسَانٌ كَانَ يُعْرِبُ لَفْظَه)، أي: يأتي بلفظه مُعربًا، يأتي بلفظه - أي ألفاظه - مُعرَبًا، (سَيَبْلَىٰ لِسَانٌ كَانَ يُعْرِبُ لَفْظَه)، لفظه مفرد مضاف فيفيد العموم، ألفاظه، يعني تأتي ألفاظه معربة لا خلل فيها، من حيث استقامتها علىٰ قواعد اللغة، (فَيَا لَيْتَهُ فِي وَقْفَةِ الْعَرْضِ يَسْلَمُ)، أي أن هذا الإعراب ليس هو الذي ينجي في الدار الآخرة، (وَمَا يَنْفَعُ الْإِعْرَابُ إِنْ لَمْ يَكُنْ تُقًىٰ)، تأمل هذا القيد: (وَمَا يَنْفَعُ الْإِعْرَابُ إِنْ لَمْ يَكُنْ تُقًىٰ)، لكن إذا كان الإعراب مع التقىٰ فهذا لا شك أنه خير، ينفع المرء ويفيده في إقامة لسانه، لكن إذا كان إعراب وضبط للغة بدون تُقىٰ، هذا المهلكة الذي يجر لصاحبه الخيلاء والزهو والغرور... وغير ذلك.

(وَمَا ضَرَّ ذَا تَقْوَىٰ لِسَانٌ مُعْجَمُ)، إذا كان المرء من المتقين لا يضره أن يكون يخطئ في بعض الكلمات، ولا تأتي مُعربة لا يضره ذلك، ما دام هذا جَهده، لكنه محقق لتقوىٰ الله، وقد قال عليه الصلاة والسلام، قال عن الذي يقرأ القرآن وهو يتتعتع به قال: «**له أجران**» [متفق عليه]، ولا يعني ذلك أن يبقىٰ علىٰ التعتعة ولا يجاهد نفسه علىٰ إصلاح لسانه، لكنه مأجور، إذا كان هذا جهده وهذه قدرته مادام متقيًا لله ﷻ، لكن المعرب للسان الفصيح في النطق، الذي لا يُحفظ عليه لحن إطلاقًا، إذا لم يكن من أهل التقىٰ لا ينجيه هذا الإعراب يوم القيامة، والآخر الذي هو التقي إن كان لسانه فيه عجمة فيه خلل، ما يضره ذلك في الآخرة.

❀❀◈❀❀

١٥٧- أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ الْخَيَّاطُ الْأَزَجِيُّ، قال: حدثنا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمُفِيدُ بِجَرْجَرَايَا، قال: حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ مَخْلَدٍ، قال: حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّىٰ السِّمْسَارُ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ بِشْرِ بْنِ الْحَارِثِ، وَعِنْدَهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْعَظِيمِ الْعَنْبَرِيُّ، وَكَانَ مِنْ سَادَاتِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا نَصْرٍ، أَنْتَ رَجُلٌ قَدْ قَرَأْتَ الْقُرْآنَ وَكَتَبْتَ الْحَدِيثَ، فَلِمَ لَا تَتَعَلَّمُ مِنَ الْعَرَبِيَّةِ مَا تَعْرِفُ بِهِ اللَّحْنَ حَتَّىٰ لَا تَلْحَنُ!؟

قَالَ: وَمَنْ يُعَلِّمُنِي يَا أَبَا الْفَضْلِ؟ قَالَ: أَنَا يَا أَبَا نَصْرٍ، قَالَ: فَافْعَلْ. قَالَ: قُلْ: (ضَرَبَ زَيْدٌ عَمْرًا)، قَالَ: فَقَالَ لَهُ بِشْرٌ: يَا أَخِي وَلِمَ ضَرَبَهُ؟ قَالَ: يَا أَبَا نَصْرٍ مَا ضَرَبَهُ، وَإِنَّمَا هَذَا أَصْلٌ وُضِعَ، فَقَالَ بِشْرٌ: هَذَا أَوَّلُهُ كَذِبٌ لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ.

هذه القصة تُروىٰ عن بشر بن الحارث، أنّ العباس بن عبد العظيم العنبري دعاه لتعلم اللغة من أجل ألا يلحن، حتىٰ يسلم من اللحن، وزهّده في تعلم النحو الأمثلة التي فيه، التي ليست مقصودة لنفسها، وإنما هي ضرب مثال للتوضيح توضيح ذلك العلم، وكثيرا ما يأتي عمرو في مقام الضرب، يعني: ضرْبُ زيد له، هذا ليس له وجود من حيث الواقع، لكنه مثال للتوضيح وتعليم القواعد، فلما رأىٰ من أول وهلة قيام هذا العلم علىٰ هذا المثال لم تقبله نفسه، وأعرض عنه، وقال: (هذا أوله كذب لا حاجة لي فيه!) فإذا فُهم علىٰ هذا الوجه ممن هو مشتغل بالعبادة وصيانة نفسه عن الكذب والورع عن دقائق الأمور، قد يزهد في هذا العلم، لكن إذا أخذه مأخذًا آخر، وأنّ هذه أمثلة ليست مقصودة، ويعرف المتحدث بها أنها ليست مقصودة، وإنما هي مثال تضبط علىٰ ضوئه القاعدة، فهذا بإذن الله ﷻ لا مضرة فيه ولا يعد من الكذب.

❀❀◈❀❀

١٥٨- أَخْبَرَنَا أَبُو نَصْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عَبْدُوسٍ الْأَهْوَازِيُّ، إِجَازَةً، قَالَ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ الْأَصْبَهَانِيَّ، يَقُولُ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ الْمَلَطِيَّ، يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا هَارُونَ مُحَمَّدَ بْنَ هَارُونَ، يَقُولُ: سَمِعْتُ ابْنَ أَبِي أُوَيْسٍ يَقُولُ: حَضَرَ رَجُلٌ مِنَ الْأَشْرَافِ عَلَيْهِ ثَوْبٌ حَرِيرٌ، قَالَ: فَتَكَلَّمَ مَالِكٌ بِكَلَامٍ لَحَنَ فِيهِ، قَالَ: فَقَالَ الشَّرِيفُ: مَا كَانَ لِأَبَوَيْ هَذَا دِرْهَمَانِ يُنْفِقَانِ عَلَيْهِ، وَيُعَلِّمَانِهِ النَّحْوَ؟ قَالَ: فَسَمِعَ مَالِكٌ كَلَامَ الشَّرِيفِ، فَقَالَ: لَأَنْ تَعْرِفَ مَا يَحِلُّ لَكَ لُبْسُهُ مِمَّا يَحْرُمُ عَلَيْكَ، خَيْرٌ لَكَ مِنْ (ضَرَبَ عَبْدُ اللهِ زَيْدًا) و(ضَرَبَ زَيْدٌ عَبْدَ اللهِ).

ثم ختم رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ بهذه القصة التي تتعلق بمالك رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ، أنّ رجلًا من الأشراف كان عليه ثوب حرير، ومن المعلوم أنّ ثوب الحرير جاءت الشريعة بتحريمه والنهي عنه، وأنه لا يحل للذكور من أمة محمد عليه الصلاة والسلام، وجاء فيه وعيد، (فتكلم مالك بكلام لحن فيه، فقال) ذاك (الشريف: مَا كَانَ لِأَبَوَيْ هَذَا دِرْهَمَانِ يُنْفِقَانِ عَلَيْهِ، وَيُعَلِّمَانِهِ النَّحْوَ؟) يعني ذكر ذلك تهوينًا من مكانته عندما سمع كلمة لحن فيها، وهذا ناشئ من الزهو الذي أشار إليه المصنف في الترجمة، (فَسَمِعَ مَالِكٌ كَلَامَ الشَّرِيفِ فَقَالَ: لَأَنْ تَعْرِفَ مَا يَحِلُّ لَكَ لِبْسُهُ مِمَّا يَحْرُمُ عَلَيْكَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ (ضَرَبَ عَبْدُ اللهِ زَيْدًا) و(ضَرَبَ زَيْدٌ عَبْدَ اللهِ))، التي هي الأمثلة التي في النحو كثيرًا ما تتردد علىٰ ألسنة الدارس والمدرس، المتعلم والمعلم، كثيرًا ما يكون مشتغلا بهذه الأمثلة.

فالحاصل أنّ هذه القصة تُعد شاهدًا لما سبق، أنّ من الناس من يعرب لسانه فلا يلحن، لكن فعله لحن

وأعماله لحن، فهذا ينتقد خللًا يسيرًا في الإعراب، وهو علىٰ أمر عظيم مخالف للشرع وهو لبس الحرير الذي حرمه الله ﷻ علىٰ الذكور من أمة محمد عليه الصلاة والسلام، وجاء فيه وعيد شديد، فاللحن في كلمة أو في كلمات لا يترتب عليه هذا الوعيد، لكن هذا الحرير الذي هو يلبسه هذا فيه وعيد شديد، فالحاصل أنه انتقد مالك رَحِمَهُ اللَّهُ في كلمة لحن فيها، أو يرىٰ أنه لحن فيها، وقال علىٰ وجه الانتقاص له: (مَا كَانَ لِأَبَوَيْ هَذَا دِرْهَمَانِ يُنْفِقَانِ عَلَيْهِ، وَيُعَلِّمَانِهِ النَّحْوَ؟) فنبّه مالك رَحِمَهُ اللَّهُ مما يُرىٰ من حال هذا الرجل في مخالفته للشرع في لبس الحرير، نبه هذا التنبيه قال: (لَأَنْ تَعْرِفَ مَا يَحِلُّ لَكَ لِبْسُهُ مِمَّا يَحْرُمُ عَلَيْكَ، خَيْرٌ لَكَ مِنْ (ضَرَبَ عَبْدُ اللهِ زَيْدًا) و(ضَرَبَ زَيْدٌ عَبْدَ اللهِ)).

وهذا حقيقة يعني إرشاد نافع في هذا الباب، إذا كان الإنسان مشتغل في النحو ومفرِّط في الدين، يلحن في دين الله، هذا ضرر عظيم، وإذا صحب ذلك أيضًا زهو وغرور وتعالي فهذا أيضًا مضرة عظيمة جدًّا، حاصل القول أنّ هذه الترجمة ليس المراد بها التزهيد في علم النحو من حيث هو، لكن فيها التزهيد في أن يكون هو الشغل الشاغل للمرء، والغاية المقصودة عنده، وينصبّ همه كله عليه، منشغلًا عما خُلق لأجله وأُوجد لتحقيقه، من إقامة دين الله، وامتثال أمره، وطاعته، واتباع رسوله عليه الصلاة والسلام.

نسأل الله الكريم أن ينفعنا أجمعين بما علمنا، وأن يزيدنا علمًا وتوفيقًا، وأن يصلح لنا شأننا كله، وألا يكلنا إلىٰ أنفسنا طرفة عين، إنه تبارك وتعالىٰ سميع الدعاء، وهو أهل الرجاء، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلىٰ الله وسلم علىٰ عبده ورسول نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

المجلس العاشر

١١/ ١٠ / ١٤٢١

باب الأخذ بالوثيقة في أمر الآخرة

١٥٩- حَدَّثنا أَبُو نُعَيْمٍ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْحَافِظُ إِمْلَاءً، قال: حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُقْرِئُ، قَالَ: حدثنا أَبُو يَعْلَىٰ وَهُوَ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْمُثَنَّىٰ الْمَوْصِلِيُّ، قال: حدثنا عَبْدُ اللهِ بْنُ عَوْنٍ، قال: حدثنا عُثْمَانُ بْنُ مَطَرٍ الشَّيْبَانِيُّ، عَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ، عَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الشِّخِّيرِ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: يَا إِخْوَتِي، اجْتَهِدُوا فِي الْعَمَلِ، فَإِنْ يَكُنِ الْأَمْرُ كَمَا نَرْجُو مِنْ رَحْمَةِ اللهِ وَعَفْوِهِ، كَانَتْ لَنَا دَرَجَاتٌ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنْ يَكُنِ الْأَمْرُ شَدِيدًا كَمَا نَخَافُ وَنُحَاذِرُ لَمْ نَقُلْ ﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ﴾ [فاطر:٣٧] نَقُولُ: قَدْ عَمِلْنَا فَلَمْ يَنْفَعْنَا.

الحمد لله رب العالمين، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله، اللّٰهُمَّ صلِّ وسلم علىٰ عبدك ورسولك نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، أما بعد..

قال المصنِّف الخطيب البغدادي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ في كتابه المبارك «اقتضاء العلم العمل» قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (بابٌ: الأخذ بالوثيقة في أمر الآخرة)، هذه الترجمة عنىٰ بها المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ أن يكون المرء مع نفسه حازمًا ذا عزم فيما يتعلق بأمور الآخرة، والتهيؤ للقاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وألا يتكل في هذا الباب علىٰ الرجاء، بل يكون مع نفسه في حزمٍ وعزم، وهذا الحزم الذي يتعلق بأمر الآخرة ينشأ عن الوجل والخوف ﴿إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ ٢٦ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ٢٧﴾[الطور]، ولابن أبي الدنيا رَحِمَهُ اللَّهُ رسالة مطبوعة في الباب أسماها (الوجل والتوثق) لأنهما أمران ينبني أحدهما علىٰ الآخر، فإذا كان هناك وجل من القيامة والوقوف بين يدي الله عَزَّوَجَلَّ، أثمر في العبد التوثق، الذي هو الأخذ بالوثيقة في أمر الآخرة.

وليتّضح المراد بقوله (الأخذ بالوثيقة)، أضرب مثالًا المقصود منه التوضيح: عندما يكون المرء في طريق سفر إلىٰ بلد ما، وقد يكون سلك هذا الطريق لأول مرة، وكان الوقود الذي في سيارته قليلًا، إن قال صاحب هذه السيارة: أمضي وأجد محطات وقود في الطريق، وهو لا يدري أصلًا هل يجد أو لا يجد؟ وإن وجد هل فيها وقود أو ليس فيها وقود؟ هل تعمل أو لا تعمل!؟ لا يكون أخذ نفسه بالوثيقة، لكن إن عبأ سيارته وملأها بالوقود ثم مضىٰ، يكون قد أخذ بالوثيقة، هذا يتناسب مع واقعنا، مثله تمامًا ما جاء في الأثر عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، روىٰ عبد الرزاق في المصنف عن قتادة قال: سُئل ابن عمر عن لا إله إلا الله، هل يضر معها عمل؟ كما لا ينفع مع تركها عمل؟ فقال ابن عمر: **عشّ ولا تغتر**. [صفة الصفوة]

وروىٰ ابن المبارك في الزهد عن أبي يونس مولىٰ تغلب قال: سألت عبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير،

وعبيد بن عمير: هل يضر مع الإخلاص عمل؟ فقالوا: **عشّ ولا تغتر**. هذا السؤال هل يضر مع لا إله إلا الله عمل؟ يعني: هل المعاصي تضر في الآخرة إذا كان المرء من أهل لا إله إلا الله؟ كما لا ينفع مع تركها عمل، إذا ترك الإنسان لا إله إلا الله ولو جاء بالأعمال الصالحة كلها لا تنفعه لأنه فاقد للأصل، فالسائل يقول: هل يضر معها عمل؟ كما لا ينفع مع تركها عمل؟ هل تضر المعاصي مع لا إله إلا الله؟ كما في الأثر الذي بعده: هل يضر مع الإخلاص عمل؟ يعني فعل معاصي أو تهاون في بعض الطاعات.

فكان الجواب من ابن عمر، وأيضًا عبد الله بن الزبير وعبيد بن عمير، قالوا في الجواب: **عشّ ولا تغتر**. قال أبو عبيد في غريب الحديث: قوله: عشّ ولا تغتر، إنما هو مَثَل، وأصل ذلك فيما يُقال أنّ رجلًا أراد ان يقطع مفازةً بإبله، فاتكل علىٰ ما فيها - أي المفازة - من الكلأ، قال: المفازة فيها عشب يكفي، فقيل له: عشّ إبلك قبل أن تفوز بها، أي قبل أن تدخل بها المفازة، لأنه قد لا تجد فيها عشبًا كما تظن، وخذ بالاحتياط، فإن كان فيها كلأ فليس يضرك ما صنعت، ما يضرك، إن كان فيها كلأ لا يضرك أنك أخذت بالوثيقة والحزم وعشيت إبلك، وإن لم يكن فيها شيء كنت قد أخذت بالثقة، أي الوثيقة، فأراد ابن عمر ذلك المعنىٰ في العمل، أراد ذلك المعنىٰ في الذي يتعلق بالإبل وقولهم: عشّ إبلك ولا تغتر، أراد ذلك المعنىٰ في العمل، يقول: اجتنب الذنوب ولا ترتكبها اتكالًا علىٰ الإسلام، وخذ في ذلك بالثقة والاحتياط. انتهىٰ كلام أبو عبيد رَحِمَهُ اللَّهُ.

فالأخذ بالوثيقة المراد به الحزم مع النفس فيما يتعلق بأمور الآخرة، مجاهدة النفس علىٰ البعد عن الذنوب والمعاصي والآثام، وحسن الإقبال علىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ومن الأحاديث التي يمكن أيضًا أن توضح هذا المعنىٰ - الذي هو الأخذ بالوثيقة - ما جاء في «المسند» وغيره عن أبي قتادة، أنّ النبي ﷺ قال لأبي بكر: «**أيَّ حينٍ توترُ؟**» قالَ: أوَّلَ اللَّيلِ، بعدَ العتمةِ، قالَ: «**فأنتَ يا عمرُ؟**» فقالَ: آخرَ اللَّيلِ، فقالَ النَّبيُّ ﷺ: «**أمَّا أنتَ يا أبا بَكرٍ فأخذتَ بالوثقىٰ، وأمَّا أنتَ يا عمرُ فأخذتَ بالقوَّة**» [صحيح ابن ماجه، وذكره الشيخ البدر بالمعنىٰ]

وأيضًا من الأحاديث التي فيها توضيح لهذا المعنىٰ، حديث أبو هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا قام أحدكم من الليل فلا يغمس يده في الإناء حتىٰ يغسلها ثلاث مرات، فإنه لا يدري أين باتت**» [صحيح أبي داود وغيره]، يعني لا يدري هل باتت في مكانٍ طاهر أو نجس!؟ لأنّ يد النائم تجول في جسمه، ربما مواضع الاستجمار، فقد يقع بها شيء أو يعلق بها شيء فيؤدي إلىٰ إفساد الماء، أو علىٰ الأقل كراهية الماء وأن يعافه من أراد أن يتطهر، قال أهل العلم: في الحديث من العلم أنّ الأخذ بالوثيقة والعمل بالاحتياط في العبادات أولىٰ.

الحاصل أنّ الأخذ بالوثيقة هو أن يكون المرء حازمًا مع نفسه في أمور الآخرة، ولا يتهاون اتكالًا علىٰ

الرجاء، أو سعة الرحمة وسعة المغفرة... ونحو ذلك.

أورد الخطيب البغدادي رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الأثر: عن مطرّف بن عبد الله بن الشّخّير - من أئمة التابعين الأجلاء - أنه كان يقول: (يا إخوتي، اجتهدوا في العمل، فأن يكن الأمر كما نرجو من رحمة الله وعفوه كانت لنا درجات في الجنة، وإن يكن الأمر شديدًا كما نخاف ونحاذر لم نقل ﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ﴾، نقول قد عملنا فلم ينفعنا)، هذه الوصية من المطرف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ هي من الأخذ بالوثيقة، ومن الحزم مع النفس، والأخذ بالعزم، يقول: (اجتهدوا في العمل)، أي في هذه الدار، فإنكم إن اجتهدتم في الأعمال وأحسنتم فيها، (إن يكن الأمر كما نرجو من رحمة الله وعفوه)، لأنّ من يفرط في العمل أحيانًا يفرط اتكالًا علىٰ الرجاء، رجاء الرحمة، فيقول: إن عملنا واجتهدنا في العمل، (إن يكن الأمر كما نرجو من رحمة الله وعفوه كانت لنا درجات)، هذه الأعمال التي عملناها وثوابًا ومزيد رفعةٍ عند الله (في الجنة، وإن يكن الأمر شديدًا كما نخاف ونحاذر لم نقل) في تلك الدار ﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ﴾ ! لأنّ أهل الندامة في الدار الآخرة يقولون ذلك، يقولون: ﴿أَخۡرِجۡنَا﴾ أي من النار، وردنا إلىٰ الدنيا لـ ﴿نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ﴾ بل (نقول: قد عملنا فلم ينفعنا). الحاصل أنّ هذه الوصية، وصية مطّرف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ، فيها الأخذ بالوثيقة والحزم فيما يتعلق بأمر الآخرة.

١٦٠- أَخْبَرَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْمُعَدِّلُ، قال أَنبَأَ أَبُو عَلِيٍّ الْحُسَيْنُ بْنُ صَفْوَانَ الْبَرْذَعِيُّ، قال حدثنا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الدُّنْيَا، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَجِيدِ، قَالَ: سَمِعْتُ سُفْيَانَ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِمُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ وَلِرَجُلٍ آخَرَ مِنْ قُرَيْشٍ: الْجِدَّ الْجِدَّ، وَالْحَذَرَ الْحَذَرَ، فَإِنْ يَكُنِ الْأَمْرُ عَلَىٰ مَا تَرْجُونَ كَانَ مَا قَدَّمْتُمْ فَضْلًا، وَإِنْ يَكُنِ الْأَمْرُ عَلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ، لَمْ تَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ.

هذا الأثر عن (سفيان) وهو ابن عيينة رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ (قال: قال رجل) - وهو أيضًا زياد مولىٰ ابن عياش - (لمحمد بن المنكدر ولرجلٍ آخر) - وهو صفوان بن سليم - كل ذلك جاء مصرحًا به في رواية هذا الأثر في محاسبة النفس لابن أبي الدنيا.

قال: (الجّد الجّد، والحذر الحذر، فإن يكن الأمر علىٰ ما ترجون كان ما قدمتم فضلًا، وإن يكن الأمر علىٰ غير ذلك لم تلوموا أنفسكم). وهذا أيضًا من الأخذ بالوثيقة والحزم مع النفس، أن يكون جادًا مع نفسه في باب الطاعات والعبادات والقُرَب، وأن يكون حذرًا من الذنوب والمعاصي، ولا يتكل علىٰ الرجاء، فإذا كان أمر الرجاء علىٰ ما يؤمله الإنسان كان ما قدم الإنسان من جدٍ وحذر (فضلًا) يزداد به درجات ورفعة منازل، مثلما قال مطّرف في الأثر الذي قبله: (كانت لنا درجات في الجنة، وإن يكن الأمر علىٰ غير ذلك لم تلوموا أنفسكم)،

أي: لا يقول الإنسان في الدار الآخرة: ليتني عملت! ولا يقول أيضًا كما في الأثر الذي قبله: (لم نقل ﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ﴾!) لأنه جاهد نفسه، وأخذ بالحزم، وأخذ بالثقة، وعمل، فلا يلوم نفسه.

فالحاصل أنّ الأخذ بالوثيقة مع النفس حزمًا وعزمًا وجدًا واغتنامًا للمهلة في دار العمل، هو الذي بإذن الله ﷻ يترتب عليه فلاح العبد وسعادته ونجاته في الدار الآخرة.

١٦١- أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ الْحُسَيْنُ بْنُ عُمَرَ بْنِ بُرْهَانَ الْغَزَّالُ، قال: حدثنا عَبْدُ الْبَاقِي بْنُ قَانِعِ بْنِ مَرْزُوقٍ الْقَاضِي، إِمْلَاءً، قال حدثنا بِشْرُ بْنُ مُوسَىٰ، قال: حدثنا عَبْدُ اللهِ بْنُ صَالِحٍ، قال: حدثنا يَحْيَىٰ بْنُ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَبِي غَنِيَّةَ، قَالَ: كَتَبَ مُحَمَّدُ بْنُ النَّضْرِ الْحَارِثِيُّ إِلَىٰ أَخٍ لَهُ: أَمَّا بَعْدُ.. فَإِنَّكَ فِي دَارِ تَمْهِيدٍ وَأَمَامَكَ مَنْزِلَانِ، لَابُدَّ مِنْ أَنْ تَسْكُنَ أَحَدَهُمَا، وَلَمْ يَأْتِكَ أَمَانٌ فَتَطْمَئِنَّ، وَلَا بَرَاءَةٌ فَتُقَصِّرَ، وَالسَّلَامُ.

هذا الأثر عن محمد بن نصر الحارثي أنه كتب وصية إلىٰ أخٍ له، قال فيها: (أما بعد.. فإنك في دار تمهيد وأمامك منزلان لابد من أن تسكن أحدهما، ولم يأتك أمان فتطمئن، ولا براءة فتقصر، والسلام)، هذه وصية عظيمة جدًّا، وقوله: (إنك في دار تمهيد)، أي: الدنيا، (تمهيد) أي: للآخرة، تمهد لنفسك ما تكون عليه حالك في الآخرة من ثواب أو نعيم [لعل الشيخ قصد: عقوبة]، لأن الثواب والنعيم [والعقوبة] في الآخرة بحسب ما مهدت لنفسك به في الحياة الدنيا، ولهذا قال الله ﷻ: ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِأَنفُسِهِمۡ يَمۡهَدُونَ ٤٤﴾ [الروم]، يمهدون لأنفسهم، أي: يستعدون ويسوون مضاجعهم، قبورهم، بالأعمال الصالحة.

ولهذا سيأتي معنا في الباب الذي بعده قول الحسن: يتوسد المؤمن ما قدم من عمله في قبره! فالذي يقدمه المرء في هذه الحياة الدنيا من أعمال صالحة وطاعات وعبادات وقُرَب...، هذا كله يعدّ من التهيئة لأنفسهم، وعمارة الآخرة والاستعداد للفوز بالمنازل والدرجات والثواب الجزيل، والنجاة من عقاب الله ﷻ، (فإنك في دار تمهيد، وأمامك منزلان)، أي: في الدارة الآخرة؛ الجنة أو النار، (لابد من أن تسكن أحدهما) ﴿فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ٧﴾ [الشورىٰ]، ليس هناك خيار ثالث، (ولم يأتك أمان فتطمئن)، أمان من العقوبة فتطمئن وتركن إلىٰ هذا الأمان، (ولا) أتاك أيضًا (براءة) بتحقق نجاتك وفوزك بثواب الله، (فتقصر) أي في العمل، فعلامَ إذن التهاون والتقصير والتفريط!؟ أي: أنّ الواجب في هذا هو الأخذ بالوثيقة والحزم مع النفس، وفي الدعاء المأثور: «**اللَّهُمَّ إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة علىٰ الرشد، وأسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك**» [السلسلة الصحيحة للألباني]، بهذا انتهىٰ هذا الباب.

ونسأل الله الكريم أن ينفعنا أجمعين بما علَّمنا، وأن يزيدنا علمًا وتوفيقا، وأن يصلح لنا شأننا كله، وألا

يكلنا إلىٰ أنفسنا طرفة عين، إنه تبارك وتعالىٰ سميع قريب مجيب، وصلىٰ الله وسلم علىٰ عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المجلس الحادي عشر

١٢/ ١٠/ ١٤٤١

بَابٌ فِي أَنَّ الْأَعْمَالَ هِيَ الزَّادُ، وَالذَّخِيرَةُ النَّافِعَةُ يَوْمَ الْمَعَادِ

١٦٢- أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْمُعَدِّلُ، قَالَ: أنبأَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ صَفْوَانَ الْبَرْذَعِيُّ، قال: حدثنا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الدُّنْيَا، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ، ثنا دَاوُدُ بْنُ الْمُحَبَّرِ، عَنْ صَالِحٍ الْمُرِّيِّ، عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: يَتَوَسَّدُ الْمُؤْمِنُ مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ فِي قَبْرِهِ، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ، فَاغْتَنِمُوا الْمُبَادَرَةَ رَحِمَكُمُ اللهُ فِي الْمُهْلَةِ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد ألا إله إلا الله حده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله، اللّهُمَّ صلّ وسلم علىٰ عبدك ورسولك نبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد.. قال المصنف الإمام الخطيب البغدادي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «اقتضاء العلم العمل» قال: (بابٌ: في أن الأعمال هي الزاد، والذخيرة النافعة يوم المعاد)، (الأعمال) أي: الصالحة التي يتقرب بها العبد إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ويحرص علىٰ الاستكثار منها في هذه الحياة الدنيا، فإنها خير زاد ليوم المعاد، وهي (الذخيرة): ذخر لصاحبها ورِفعة عند الله جل وعلا.

أورد رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الأثر عن الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ قال: (يَتَوَسَّدُ الْمُؤْمِنُ مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ فِي قَبْرِهِ، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ، فَاغْتَنِمُوا الْمُبَادَرَةَ رَحِمَكُمُ اللهُ فِي الْمُهْلَةِ)، أي في هذه الحياة الدنيا، ما دام المرء في دار المهلة أي دار الإمهال، ليعمل ويقدم ما يسره أن يلقىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ به، وما يقدِّمه المرء في هذه الحياة الدنيا يتوسده في قبره، أي يكون وسادة ومهادًا له في قبره، ولهذا ينبغي علىٰ المسلم أن يحرص علىٰ إطابة هذه الوسادة التي في القبر، قد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الروم]، أي: يسوون المضاجع التي هي القبور، وتسويتها هو بالعمل الصالح وحسن التقرُّب إلىٰ الله جل وعلا، وقول الحسن هنا: (يتوسَّد المؤمن ما قدم من عمل في قبره، إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشر) أي: الذي يتوسده في القبر هو العمل، صالحًا أو غير ذلك، ولهذا ينبغي علىٰ الناصح لنفسه أن يُصلح عمله قبل أن يُدرج في قبره.

ومن لطيف ما يُروىٰ في هذا الباب ما جاء عن بعض السلف رحمهم الله تعالىٰ، أنَّه أراد أن يعظ نفسه ويذكِّرها بما يجعلها تستعد للعمل ولقاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهو إبراهيم التيمي يقول: مثَّلت نفسي في الجنة، آكل ثمارها، وأشرب من أنهارها، وأعانق أبكارها...، ثم مثلت نفسي في النار، أكل من زقومها! وأشرب من

صديدها! وأعالج سلاسلها وأغلالها!! فقلت لنفسي: أيْ نفس! أي شيء تريدين؟ قالت: أريد أن أُردّ إلىٰ الدنيا فأعمل صالحًا! قال: قلت: فأنتِ في الأمنية فأعملي.

إذا ذكّر الإنسان نفسه وتصور أنه أدرج في القبر علىٰ عمله الذي هو عليه الآن، وتصور أنه أدرج في قبره علىٰ هذا العمل، ثم سأل نفسه: أي شيء تتمنّين!؟ لوجد أنّ نفسه تتمنىٰ لو رجع إلىٰ الدنيا ليصلح من عمله الذي سيتوسده في قبره، فهو الآن في الأمنية، عليه أن يصلح عمله كما قال الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ: ما دام (في) دار (المهلة).

١٦٣- أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ جَعْفَرٍ الْخِرَقِيُّ، قَالَ: أَنَا أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَلْمٍ الْخَتَّلِيُّ، قال حدثنا أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الْأَبَّارُ، قال حدثنا يَحْيَىٰ بْنُ أَيُّوبَ، قال: حدثنا عَمَّارُ بْنُ مُحَمَّدٍ أَبُو الْيَقْظَانِ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ [القصص:٧٧]، قَالَ: عُمُرُكَ أَنْ تَعْمَلَ فِيهِ لِآخِرَتِكَ.

ثم أورد رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الأثر عن مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾؛ أي: حظك منها، دون أن تفرط فيما خلقت لأجله وأوجدت لتحقيقه، وهو عبادة الله وطاعته جل وعلا، ولهذا اشتغال المرء بمصالح الدنيا لا حرج في ذلك ولا مأثم ما دام أنه لا يطغىٰ علىٰ عمل الآخرة، فلا حرج في ذلك، أما إذا طغىٰ علىٰ عمل الآخرة فهذا الذي يكون به الإثم، ولهذا جاء في الدعاء: اللَّهُمَّ: «**لا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا**» [صحيح الجامع]، أما الهم الذي لا يطغىٰ، الهم في أمور الدنيا الذي لا يطغىٰ علىٰ الآخرة هذا لا حرج فيه، وهو من المعاني المستفادة من قوله: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾، ومجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ فسر الآية بقوله: (﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ قال: عمرك أن تعمل فيه لآخرتك)، نصيبك من الدنيا الذي هو العمر، لا تضيعه ولا تفّرط في هذا العمر أن تستعمله في عمل الآخرة وما يقربك إلىٰ الله.

١٦٤- أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْقَزْوِينِيُّ قَالَ: أَنَا عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَلَمَةَ الْقَطَّانُ قال: حدثنا أَبُو حَاتِمٍ الرَّازِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي سُوَيْدٌ هُوَ ابْنُ سَعِيدٍ قال: حدثنا أَبُو عَوْنٍ الْحَكَمُ بْنُ سِنَانٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ قَالَ: مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَاةِ: كَمَا تَدِينُ تُدَانُ، وَكَمَا تَزْرَعُ تَحْصُدُ.

ثم أورد رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الخبر (عن مالك بن دينار قال: مكتوب في التوراة)، يعني هذا كلام مرسل، يعني لا يُدرىٰ هل هو كذلك مكتوب في التوراة أو لا؟ الله تعالىٰ أعلم، وأيضًا هذه اللفظة لم يثبت فيها حديث مرفوع عن النبي ﷺ، لكنها جارية مجرىٰ الحكم العظيمة والأمثال النافعة، وتروىٰ عن بعض السلف رحمهم الله تعالىٰ.

وقوله: (كما تدين تدان)، الدين تارة يطلق ويراد به العمل ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [آل عمران:١٩]، وتارة يراد به الجزاء ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٧﴾ [الانفطار]، أي: الحساب، فقوله: (كما تدين تدان) جمع الأمران، كما تعمل تُجازىٰ، (كما تدين تدان) أي: كما تعمل تُجازىٰ، فإن كانت أعمالك صالحة جزيت عليها بالثواب الجزيل، وإن كانت سيئة جزيت عليها بالعقاب ﴿لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٣١﴾ [النجم]، فـ(كما تدين تدان) أي: كما تعمل تجازىٰ، كما تعمل يُعمل بك، (وكما تزرع تحصد)، (كما تزرع) أي: في الدنيا، (تحصد) في الآخرة، ولهذا قال النبي ﷺ لمعاذ: «**وهل يكب الناس في النار علىٰ وجوههم - أو قال - علىٰ مناخرهم، إلا حصائد ألسنتهم!؟**» [صحيح الترمذي وغيره]، فالدنيا دار البذر والزرع، والآخرة دار الجنىٰ والحصاد، وكما يزرع يحصد، فمن زرع خيرا لقي يوم القيامة ثوابه وأجره، ومن زرع في هذه الدنيا شرا باء يوم القيامة بعقوبة ذلك.

١٦٥- أَخْبَرَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ التَّوَّزِيُّ، قَالَ: أَنْبَأَ أَبُو مُحَمَّدٍ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْجَرَادِيُّ الْكَاتِبُ، قَالَ: أَنْشَدَنَا ابْنُ دُرَيْدٍ قَالَ: أَنْشَدَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَعْنِي ابْنَ أَخِي الْأَصْمَعِيِّ، عَنْ عَمِّهِ قَالَ: أَنْشَدَنِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ:

فَمَا لَكَ يَوْمَ الْحَشْرِ شَيْءٌ سِوَىٰ ... الَّذِي تَزَوَّدْتَهُ قَبْلَ الْمَمَاتِ إِلَىٰ الْحَشْرِ

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَزْرَعْ وَأَبْصَرَتَ حَاصِدًا ... نَدِمْتَ عَلَىٰ التَّفْرِيطِ فِي زَمَنِ الْبَذْرِ

هذان البيتان في الباب يرويهما الأصمعي عن رجل من أهل البصرة لم يسمه، أنه أنشد قال:

(فَمَا لَكَ يَوْمَ الْحَشْرِ شَيْءٌ سِوَىٰ ... الَّذِي تَزَوَّدْتَهُ قَبْلَ الْمَمَاتِ إِلَىٰ الْحَشْرِ

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَزْرَعْ وَأَبْصَرَتَ حَاصِدًا ... نَدِمْتَ عَلَىٰ التَّفْرِيطِ فِي زَمَنِ الْبَذْرِ)

هذان البيتان فيهما توضيح للمعنىٰ السابق: (كما تزرع تحصد)، (كما تزرع) أي: في الدنيا (تحصد) في الآخرة، ومن لم يحرص علىٰ حسن الزرع في هذه الحياة الدنيا بالأعمال الصالحة والطاعات الزاكية والأذكار المقربة إلىٰ الله جلّ وعلا، فإنه يندم يوم القيامة علىٰ التفريط في زمن البذر.

لعل ممَّا يوضح ذلك: إذا كان مجموعة من الأشخاص لهم قطع أراضي زراعية جيدة، فعمل الجميع وقت البذر فوضعوا البذور وجاءت الأمطار وسقت أراضيهم، ثم لمَّا جاء وقت الحصاد وإذا لهم الحصاد الكثير، إلا واحدا منهم لما كان وقت البذر فرّط فلم يبذر معهم، فإذا جاء وقت الحصاد ورأىٰ رفقاءه كلٌّ يحصد الثمار الكثيرة والبذور الكثيرة... وهو لا شيء عنده في أرضه، يندم علىٰ التفريط، وهكذا الشأن يوم القيامة، إذا رأىٰ الإنسان الناس قد حصدوا ثمار أعمالهم الصالحة، ورأىٰ نفسه مفرِّطًا لم يبذر معهم ولم يزرع، فإنه يندم! ولا

يفيد الندم في ذلك اليوم.

١٦٦- أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ الْفَضْلِ الْقَطَّانُ، قَالَ: أنبأنا عَبْدُ اللهِ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ دَرَسْتُوَيْهِ، قال: حدثنا يَعْقُوبُ بْنُ سُفْيَانَ، قَالَ: وَزَعَمَ شِهَابُ بْنُ عَبَّادٍ، أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ سُفْيَانَ كَانَ يَتَمَثَّلُ بِأَبْيَاتِ الْأَعْشَىٰ:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرْحَلْ بِزَادٍ مِنَ التُّقَىٰ ... وَلَاقَيْتَ بَعْدَ الْمَوْتِ مَنْ قَدْ تَزَوَّدَا

نَدِمْتَ عَلَىٰ أَلَّا تَكُونَ كَمِثْلِهِ ... وَأَنَّكَ لَمْ تُرْصِدْ بِمَا كَانَ أَرْصَدَا

ثم أورد رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ هذان البيتان، كان يتمثل بهما سفيان بهذين البيتين للأعشىٰ، يقول: (إذا أنت لم ترحل بزاد من التقىٰ)، أي (لم ترحل) من هذه الحياة الدنيا (بزاد من التقىٰ)، أي لم ترحل متزودًا منها بتقوىٰ الله جلّ وعلا، والله جلّ وعلا يقول: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٧﴾ [البقرة]، فيقول:

(إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرْحَلْ بِزَادٍ مِنَ التُّقَىٰ ... وَلَاقَيْتَ بَعْدَ الْمَوْتِ مَنْ قَدْ تَزَوَّدَا)

ورأيت يوم القيامة الناس الذين تزودوا في هذه الحياة الدنيا بالعمل الصالح وحسن التقرب إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فإنك ستندم يوم القيامة، (ندمت علىٰ ألا تكون كمثله)، أي كمثل هذا الذي تزود، (وأنك لم ترصد بما كان أرصدا)، أي لنفسك من عمل صالح وحسن تقرب إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهذا مثل قوله في البيت الذي قبله: (نَدِمْتَ عَلَىٰ التَّفْرِيطِ فِي زَمَنِ الْبَذْرِ)، وهنا قال: (نَدِمْتَ عَلَىٰ أَلَّا تَكُونَ كَمِثْلِهِ)، فالناصح لنفسه ينبغي عليه أن يحرص علىٰ التزود في هذه الحياة الدنيا والاستكثار من العمل الصالح، حتىٰ لا يلحقه الندم يوم القيامة.

١٦٧- أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ عُمَرَ الْبَرْمَكِيُّ، قَالَ: أَنبأنا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ خَلَفٍ الدَّقَّاقُ، قال: حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحِ بْنِ ذَرِيحٍ الْعُكْبَرِيُّ، قال: حدثنا هَنَّادُ بْنُ السَّرِيِّ، قال: حدثنا وَكِيعٌ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ رَجُلٍ، عَنِ الْحَسَنِ أَنَّهُ كَانَ يَتَمَثَّلُ هَذَا الْبَيْتَ إِذَا أَصْبَحَ وَإِذَا أَمْسَىٰ:

يَسُرُّ الْفَتَىٰ مَا كَانَ قَدَّمَ مِنْ تُقًى ... إِذَا عَرَفَ الدَّاءَ الَّذِي هُوَ قَاتِلُهُ

ثم أورد رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الأثر عن وكيع عن سفيان عن رجل عن الحسن، الرجل هو أبو سفيان طريف بن شهاب البصري كما هو مصرح به في بعض مصادر هذا الخبر، ومنه «الحلية» لأبي نُعيم، أنّ الحسن كان يتمثل هذا البيت إذا أصبح وإذا أمسىٰ، وأيضًا روىٰ هذا الخبر ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» عن الأوزاعي عن حسان بن عطية، قال: كان الحسن البصري كثيرًا ما يتمثل بهذا البيت، والحسن هو البصري رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ.

قال:

(يَسُرُّ الْفَتَىٰ مَا كَانَ قَدَّمَ مِنْ تُقًى ... إِذَا عَرَفَ الدَّاءَ الَّذِي هُوَ قَاتِلُهُ)

(يسر الفتىٰ): السرور هنا هو السرور المحمود والفرح المحمود ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝٥٨﴾ [يونس]، فـ(الفتىٰ) أي: الناصح لنفسه، يسره (ما كان قدم) أي: في هذه الحياة الدنيا، (من تقىٰ) أي: من تقوىٰ لله ﷻ، من تقوىٰ لله جل وعلا، (وإذا عرف الداء الذي هو قاتله)، أي: لا يتحقق له هذا السرور إلا (إذا عرف الداء الذي هو قاتله)، أما إذا لم يعرف الداء فإنه يمضي في المعاصي والذنوب وهو لا يستشعر هذه الأدواء القاتلة المهلكة له في دنياه وأخراه.

البيت الذي مرّ عن شهاب بن عباد أنه بلغه أنّ سفيان كان يتمثل بأبيات الأعشىٰ، سفيان هو الثوري كما في «الحلية» لأبي نعيم.

١٦٨- أَنبأنا أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ، قال: أَنبَأَنا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ، قال: أَخبرنَا أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ السُّوسِيُّ، قال: حدثنا عَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: قَالَ يَحْيَىٰ بْنُ مَعِينٍ هَذَا الْبَيْتَ:

وَإِذَا افْتَقَرْتَ إِلَى الذَّخَائِرِ لَمْ تَجِدْ ذُخْرًا يَكُونُ كَصَالِحِ الْأَعْمَالِ

قَالَ يَحْيَىٰ: هَذَا لِلْأَخْطَلِ.

ثم ختم المصنف ﷺ تعالىٰ هذا الباب بهذا الأثر (عن عباس بن محمد قال: قال يحيىٰ بن معين هذا البيت:

وَإِذَا افْتَقَرْتَ إِلَى الذَّخَائِرِ لَمْ تَجِدْ ذُخْرًا يَكُونُ كَصَالِحِ الْأَعْمَالِ

قال يحيىٰ: هذا): أي البيت (للأخطل)، (إذا افتقرت إلىٰ الذخائر) أي: إذا كنت في افتقار وشدة حاجة إلىٰ الذخائر، (لم تجد ذخرًا يكون كصالح الأعمال)، لم تجد ذخرًا لك تكون به نجاتك وفلاحك وسعادتك كصالح الأعمال، والمصنف ﷺ تعالىٰ ترجم لهذا الباب بقوله: (باب: في أن الأعمال هي الزاد والذخيرة النافعة يوم المعاد)، فهذا البيت فيه شاهد لهذا المعنىٰ الذي بوب له، وهو أنّ الأعمال الصالحة هي الذخيرة التي يدّخرها المؤمن لنفسه وتكون ذخرًا له ونجاةً يوم يلقىٰ الله ﷻ.

ونسأل الكريم أن ينفعنا أجمعين بما علمنا، وأن يزيدنا علمًا وتوفيقًا، وأن يصلح لنا شأننا كله، وألا يكلنا إلىٰ أنفسنا طرفة عين، إنه تبارك وتعالىٰ سميع الدعاء، وهو أهل الرجاء، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلىٰ الله وسلم علىٰ عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المجلس الثاني عشر

١٤٤١/١٠/١٣

بابٌ اغتنام الشبيبة والصحة والفراغ، والمبادرة إلىٰ الأعمال قبل حدوث ما يقطع عنها

١٦٩- أَخْبَرَنَا أَبُو طَالِبٍ مَكِّيُّ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ الْحَرِيرِيُّ، قَالَ: حدثنا أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَىٰ الْمُزَكِّي، قَالَ: أَنْبَأنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الثَّقَفِيُّ، قال: حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ بَكَّارٍ، قال: حدثنا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ، وَابْنُ الْمُبَارَكِ، وَالدَّرَاوَرْدِيُّ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ جَعْفَرٍ، كُلُّهُمْ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِنْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْفَرَاغُ وَالصِّحَّةُ نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ**»

[صحيح البخاري، بترتيب مختلف لألفاظ الحديث].

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله، اللهم صل وسلم علىٰ عبدك ورسولك نبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد.. قال الإمام الخطيب البغدادي رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ: (بابٌ: اغتنام الشبيبة والصحة والفراغ، والمبادرة إلىٰ الأعمال قبل حدوث ما يقطع عنها)، هذه ثلاثة أمور ينبغي علىٰ المسلم أن يغتنمها: الشباب، والصحة، والفراغ، فإنّ الشباب يعقبه الكبر والهرم، والصحة يعقبها المرض والسقم، والفراغ يعقبه الشُّغل، بمعنىٰ أنها لا تدوم للإنسان، فمن الخير للناصح لنفسه أن يغنم هذه المراحل الثلاثة، أو هذه الحالات الثلاثة، حالة الشباب وحالة الصحة وحالة الفراغ.

أما حالة الشباب أو مرحلة الشباب، فهي مرحلة مهمة جدًّا في حياة العبد، لأنها مرحلة القوة والنشاط وسهولة الحركة وقوة الأعضاء وسلامة الحواس...، بينما إذا كبُر فإنّ هذه كلها تضعف، تضعف حواسه وتضعف قواه، ولهذا اعتنىٰ الإسلام بهذه المرحلة عناية عظيمة جدًّا، وجاءت أحاديث عديدة في بيان أهمِّية هذه المرحلة - مرحلة الشباب -، منها حديث ابن عباس الذي سيأتي عند المصنف «**اغتنم خمسًا قبل خمس**» قد جاء عند المصنف مرسلًا، لكنه صح مرفوعًا من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا كما سيأتي البيان.

وثبت في الترمذي وغيره أنّ النبي ﷺ قال: «**لا تزولُ قدَمُ ابنِ آدمَ يومَ القيامةِ من عندِ ربِّهِ حتَّىٰ يسألَ عن خمسٍ: عن عمرِهِ فيمَ أفناهُ، وعن شبابِهِ فيما أبلَاهُ، وعن مالِهِ من أينَ اكتسبَهُ وفيمَ أنفقَهُ، وماذا عملَ فيما علِمَ**»

[صحيح الترمذي وغيره، وذكره الشيخ باختلاف يسير في الألفاظ]، ولنتنبه هنا، سؤال عن العمر فيما أُفني، وسؤال عن مرحلة الشباب فيما أُبليت هذه المرحلة، ومرحلة الشباب هي داخلة في العمر، إذا كان الإنسان

سيُسأل عن عمره كله فيما أفناه فمرحلة الشباب داخلة، لكن خصها بالذكر لعظيم شأن هذه المرحلة، ولهذا ينبغي علىٰ الشاب أن يتنبه لأهمية هذه المرحلة في حياته، وأن يتذكر أنّ الله ﷻ سيسأله يوم القيامة سؤالًا خاصًا عن مرحلة الشباب، مع السؤال العام عن عمره كله فيما أفناه، ولهذا ينبغي أن تُغتنم هذه المرحلة مثل ما ذكر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ: (اغتنام الشبيبة).

أما ما يتعلق بالصحة والفراغ ففيهما الحديث الذي ساقه المصنف في أول هذا الباب، حديث ابن عباس أنّ رسول الله ﷺ قال: «**الْفَرَاغُ وَالصِّحَّةُ نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ**» والحديث خرّجه الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيحه»، وهو حديث عظيم للغاية، فيه بيان أنّ (الفراغ والصحة نعمتان) أي: حالتان عظيمتان من أحوال العبد أنعم الله بهما عليه، وهي وجود الصحة ووجود الفراغ، الصحة في بدنه والفراغ في وقته.

الصحة بالسلامة، سلامة البدن من الأمراض التي تُعيق عن العمل والعبادة، والفراغ في الوقت من الشواغل والأعمال والمصالح التي تعيق أيضا العبد عن العبادة، وقد بيّن النبي عليه الصلاة والسلام أنّ كثيرا من الناس - وهذا يفيد أنّ الأقل هم الذين يحسنون اغتنام هاتين النعمتين - كثير من الناس يخسر ويكون مغبونًا في هاتين النعمتين، كما قال الله تعالىٰ: ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾ [سبأ]، فكثير من الناس تضيع صحته فيما لا نفع فيه؛ بل أحيانًا فيما فيه المضرة عليه، وكثير من الناس أيضًا يضيع فراغه فيما لا فائدة فيه، حتىٰ إنّ بعض الناس - خاصة الشَّباب - يعتبر الفراغ وقتًا يبحث فيه عما يملؤه فيه، ولا يفكر بما يملؤه، حتىٰ إنّ من المصطلحات التي هي حقيقة سيئة، وهي موجودة بين الشباب ما يسمىٰ بقتل الوقت! الوقت غنيمة وربح عظيم جدًّا، لا يُقتل بل يُغتنم ويُحافظ عليه ويُعتنىٰ به، فالحاصل أنّ كثيرا من الناس مغبون في هاتين النعمتين العظيمتين اللتين أنعم الله بهما علىٰ كثير من عباده.

يقول ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: قد يكون الإنسان صحيحًا ولا يكون متفرغًا لشغله بالمعاش، وقد يكون مستغنيًا ولا يكن صحيحًا، فإذا اجتمعا فغلب عليه الكسل عن الطاعة فهو المغبون، نقله ابن حجر في «فتح الباري»، ثم قال: وتمام ذلك: أنّ الدنيا مزرعة الآخرة، وفيها التجارة التي يظهر ربحها في الآخرة، فمن استعمل فراغه وصحته في طاعة الله فهو المغبوط، ومن استعملهما في معصية الله فهو المغبون، لأنّ الفراغ يعقبه الشغل، والصحة يعقبها السقم.

١٧٠- أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ الْمُقْرِي، قال: حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الشَّافِعِيُّ، قَالَ: حدثنا مُعَاذُ بْنُ الْمُثَنَّىٰ، قال: حدثنا مُسَدَّدٌ، قال: حدثنا عَبْدُ اللهِ بْنُ دَاوُدَ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ بُرْقَانَ، عَنْ زِيَادِ بْنِ الْجَرَّاحِ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُهُ: «اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ

هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ» [صحيح الترغيب].

هذا الحديث يرويه (عمرو بن ميمون) وهو الأودي، عن رسول الله ﷺ أنه (قال لرجل وهو يعظه)، وعمرو بن ميمون هذا من كبار التابعين، فحديثه هذا مرسل، لكن الحديث رواه الحاكم بإسناد صحيح موصولًا من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، فهو حديث ثابت رفعُه إلىٰ رسول الله ﷺ، قال: «اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ» هذه أحوال في حياة العبد ينبغي أن يغتنمها العبد، وكلُّ حال من هذه الأحوال الخمس تعقبها حال مضادّة لها، فينبغي أن يغتنم الناصح لنفسه هذه الخمس قبل الخمس.

الشباب قبل الهرم، والصِّحّة قبل السقم، والغنىٰ قبل الفقر، والفراغ قبل الشغل، والحياة قبل الموت، وسبحان الله هذا الحديث مُعينٌ للعبد علىٰ زمّ نفسه بزمام الشريعة، وأخذِها بمأخذ العزم والحزم، لأنه إذا تفكَّر في شبابه وأنّ هذا الشباب لن يبقىٰ ولن يدوم، والتمتيع الذي في القوىٰ والحواس في تلك المرحلة لا تدوم للعبد، فإذا كان مثلًا يستطيع أن يقرأ القرآن بدون زجاجة توضِّح له ما سيقرأه، فربما يأتي عليه مرحلة لا يستطيع أن يقرأ إلا بزجاجة، وإذا امتد به العمر ربما أيضًا حتىٰ الزجاجة لا تساعده علىٰ القراءة، فهذا البصر لا يقوىٰ لا يبقىٰ، قل مثل ذلك في السمع، إذا كان يستمع مثلًا العلم والقرآن والذكر بوضوح، ربما يأتي عليه مرحلة لا يسمع إلا بثقل في سمعه، وربما أيضًا ضعف تمامًا، وإذا كانت قواه يستطيع أن يقوم ويتحرك بدنه للسجود والركوع والمشي في طاعة الله قد يأتي عليه يوم ما تتحرك هذه القوىٰ، إما لمرض أو لهرم وكبر...، فينبغي أن يتفكر في هذه الأشياء، فإذا كان شابًا فالشباب لا يبقىٰ يعقبه هرم، وإذا كان صحيحًا فالصحة لا تبقىٰ بل يعقبها السقم، وإذا كان غنيًا فالغنىٰ أيضًا لا يبقىٰ يعقبه فقر، وإذا كان فارغًا ليس عنده شواغل لا يبقىٰ الفراغ بل يعقبه شغل، وإذا كان حيًّا فالحياة لا تدوم ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:٨٨].

فهذا الحديث موقظ، هذا الحديث يُعدّ موقظًا، ولهذا سيأتي معنا في الذي بعده عن غنيم بن قيس أنهم كانوا يتواعظون في أول الإسلام بهذه الأمور، وهذه من خير الموعظة وأنفعها في إيقاظ القلوب، اغتنام هذه الخمس العظيمة.

إذا قال قائل: ما الذي يعينني علىٰ اغتنامها؟ يقال: تذكر ما بعدها كما بين لك في الحديث، النبي ﷺ ما قال: اغتنم شبابك واغتنم صحتك واغتنم غناك واغتنم فقرك واغتنم حياتك! بل نصّ علىٰ ما يعقبها إيقاظًا لك في الانتباه لهذه المراحل، فالذي يعينك علىٰ العناية بهذه المراحل أو هذه الأحوال أن تذكر ما يعقبها، فحدّث نفسك إن كنت شابًا أن شبابك لا يبقىٰ، إن كنت صحيحًا الصحة لا تبقىٰ، إن كنت غنيًّا الغنىٰ لا يبقىٰ، إن كنت

فارغًا الفراغ لا يبقىٰ، إن كنت حيًّا فالحياة لا تدوم، ذكر نفسك بهذه الأمور فهذه من أبلغ الموعظة وأنفعها في إيقاظ القلوب واغتنام هذه الأشياء.

١٧١- أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ بَشَّارٍ السَّابُورِيُّ، بِالْبَصْرَةِ، قال: حدثنا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مَحْمُويَهْ الْعَسْكَرِيُّ، قال: حدثنا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْقَلَانِسِيُّ، قَالَ: حدثنا آدَمُ بْنُ أَبِي إِيَاسٍ، قال: حدثنا شُعْبَةُ، قال: حدثنا سَعِيدٌ الْجُرَيْرِيُّ، قَالَ غُنَيْمُ بْنُ قَيْسٍ: كُنَّا نَتَوَاعَظُ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ: ابْنَ آدَمَ اعْمَلْ فِي فَرَاغِكَ لِشُغْلِكَ، وَفِي شَبَابِكَ لِهَرَمِكَ، وَفِي صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَفِي دُنْيَاكَ لِآخِرَتِكَ، وَفِي حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ.

هذا الخبر ساقه المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ بإسناده عن (سعيد الجريري: قال غنيم بن قيس)، وغنيم بن قيس هذا من التابعين، وسعيد الجريري لم يسمع منه، لكن رواه أبو نعيم في الحلية من طريق سعيد الجريري عن أبي السليل عن غنيم، ورواه هنّاد في «الزهد» من طريق كهمس بن الحسن عن غنيم، فالحاصل أنّ هذه موعظة كان التابعون يتواعظون أو يعظ بعضهم بعضًا بها، وربما - وهو الغالب - أنّ هذا التواعظ بذلك تعلموه من الصحابة، والصحابة تلقوه من النبي عليه الصلاة والسلام كما في الحديث الذي تقدم «اغتنم خمسًا قبل خمس».

وهذا يؤكد لنا أهمية هذه الموعظة في حياة المسلم، هذه موعظة بليغة جدًّا، و(كنا نتواعظ): أي يعظ بعضنا بعضًا ويذكر بعضنا بعضًا بها، وقوله: (في أول الإسلام)، هذا يستفاد منها أيضًا فائدة مهمة، أنّ الشباب والمهتدين في بداية استقامتهم وهدايتهم، ينبغي أن يكون لهذه الموعظة في نفوسهم مكانة، وفي قلوبهم عناية يعتنون بها، (كنا نتواعظ في أول الإسلام).

يمكن أيضًا أن يقال: ينبغي أن يُتواعظ بهذه الموعظة في أول الاستقامة، أما الشخص الذي استقام ومضىٰ في الطاعة وثبتت قدمه بفضل الله ﷻ فيها، فإنه إذا تذكر هذه الموعظة أعانته علىٰ المواصلة والدأب، لكن الذي هو في أول الاستقامة يحتاج أشد إلىٰ هذه الموعظة.

وجاء في بعض روايات هذا الحديث في بعض مصادره: كنا نتواعظ في أول الإسلام بأربع، قول غنيم: بأربع، هذا فيه تثبيت لأهمية الأربع في الموعظة، وأنّ أربع يعدها الواعظ عدًا لا يفوّت منها شيئا، الأول (اعمل في فراغك لشغلك)، هذا نظير قوله «اغتنم خمسًا قبل خمس» منها «فراغك قبل شغلك»، (اعمل في فراغك لشغلك، وفي شبابك لهرمك، وفي صحتك لمرضك، وفي دنياك لآخرتك، وفي حياتك لموتك)، فهذه أمور عظيمة جدًا، بل هي كما قدمت من أعظم المواعظ وأعظم الموقظات للقلوب، أن يغتنم الناصح لنفسه الفراغ والشباب والصحة والحياة، يغتنم هذه الأربع، والذي يعينه علىٰ اغتنامها أن يتذكر أنّ الفراغ يعقبه شغل،

والشباب يعقبه هرم، والصحة يعقبها مرض، والحياة يعقبها موت.

١٧٢- حُدِّثْتُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَخِي مِيمِيٍّ، قَالَ: أَنبأنا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ نُصَيْرٍ، قال: حدثنا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْرُوقٍ الطُّوسِيُّ قَالَ: قَرَأْتُ عَلَىٰ مَحْمُودِ بْنِ الْحَسَنِ مِنْ قَوْلِهِ:

بَـــادِرْ شَـــبَابَكَ أَنْ يَهْرَمَـــا ... وَصِـــحَّةَ جِسْـــمِكَ أَنْ يَسْـــقَمَا
وَأَيَّـــامَ عَيْشِـــكَ قَبْـــلَ الْمَمَـــاتِ ... فَمَـــا دَهْـــرُ مَـــنْ عَـــاشَ أَنْ يَسْـــلَمَا
وَوَقْـــتَ فَرَاغِـــكَ بَـــادِرْ بِـــهِ ... لَيَـــالِيَ شُـــغْلِكَ فِـــي بَعْـــضِ مَـــا
وَقَـــدِّمْ فَكُـــلُّ امْـــرِئٍ قَـــادِمٌ ... عَلَـــىٰ بَعْـــضِ مَـــا كَـــانَ قَـــدْ قَـــدَّمَا

هذه أبيات عظيمة جدًا لمحمود بن الحسن من قوله، نظَمَ فيها المواعظ التي تقدمت معنا في الحديث «اغتنم خمسًا قبل خمس»، وأيضًا في الأثر عن غُنيم بن قيس فيما كان السلف رحمهم الله تعالىٰ يتواعظون به، فجمع هذه الأمور في هذه الأبيات الجميلة جمعًا حسنًا نافعًا مفيدًا، وإذا وُفّق الشاب لحفظ هذه الأبيات، وأخذ يتمثل هذه الأبيات مثل بين وقت وآخر يستنهض بها همة نفسه، ولهذا سيأتي معنا أنّ بعض السلف يفعل ذلك، يتمثل بعض الأبيات ويكثر أيضًا من تكرارها وترادها، استنهاضا للهمة، فالحاصل أنّ هذه الأبيات عظيمة جدًا فيما تقدم ذكره في الحديث «اغتنم خمسًا قبل خمس» وفي تواعظ السلف بهذه الأمور.

قال: (بَادِرْ شَبَابَكَ أَنْ يَهْرَمَا)، هذا نظير قوله: «اغتنم خمسًا قبل خمس» وذكر منها «شبابك قبل هرمك»، فـ(بادر شبابك) أي اغتنم شبابك، (أَنْ يَهْرَمَا): أي قبل أن يهرم، أن يلحقك الهرم وما في الهرم من ضعف ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الروم:٥٤]، فالشباب بعده مرحلة الشيبة ومرحلة الضعف، فينبغي أن يغتنم شبابه، وإذا دخل في مرحلة الشيخوخة والكبر وتمنىٰ أن تعود له مرحلة الشباب ليحسن فيها العمل فإنها لا تعود.

قال: (وَصِحَّةَ جِسْمِكَ أَنْ يَسْقَمَا)، أي وبادر أيضًا الصحة، الصحة التي متعك الله عَزَّوَجَلَّ بها وأنعم عليك بها في جسمك يعقبها سقم، ولهذا قال في الحديث «وصحتك قبل سقمك».

(وَأَيَّامَ عَيْشِكَ قَبْلَ الْمَمَاتِ)، أي: واغتنم أيام عيشك، اغتنم «حياتك قبل موتك» كما في الحديث، فلا تغتر بصحتك وقوة جسمك، فإنّ الموت تخطىٰ كثيرا من كبار السن وأخذ من الشباب، لا تظن أنّ الموت لن يأتي إلا عن كبر، فكثير من الشباب اخترمتهم المنية في شبابهم، فاغتنم (عيشك قبل الممات)، ولا تُسوّف، ولهذا سيأتي عند المصنف باب خاص في ذم التسويف، التسويف قاتل جدًّا، وضد التسويف المبادرة وهو المطلوب، المطلوب المبادرة لا التسويف، التسويف من الشيطان، والمبادرة من طاعة الرحمن سبحانه، كما قال الله

تعالىٰ: ﴿سَابِقُوٓاْ﴾ [الحديد:٢١]، قال: ﴿وَسَارِعُوٓاْ﴾ [آل عمران:١٣٣]، وقال: ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ﴾ [البقرة:١٤٨].

قال:

(وَأَيَّامَ عَيْشِكَ قَبْلَ الْمَمَاتِ فَمَا دَهْرُ مَنْ عَاشَ أَنْ يَسْلَمَا)

حتىٰ وإن امتد بك العمر لا تغتر.

قال:

(وَوَقْتَ فَرَاغِكَ بَادِرْ بِهِ لَيَالِي شُغْلِكَ فِي بَعْضِ مَا)

اغتنم فراغك، كما قال في الحديث «**وفراغك قبل شغلك**» قال: (وَوَقْتَ فَرَاغِكَ بَادِرْ بِهِ)، يعني اغتنم الفراغ وبادر إلىٰ اغتنامه، قبل أن تأتي (ليالي) وأيام تشغل فيها (في بعض ما)، أي بعض الأمور وبعض المصالح التي تشغلك، (وَقَدِّمْ): أي لنفسك في شبابك وصحتك وفراغك وفي حياتك...، (قدم) لنفسك أي الأعمال الصالحة التي يسرك أن تلقىٰ الله بها،

(...... فَكُلُّ امْرِئٍ قَادِمٌ عَلَىٰ بَعْضِ مَا كَانَ قَدْ قَدَّمَا)

(قدم) فإنك قادم علىٰ ما ستقدّم، إن قدمت خيرًا لقيت ثوابه وأجره، وإن قدم الإنسان شرًا لقي عقابه، فالحاصل أنّ هذه الأبيات حقيقة عظيمة جدًا في تقرير المعاني التي تقدمت معنا في حديث ابن عباس، وفي خبر غنيم بن قيس.

❊❊❊

١٧٣- أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ عُمَرَ الْبَرْمَكِيُّ، قَالَ أنبأنا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ خَلَفٍ، قَالَ: حدثنا ابْنُ ذَرِيحٍ، قال: حدثنا هَنَّادُ بْنُ السَّرِيِّ، قال: حدثنا وَكِيعٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ قَالَ: سَمِعْتَهُمْ يَذْكُرُونَ عَنْ شُرَيْحٍ أَنَّهُ رَأَىٰ جِيرَانًا لَهُ يَجُولُونَ فَقَالَ: مَا لَكُمْ؟ فَقَالُوا: فَرَغْنَا الْيَوْمَ، فَقَالَ شُرَيْحٌ: وَبِهَذَا أُمِرَ الْفَارِغِ؟

ثم أورد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ هذا الأثر (عن الأعمش قال: سمعتهم يذكرون عن شُريح أنه رأىٰ جيرانا له يجولون)، كأنه أراد والله أعلم يتحركون ويتمشّون، لا يظهر عليهم أنهم فقط يملئون الوقت كيفما كان، (يجولون): يتحركون، فقال: (مَا لَكُمْ؟) أي: تجولون تتحركون، لا في طلب مصلحة دينية ولا دنيوية، (ما لكم!؟ فَقَالُوا: فَرَغْنَا الْيَوْمَ)، يعني اليوم ما عندنا عمل فارغين، فماذا قال شريح؟ قال: (وَبِهَذَا أُمِرَ الْفَارِغِ؟) يعني هل الفارغ أُمر بأن يفعل هذا!؟ الفارغ أُمر بأن يغتنم الفراغ، مثل ما تقدم في الحديث، اغتنم «**فراغك قبل شغلك**»، ما أُمر الفارغ بأن يضيّع الفراغ كيفما كان، بل أُمر بأن يغتنم الفراغ، ولهذا قال شريح رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَبِهَذَا أُمِرَ الْفَارِغِ؟) أي: وهل بهذا أُمر الفارغ!؟

❊❊❊

١٧٤- أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ التَّمِيمِيُّ، قَالَ: أَنْبَأَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الذَّهَبِيُّ، قال: حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ هَارُونَ الْحَضْرَمِيُّ، قال: حدثنا أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَنَسٍ، قال: حدثنا عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ نَافِعٍ، قال: حدثنا الْفَضْلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَشَدُّ النَّاسِ حِسَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمَكْفِيُّ الْفَارِغُ» [قال الألباني: إسناده ضعيف جدا].

١٧٥- أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ الْحَرْبِيُّ، قال: حدثنا أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ سَلْمَانَ النَّجَّادُ، قال: حدثنا جَعْفَرٌ الصَّائِغُ، قال: حدثنا عَفَّانُ، قال: حدثنا عَوْنُ بْنُ مَعْمَرٍ، عَنِ الْجَلْدِ بْنِ أَيُّوبَ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ قَالَ: أَكْثَرُ النَّاسِ حِسَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الصَّحِيحُ الْفَارِغُ.

ثم أورد رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الحديث، أورده في الطريق الأولىٰ مرفوعًا إلىٰ النبي عليه الصلاة والسلام، وفي الطريق الثانية موقوفًا علىٰ معاوية بن قرة، وكِلا الإسنادين ضعيف، الأول الذي هو المرفوع في إسناده عبد الوهاب بن نافع وهو واهن جدًا، كما قال ذلك الدارقطني رَحِمَهُ اللَّهُ، والطريق الثانية فيها الجلد بن أيوب وهو متروك، كما قال ذلك أيضًا الدارقطني رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ، فسنده مرفوعًا وموقوفًا علىٰ معاوية بن قرة غير ثابت.

لكن المعنىٰ المراد بما ذكر في هذا الحديث قال: (أَشَدُّ النَّاسِ حِسَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمَكْفِيُّ الْفَارِغُ)، ولفظه في الطريق الموقوفة علىٰ معاوية: (أَكْثَرُ النَّاسِ حِسَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الصَّحِيحُ الْفَارِغُ)، هذا من حيث المعنىٰ يدل عليها الحديث الأول الذي ساقه المصنف عن ابن عباس قال: «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ**»، قال «**مغبون فيهما كثير من الناس**»، فإذا كان مغبون فـ(أكثر الناس حسابًا يوم القيامة الصحيح الفارغ)، يدل لذلك أنّ النبي عليه الصلاة والسلام قال: «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس**» أي: خسر صحته وخسر فراغه، فلم يُحسن الانتفاع بهما، وأكثر الناس خسر صحته وفراغه، والقليل منهم هو الذي وفقه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لاغتنام الصحة واغتنام الفراغ، والتوفيق بيد الله وحده لا شريك له، هو المعين والهادي إلىٰ سواء السبيل.

نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يعيننا أجمعين علىٰ كل خير، اللَّهُمَّ إنا نسألك الثبات في الأمر، والعزيمة علىٰ الرشد، ونسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، ونسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، ونسألك قلبًا سليمًا، ولسانًا صادقًا، ونسألك من خير ما تعلم، ونعوذ بك شر ما تعلم، ونستغفرك لما تعلم، إنك أنت علام الغيوب.

سبحانك اللَّهُمَّ وبحمدك، أشهد ألا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، اللَّهُمَّ صل وسلم علىٰ عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المجلس الثالث عشر

١٤/ ١٠/ ١٤٤١

١٧٦- أَخْبَرَنَا الْحَسَنُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، قَالَ: أَنبأنا عُثْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ الدَّقَّاقُ، قال: حدثنا هَيْذَامُ بْنُ قُتَيْبَةَ الْمَرْوَزِيُّ، قال: حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ كُلَيْبٍ، قال: حدثنا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَيَّاشٍ، قال: حدثنا مُطْعِمُ بْنُ الْمِقْدَامِ الصَّنْعَانِيُّ وَغَيْرُهُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ وَاسِعٍ الْأَزْدِيِّ قَالَ: كَتَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ إِلَىٰ سَلْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: مِنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ إِلَىٰ سَلْمَانَ: يَا أَخِي اغْتَنِمْ صِحَّتَكَ وَفَرَاغَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَنْزِلَ بِكَ مِنَ الْبَلَاءِ مَا لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ رَدَّهُ عَنْكَ.

الحمد لله رب العالمين، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله، اللَّهُمَّ صل وسلم علىٰ عبدك ورسولك نبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين، اللَّهُمَّ علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علمًا، وأصلح لنا شأننا كله، ولا تكلنا إلىٰ أنفسنا طرفة عين.

أما بعد.. فإنا لا نزال في (باب اغتنام الشبيبة والصحة والفراغ، والمبادرة إلىٰ الأعمال قبل حدوث ما يقطع عنها).

أورد الخطيب رَحِمَهُ اللهُ هذا الأثر، أنّ أبا الدرداء كتب إلىٰ سلمان الفارسي رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: (مِنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ إِلَىٰ سَلْمَانَ: يَا أَخِي اغْتَنِمْ صِحَّتَكَ وَفَرَاغَكَ، قبل أَنْ يَنْزِلَ بِكَ مِنَ الْبَلَاءِ مَا لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ رَدَّهُ عَنْكَ)، هذا الأثر يدل علىٰ الحال الكريمة التي كان عليها السلف، الصحابة ومن اتبعهم بإحسان، من التواصي والتواعظ، من التواصي والعناية بالموعظة والتواعظ كما تقدم معنا في أثر غنيم بن قيس، قال: (كنا نتواعظ في أول الإسلام: ابن آدم اعمل في فراغك لشغلك)، فكان السلف رحمهم الله من دأبهم التواعظ يعظ بعضهم بعضا، خاصة في اغتنام الوقت، اغتنام الصحة، اغتنام العافية، اغتنام الغنىٰ.

فـ(كتب أبو الدرداء) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (يا أخي اغتنم صحتك وفراغك)، أي اغتنم هاتين النعمتين نعمة الصحة ونعمة الفراغ، فإنهما كما قال عليه الصلاة والسلام «مغبون فيهما كثير من الناس»، كثير من الناس لم يحسن الانتفاع من صحته ولم يحسن الانتفاع من فراغه، واستنهض همته لاغتنام الصحة والفراغ بقوله: (قبل أن ينزل بك من البلاء ما لا يستطيع أحد من الناس رده عنك)، فبادر الصحة قبل المرض، وبادر الفراغ قبل الشغل.

٭٭٭

١٧٧- أَخْبَرَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ عُمَرَ بْنِ بُرْهَانَ الْغَزَّالُ، قال: حدثنا أَبُو الْحُسَيْنِ عَبْدُ الْبَاقِي بْنُ قَانِعِ بْنِ مَرْزُوقٍ الْقَاضِي، إِمْلَاءً قال: حدثنا بِشْرُ بْنُ مُوسَىٰ، قال: حدثنا عَبْدُ اللهِ بْنُ صَالِحٍ، قَالَ: حدثنا يَحْيَىٰ بْنُ حُمَيْدٍ قَالَ: كَتَبَ الْأَوْزَاعِيُّ إِلَىٰ أَخٍ لَهُ: أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ أُحِيطَ بِكَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَهُوَ ذَا يُسَارُ بِكَ فِي كُلِّ يَوْمٍ، فَاحْذَرِ اللهَ وَالْقِيَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ.

هذه موعظة ووصية من الإمام الأوزاعي رَحِمَهُ اللَّهُ، كتب بها إلىٰ أحد إخوانه، وأوصاه باغتنام الحياة، وقال له: يحاط بك من كل جانب، الإنسان تحيط به الدنيا وفتنها من جانب، والشيطان وإغوائه وصده عن الخير من جانب، وقرناء السوء وخلطاء الشر، أيضًا فتن الشبهات والشهوات...، أشياء كثيرة تحيط بالإنسان من كل جانب، وهي تأخذ به إلىٰ الهلاك، ثم في الوقت نفسه يُسار به في كل يوم، (وَهُوَ ذَا يُسَارُ بِكَ فِي كُلِّ يَوْمٍ)، أي: إلىٰ القيامة، إلىٰ لقاء الله، إلىٰ مفارقة هذه الدنيا.

قال: (فَاحْذَرِ اللهَ وَالْقِيَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ)، كن علىٰ حذر، وتوقّ كل أمر يسوؤك أن تلقىٰ الله ﷻ به، وجاهد نفسك علىٰ العمل والاستكثار من الصالحات، والله يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٦٩﴾ [العنكبوت].

١٧٨- أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ رِزْقٍ، قَالَ: أخبرنا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ نُصَيْرٍ الْخلدِيُّ، قال: حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْحَضْرَمِيُّ، قال: حدثنا عَبْدُ اللهِ بْنُ خُبَيْقٍ، قال: حدثنا إِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ: كُنْتُ مَعَ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ فِي مَسْجِدِ الْحَرَامِ، فقَالَ: يَا عَطَاءُ، نَحْنُ جُلُوسٌ وَالنَّهَارُ يَعْمَلُ عَمَلَهُ، قَالَ: قُلْتُ: أَنَا فِي خَيْرٍ إِنْ شَاءَ اللهُ، قَالَ: أَجَلْ، وَلَكِنَّهَا مُبَادَرَةٌ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ لِي: يَا عَطَاءُ، إِنَّ الْمُؤْمِنَ فِي الْمَوْقِفِ لَيَرَىٰ بِعَيْنِهِ مَا أَعَدَّ اللهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ، وَهُوَ يَتَمَنَّىٰ أَنَّهُ لَمْ يُخْلَقْ مِنْ هَوْلِ مَا هُوَ فِيهِ.

ثم أورد المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ هذا الأثر، وفيه هذه الوصية للإمام الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ، كان مع عطاء بن مسلم في المسجد الحرام، فقال: (يَا عَطَاءُ، نَحْنُ جُلُوسٌ وَالنَّهَارُ يَعْمَلُ عَمَلَهُ)، يعني اليوم يمضي سريعًا وينقضي سريعًا، (النهار يعمل عمله)، أي يمضي سريعًا، (قال: قُلْتُ: إِنَا فِي خَيْرٍ إِنْ شَاءَ اللهُ)، أي في المسجد الحرام، وجلوس فيه، وربما كانا في تذاكر لشيء من العلم، قال: (أَجَلْ، وَلَكِنَّهَا مُبَادَرَةٌ)، فهذا يبين الحال الكريمة التي كان عليها السلف رحمهم الله تعالىٰ في المسارعة والمبادرة للخيرات، قال: (ولكنها مبادرة).

(ثُمَّ قَالَ لِي: يَا عَطَاءُ إِنَّ الْمُؤْمِنَ فِي الْمَوْقِفِ لَيَرَىٰ بِعَيْنِهِ مَا أَعَدَّ اللهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ، وَهُوَ يَتَمَنَّىٰ أَنَّهُ لَمْ يُخْلَقْ مِنْ هَوْلِ مَا هُوَ فِيهِ!) فالحاصل أنّ هذا الأثر جاء في هذا الباب باب المبادرة إلىٰ العمل الصالح والمسارعة إلىٰ الخيرات، قال الله تعالىٰ: ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ﴾ [البقرة:١٤٨].

١٧٩- أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ الْحُسَيْنُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْقَاسِمِ الْمَخْزُومِيُّ، قَالَ: أخبرنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو الرَّزَّازُ، قال: حدثنا حَنْبَلُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ عَمِّ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، قال: حدثنا أَبُو الْوَلِيدِ خَلَفُ بْنُ الْوَلِيدِ، قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ عَمٍّ لِأَبِي بَكْرٍ النَّهْشَلِيِّ قَالَ: دَخَلَ ابْنُ السَّمَّاكِ عَلَىٰ أَبِي بَكْرٍ النَّهْشَلِيِّ وَهُوَ فِي السُّوقِ، وَهُوَ يُومِئُ

بِرَأْسِهِ يُصَلِّي فَقَالَ: سُبْحَانَ اللهِ عَلَىٰ هَذَا الْحَالِ، فَقَالَ: يَا ابْنَ السَّمَّاكِ، أُبَادِرُ طَيَّ الصَّحِيفَةِ!

ثم أورد هذا الأثر أن (ابن السماك دخل علىٰ أبي بكر النهشلي وهو في السوق وهو يومئ رأسه يصلي، فقال: سُبْحَانَ اللهِ عَلَىٰ) هَذَه (الْحَالِ!) أي حتىٰ في هذا الموطن الذي ينشغل فيه الناس بالبيع والشراء، قال: (يَا ابْنَ السَّمَّاكِ، أُبَادِرُ طَيَّ الصَّحِيفَةِ!) أي أبادر بالعمل الصالح طي صحيفة عملي، والصحيفة تطوىٰ بالموت، كما قال عليه الصلاة والسلام: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث**» ... الحديث [صحيح مسلم، بلفظ الإنسان بدلا من ابن آدم].

٠١٨- أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ النَّجَّارُ قَالَ: أخبرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ الْفَضْلِ الْكَيَّالُ، قال: حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ الْهَيْثَمِ الْمُقْرِئُ، قَالَ: قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْجَصَّاصُ: ثنا ابْنُ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ، بِمِصْرَ، قال: حدثنا عَبْدَانُ بْنُ عُثْمَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ الْمُبَارَكِ يَقُولُ:

اغْتَنِمْ رَكْعَتَيْنِ زُلْفَىٰ إِلَى اللَّـــــــهِ إِذَا كُنْـتَ فارغًــا مُسْــتَرِيحَا
وَإِذَا مَــا هَمَمْــتَ بِـالنُّطْقِ فِـي الْبَـاطِــلِ فَاجْعَــلْ مَكَانَــهُ تَسْــبِيحَا

ثم أورد رَحِمَهُ اللهُ هذين البيتين لابن المبارك رَحِمَهُ اللهُ، كان يقول: (اغْتَنِمْ رَكْعَتَيْنِ زُلْفَىٰ)، أي (إِلىٰ الله)، تدنيك منه وتقربك من رحمته، (إذا كنت فارغًا مستريحًا)، وهذا من اغتنام الفراغ، اغتنم «**فراغك قبل شغلك**»، فمن اغتنام الفراغ أن يغتنم الإنسان ركعتين في الوقت الذي يكون فارغ ومستريح، وهذا الذي يشير إليه ابن المبارك رَحِمَهُ اللهُ نادر من يلتفت له في فراغه، نادر في الناس من يلتفت له في فراغه، بل أصبح خاصة في زماننا للفراغ شواغل وشواغل وشواغل.

قال:

(اغْتَنِمْ رَكْعَتَيْنِ زُلْفَىٰ إِلَى اللَّـــــــهِ إِذَا كُنْـتَ فارغًــا مُسْــتَرِيحَا
وَإِذَا مَــا هَمَمْــتَ بِـالنُّطْقِ فِـي الْبَـاطِــلِ فَاجْعَــلْ مَكَانَــهُ تَسْــبِيحَا)

إذا حدثتك نفسك بالتكلم بشيء من الباطل فقل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله، اجعل مكان ذلك الذكر والتسبيح.

وهذا فيه التنبيه علىٰ فائدة قد أشار إليها ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في كتابه «الوابل الصيب» في عده لفوائد الذكر، أنّ شغل اللسان بالذكر من فوائده أنه يقي العبد من الغيبة والنميمة وغير ذلك من آفات اللسان، لأن اللسان لابد له من كلام، فإن لم يشغله صاحبه بكلام حق اشتغل بالباطل.

١٨١- أَنْشِدْنِي أَبُو سَعِيدٍ مَسْعُودُ بْنُ نَاصِرٍ السِّجْزِيُّ، قَالَ: أَنْشَدَنَا أَبُو أَحْمَدَ مَنْصُورُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْأَزْدِيُّ بِهَرَاةَ لِنَفْسِهِ:

لَا تَحْتَقِرْ سَاعَةَ مُسَاعَدَةٍ ... تَمُدُّ فِيهَا يَدًا إِلَى طَاعَةٍ

فَالْحَيُّ لِلْمَوْتِ وَالْمُنَى خُدَعٌ ... وَالْأَمْرُ مِنْ سَاعَةٍ إِلَى سَاعَةٍ

ثم أورد رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ هذا الأثر، وفيه أنّ أبا سعيد مسعود بن ناصر السجزي قال: (أَنْشَدَنَا أَبُو أَحْمَدَ مَنْصُورُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْأَزْدِيُّ بِهَرَاةَ لِنَفْسِهِ، أنشد) أي: هذين البيتين في الحث علىٰ اغتنام الوقت، ولا يحتقر المرء أوقات فراغه وساعاته في أن يشغلها بطاعة الله، قال:

(لَا تَحْتَقِرْ سَاعَةَ مُسَاعَدَةٍ ... تَمُدُّ فِيهَا يَدًا إِلَى طَاعَةٍ

فَالْحَيُّ لِلْمَوْتِ وَالْمُنَى خُدَعٌ ... وَالْأَمْرُ مِنْ سَاعَةٍ إِلَى سَاعَةٍ)

فالوقت ماضٍ، والموت آتٍ، والمُنىٰ التي تشغل الإنسان عن الخير خدع، قال الله تعالىٰ: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء:١٢٣]، الأماني خدع، فلا يحتقر الإنسان ولا قليل من الطاعة، فإنه يجد أثرها وثوابها يوم يلقىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

١٨٢- أَخْبَرَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْمُعَدِّلُ، قَالَ: أَنْبَأَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ صَفْوَانَ، قال: حدثنا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الدُّنْيَا، قَالَ: أَنْشِدْنِي أَبُو عَبْدِ اللهِ أَحْمَدُ بْنُ أَيُّوبَ:

اغْتَنِمْ فِي الْفَرَاغِ فَضْلَ رُكُوعٍ ... فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مَوْتُكَ بَغْتَهْ

كَمْ صَحِيحٍ رَأَيْتُ مِنْ غَيْرِ سُقْمٍ ... ذَهَبَتْ نَفْسُهُ الصَّحِيحَةُ فَلْتَهْ

ثم أورد رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ هذين البيتين لأبي عبد الله أحمد بن أيوب، أنه أنشد: (اغْتَنِمْ فِي الْفَرَاغِ فَضْلَ رُكُوعٍ)، يعني استغل وقت الفراغ مثل ما تقدم في أبيات ابن المبارك، (اغْتَنِمْ رَكْعَتَيْنِ زُلْفَىٰ إِلَىٰ اللهِ إِذَا كُنْتَ فارغا مُسْتَرِيحَا)، هنا يقول:

(اغْتَنِمْ فِي الْفَرَاغِ فَضْلَ رُكُوعٍ ... فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مَوْتُكَ بَغْتَهْ)

لا تدري متىٰ تغادر هذه الدنيا،

(كَمْ صَحِيحٍ رَأَيْتُ مِنْ غَيْرِ سُقْمٍ ... ذَهَبَتْ نَفْسُهُ الصَّحِيحَةُ فَلْتَهْ)

وهذا أمر يشاهده الناس ويعاينونه، موت السكتة هذا كثير، وليس خاصًا بكبار السن الطاعنين في العمر، بل حتىٰ الشباب، ينام علىٰ فراشه وهو لا يشتكي علة، ثم لا يقوم منه! فـ

(كَمْ صَحِيحٍ رَأَيْتُ مِنْ غَيْرِ سُقْمٍ ... ذَهَبَتْ نَفْسُهُ الصَّحِيحَةُ فَلْتَهْ)

إذا تذكر المرء هذا حثه ذلك علىٰ اغتنام فراغه.

١٨٣- أَنْشَدَنِي أَبُو الْوَلِيدِ سُلَيْمَانُ بْنُ خَلَفِ بْنِ سَعْدٍ الْأَنْدَلُسِيُّ لِنَفْسِهِ:

إِذَا كُنْتُ أَعْلَمُ عِلْمًا يَقِينًا ... بِأَنَّ جَمِيعَ حَيَاتِي كَسَاعَةٍ
فَلِمَ لَا أَكُونُ ضَنِينًا بِهَا ... وَأَجْعَلُهَا فِي صَلَاحٍ وَطَاعَةٍ

ثم أورد هذين البيتين لأبي الوليد سليمان بن خلف الأندلسي، يقول فيها:

(إِذَا كُنْتُ أَعْلَمُ عِلْمًا يَقِينًا ... بِأَنَّ جَمِيعَ حَيَاتِي كَسَاعَةٍ
فَلِمَ لَا أَكُونُ ضَنِينًا بِهَا ... وَأَجْعَلُهَا فِي صَلَاحٍ وَطَاعَةٍ)

وهذا كلام عظيم جدًا، إذا كان يعلم المرء أنّ حياته كساعة ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾ [يونس:٤٥]، يشير إلىٰ هذا المعنىٰ، وهذا المعنىٰ يُدرك علىٰ وجه الذي هو اليقين التام يوم القيامة ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾، فإذا كان المرء يعلم أن عمره كله وحياته كلها كساعة، يعني تمضي كساعة، «**كراكب استظل** في مثل ما جاء في الحديث «**تحت شجرة، ثم راح وتركها**» [صحيح الترمذي وغيره، وذكره الشيخ بألفاظ مختلفة قليلا]، يعني وقته قليل جدًا.

(فَلِمَ لَا أَكُونُ ضَنِينًا بِهَا ... وَأَجْعَلُهَا فِي صَلَاحٍ وَطَاعَةٍ)

يعني لماذا لا أكون بخيلا بوقتي أحافظ عليه وأعتني به وأشغله في الصلاح وطاعة الله!؟

١٨٤- حَدَّثنا عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ الرَّزَّازُ، قَالَ: سَمِعْتُ جَعْفَرًا الْخَلَدِيَّ، يَقُولُ: سَمِعْتُ الْجُنَيْدَ يَقُولُ: سَمِعْتُ السَّرِيَّ السَّقَطِيَّ يَقُولُ:

كُلُّ يَوْمٍ قَدْ مَضَىٰ لَا تَجِدْهُ ... فَإِذَا كُنْتَ بِهِ فَامْتَجِدْهُ

قوله: (كُلُّ يَوْمٍ قَدْ مَضَىٰ لَا تَجِدْهُ)، يعني اليوم الذي يذهب لا يعود هذا المراد، كل يوم ذهب فإنه لا يعود، فـ:

(كُلُّ يَوْمٍ قَدْ مَضَىٰ لَا تَجِدْهُ ... فَإِذَا كُنْتَ بِهِ فَامْتَجِدْهُ)

أي: استغل اليوم الذي أنت به، لأنه إن ذهب لا تجده، فما مضىٰ من الوقت فإنه لا يعود، ولا يجده صاحبه ولو طلبه لا يمكن أن يجده، فإذن الناصح لنفسه يغتنم يومه، ولهذا يقولون: الإنسان ابن يومه، فاليوم الذي مضىٰ كما قال: (لا تجده)، واليوم الآتي قد لا تدركه، قد لا تكون من أهله، فاغتنم اليوم الذي أنت فيه، هذا معنىٰ قوله: (فَإِذَا كُنْتَ بِهِ فَامْتَجِدْهُ)، أي اغتنم اليوم الذي أنت فيه.

١٨٥- قَرَأْتُ فِي نُسْخَةِ الْكِتَابِ الَّذِي ذَكَرَ لَنَا أَبُو سَعِيدٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَىٰ الصَّيْرَفِيُّ، أَنَّهُ سَمِعَهُ مِنْ أَبِي الْعَبَّاسِ مُحَمَّدِ بْنِ يَعْقُوبَ الْأَصَمُّ وَذَهَبَ أَصْلُهُ بِهِ ثُمَّ أَخْبَرَنِي الْعَتِيقِيُّ قِرَاءَةً، قَالَ: أَنا عُثْمَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُخَرِّمِيُّ قَالَ: أَخْبَرَنِي الْأَصَمُّ، أَنَّ الْعَبَّاسَ بْنَ مُحَمَّدٍ الدُّورِيَّ حَدَّثَهُمْ، قال: حدثنا عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ شَقِيقٍ، قَالَ: أَنْبَأَنا عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ سَالِمٍ، وَلَيْسَ بِالْقَدَّاحِ قَالَ: نَزَلَ رَوْحُ بْنُ زِنْبَاعٍ مَنْزِلًا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ، وَقَرَّبَ غَدَاءَهُ، فَانْحَطَّ رَاعٍ مِنْ جَبَلٍ فَقَالَ: يَا رَاعِي هَلُمَّ إِلَىٰ الْغَدَاءِ، قَالَ: إِنِّي صَائِمٌ، قَالَ رَوْحٌ: أَوَ تَصُومُ فِي هَذَا الْحَرِّ الشَّدِيدِ؟ قَالَ: فَقَالَ الرَّاعِي: أَفَأَدَعُ أَيَامِي تَذْهَبُ بَاطِلًا؟ فَأَنْشَأَ رَوْحٌ يَقُولُ:

لَقَــدْ ضَــنِنْتَ بِأَيَّامِــكَ يَــا رَاعِ إِذْ جَــادَ بِهَــا رَوْحُ بْــنُ زِنْبَــاعِ

ثم أورد رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الخبر في قصة روح بن زنباع، أنه (نزل منزلًا بين مكة والمدينة في يوم صائف، في يوم صائف) يعني يوم شديد الحر، (وَقَرَّبَ غَدَاءَهُ، فَانْحَطَّ رَاعٍ مِنْ جَبَلٍ فَقَالَ: يَا رَاعِي هَلُمَّ إِلَىٰ الْغَدَاءِ)، (قال) الراعي: (إِنِّي صَائِمٌ. قال روح) بن زنباع - وهو كما ذكر الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ من الأمراء الأشراف، قال في ترجمته في «السير»: الأمير الشريف سيد قومه، وذكر أنه روىٰ عن تميم الداري وعن عبادة بن الصامت - فقال الراعي: (إني صائم، قَالَ رَوْحٌ أَوَ تَصُومُ فِي هَذَا الْحَرِّ الشَّدِيدِ؟ قَالَ: فَقَالَ الرَّاعِي: أَفَأَدَعُ أَيَامِي تَذْهَبُ بَاطِلًا؟ فَأَنْشَأَ رَوْحٌ يَقُولُ:

لَقَــدْ ضَــنِنْتَ بِأَيَّامِــكَ يَــا رَاعِ إِذْ جَــادَ بِهَــا رَوْحُ بْــنُ زِنْبَــاعِ)

(ضَنِنْتَ بِأَيَّامِكَ) أي: بخلت بها أن تذهب وأن تضيع.

١٨٦- أَخْبَرَنَا الْحَسَنُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، قَالَ: أَنَا أَبُو جَعْفَرٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْهَاشِمِيُّ، قال: حدثنا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدٍ الْقُرَشِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ، قَالَ: دَعَا قَوْمٌ رَجُلًا إِلَىٰ طَعَامٍ فِي يَوْمٍ قَائِظٍ شَدِيدٍ حَرُّهُ، فَقَالَ: إِنِّي صَائِمٌ، فَقَالُوا: فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ؟ قَالَ: أَفَأُغْبَنُ أَيَامِي إِذَنْ!؟

ثم أورد هذا الأثر عن عبد الله بن محمد القرشي قال: (حَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ، قَالَ: دَعَا قَوْمٌ رَجُلًا إِلَىٰ طَعَامٍ فِي يَوْمٍ قَائِظٍ شَدِيدٍ حَرُّهُ)، هذا كالذي قبله في يوم صائف، (فَقَالَ: إِنِّي صَائِمٌ، فَقَالُوا: أفِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ؟ أي شديد الحر، (قَالَ: أَفَأُغْبَنُ أَيَامِي إِذَنْ!؟) هذا يُذكر بالحديث، قال عليه الصلاة والسلام: «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ**» فقال: (أَفَأُغْبَنُ أَيَامِي إِذَنْ!؟).

١٨٧- أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُعَدِّلُ، قَالَ: أَنْبَأَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ صَفْوَانَ، قال: حدثنا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي الدُّنْيَا، قَالَ:

حَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: دَعَا قَوْمٌ رَجُلًا إِلَىٰ طَعَامٍ، فَقَالَ: إِنِّي صَائِمٌ، فَقَالُوا: أَفْطِرِ الْيَوْمَ وَصُمْ غَدًا، قَالَ: وَمَنْ لِي بِغَدٍ؟

قالوا له: (أفطر وصم غدًا)، لأنه جاء في الحديث: «**الصائم المتطوع أمير نفسه، إن شاء صام وإن شاء أفطر**» [صحيح الجامع، ذكره الشيخ باختلاف يسير في الألفاظ]، عرضوا عليه أن يشاركهم الغداء وأن يصوم بدله غدًا، (قال: وَمَنْ لِي بِغَدٍ؟) يعني من يضمن لي أن أكون من أهل الغد، وهذا فيه المبادرة للخيرات.

❀❀◈❀❀

١٨٨- أَخْبَرَنَا أَبُو الْفَتْحِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي الْفَوَارِسِ الْحَافِظُ، قال: حدثنا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْمُغِيرَةِ، قال: حدثنا أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ الدِّمَشْقِيُّ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُعْتَزِّ: تَنَاوَلِ الْفُرْصَةَ الْمُمْكِنَةَ وَلَا تَنْتَظِرْ غَدًا، فَمَنْ لِغَدٍ مِنْ حَادِثٍ بِكَفِيلٍ.

هذا وما بعده يؤجل إلىٰ لقاء الغد، نسأل الله ﷻ أن يوفقنا لكل خير، وأن يصلح لنا شأننا كله، وأن يهدينا إليه صراطًا مستقيمًا، إنه تبارك وتعالىٰ سميع الدعاء، وهو أهل الرجاء، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

سبحانك اللّٰهُمَّ وبحمدك، أشهد ألا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، اللّٰهُمَّ صل وسلم علىٰ عبدك ورسولك نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المجلس الرابع عشر

١٤٤١/ ١٠/ ١٥

١٨٨- أَخْبَرَنَا أَبُو الْفَتْحِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي الْفَوَارِسِ الْحَافِظُ، قال: حدثنا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْمُغِيرَةِ، قال: حدثنا أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ الدِّمَشْقِيُّ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُعْتَزِّ: تَنَاوَلِ الْفُرْصَةَ الْمُمْكِنَةَ وَلَا تَنْتَظِرْ غَدًا، فَمَنْ لِغَدٍ مِنْ حَادِثٍ بِكَفِيلٍ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله، اللّٰهُمَّ صل وسلم علىٰ عبدك ورسولك نبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين، أما بعد..

فلا نزال في (باب اغتنام الشبيبة والصحة والفراغ، والمبادرة إلىٰ الأعمال قبل حدوث ما يقطع عنها)، أورد الخطيب رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ عن عبد الله بن المعتز قال: (تَنَاوَلِ الْفُرْصَةَ الْمُمْكِنَةَ وَلَا تَنْتَظِرْ غَدًا، فَمَنْ لِغَدٍ مِنْ حَادِثٍ بِكَفِيلٍ)، ابن المعتز هو أديبٌ صاحب نظمٍ وحِكم، ويُنقل عنه في هذا الباب كلمات في الأدب والحكمة، بالغة في معانيها وفوائدها.

يقول: (تَنَاوَلِ الْفُرْصَةَ الْمُمْكِنَةَ)، إذا تهيأت لك الفرصة في وقتك للعمل الصالح فتناول هذا العمل الصالح، لا تؤخره ولا تؤجله إلىٰ الغد، لا تقل أعمله غدًا أو بعد غدٍ؛ بل (تناول الفرصة الممكنة، فَمَنْ لِغَدٍ مِنْ حَادِثٍ بِكَفِيلٍ)، لا تضمن غدًا أن يأتيك ما يعوقك عن هذا العمل، من اعتلال بالصحة، أو وجود الشواغل، أو الموت الذي يقطع العمل.

١٨٩- أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ الْأَزْهَرِيُّ، قَالَ: أَنْبَأَنَا سَهْلُ بْنُ أَحْمَدَ الدِّيبَاجِيُّ، قال: حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ الْكُوفِيُّ، بِمِصْرَ، قال: حدثنا مُوسَىٰ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُوسَىٰ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ يَقُولُ: اعْمَلْ لِكُلِّ يَوْمٍ بِمَا فِيهِ تَرْشُدْ.

ثم أورد عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه كان يقول: (اعْمَلْ كُلِّ يَوْمٍ بِمَا فِيهِ تَرْشُدْ)، وما من ريب أن هذا هو سبيل الرشاد وطريقه، فإنّ الإنسان كما يُقال ابن يومه، فالأيام ثلاثة:

- يوم مضىٰ وانقضىٰ بما فيه من عمل صالح وسيئ.
- ويوم آتٍ ولا يدري المرء هل يُدرك ذلك اليوم أو لا يدركه، يكون من أهله أو لا يكون من أهله.
- ويوم الإنسان، ولهذا يقولون: الإنسان ابن يومه.

وعليه فإنّ الناصح لنفسه لا يؤجل – فيما يتعلق بالعمل الصالح –، ولا يلتفت إلىٰ الماضي حُزنًا ونحو ذلك، بل ينظر في اليوم الذي هو فيه، يغتنمه بالتوبة، الإنابة، بالإقبال علىٰ الله ﷻ؛ لأنّ التفاته إلىٰ الماضي يولد عنده الحزن، والتفاته للمستقبل يولد الهم، والتفاته إلىٰ اليوم يولد العمل.

فمن الخير للعبد أنه يغنم يومه بالتوبة والإنابة إلىٰ الله ﷻ، والاستكثار من العمل الصالح، ولهذا قال علي: (اعْمَلْ كُلِّ يَوْمٍ بِمَا فِيهِ تَرْشُدْ).

❊❊❊

١٩٠- أَخْبَرَنَا الْحَسَنُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، قَالَ: أَنْبَأَنا مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مَالِكٍ الْإِسْكَافِيُّ، قال: حدثنا أَبُو الْأَحْوَصِ مُحَمَّدُ بْنُ الْهَيْثَمِ الْقَاضِي قال: حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، عَنْ مَخْلَدِ بْنِ حُسَيْنٍ، عَنْ هِشَامٍ قَالَ: **كَانَتْ حَفْصَةُ بِنْتُ سِيرِينَ تَقُولُ: يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ اعْمَلُوا، فَإِنَّمَا الْعَمَلُ فِي الشَّبَابِ.**

هذه وصية من حفصة بنت سيرين رحمها الله، وهي تابعية جليلة فقيهة، أخت التابعي الجليل محمد بن سيرين، تقول: (يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ اعْمَلُوا، فَإِنَّمَا الْعَمَلُ فِي الشَّبَابِ)، وتخصيص الشباب بالوصية هذا جاء كثيرا عن السلف، اهتمامًا بالشباب، وهذا منهم تأسيًا بالنبي عليه الصلاة والسلام الذي خص هذه المرحلة بالوصية في أحاديث، منها: «**اغتنم خمسًا قبل خمس، شبابك قبل هرمك**»، فجاء عن عدد من السلف رحمهم الله تعالىٰ وصايا خاصة بالشباب، ليعتنوا بهذه المرحلة العظيمة من عمرهم، وجمعْتُ كثيرا منها في رسالة، مع تعليق وشيء من البيان، طُبِعَت بعنوان «من وصايا السلف للشباب» ونقلت هذا القول لحفصة في تلك الرسالة.

تقول: (يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ اعْمَلُوا، فَإِنَّما الْعَمَلُ فِي الشَّبَابِ)، السبب أنّ مرحلة الشباب هي مرحلة القوة والنشاط واكتمال الحواس والقوىٰ، فإذا كبر الإنسان ضعفت قواه وضعفت حواسه، فيضعف النظر، ويضعف السمع، وتضعف الحركة، ويضعف النشاط...، فالعمل في الشباب، ولهذا ينبغي علىٰ الشاب أن يغنم مرحلة شبابه كما قال نبينا عليه الصلاة والسلام: «**اغتنم خمسًا قبل خمس**» وذكر منها «**شبابك قبل هرمك**».

❊❊❊

١٩١- أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْمُقْرِئُ الْحَذَّاءُ، قَالَ: أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْبَزَّازُ، قال: حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ هَارُونَ الْفَقِيهُ، قَالَ: حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْجُنَيْدِ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ، قال: حدثنا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَفْصٍ الْقُرَشِيُّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: **كَتَبَ رَجُلٌ مِنَ الْحُكَمَاءِ إِلَىٰ أَخٍ لَهُ شَابٍّ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي رَأَيْتُ أَكْثَرَ مَنْ يَمُوتُ الشَّبَابُ، وَآيَةُ ذَلِكَ أَنَّ الشُّيُوخَ قَلِيلٌ.**

هذه فائدة موقظة للشباب أوصىٰ بها أحد الحكماء، قال: (أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي رَأَيْتُ أَكْثَرَ مَنْ يَمُوتُ الشَّبَابُ)، ثم ذكر الدليل علىٰ ذلك قال: (آيَةُ ذَلِكَ أَنَّ الشُّيُوخَ قَلِيلٌ)، إذا نظر الإنسان فيمن يُعمّر، من يُعمر من الناس قليل،

فهذا دليل علىٰ أن كثيرا من الناس يموت دون ذلك، دون مرحلة الكبَر، فمن الناس - وهم الأكثر - من يموت قبل أن يصل إلىٰ تلك المرحلة، لكن الشاب إذا رأىٰ مُعمَرًا أو أكثر من معمر اغتر وظن أنه سيبقىٰ إلىٰ أن يبلغ عمر ذلك الرجل،

ورؤية بعض المعمرين يورث الغرور، ولهذا من الأمور الموقظة للشاب أن يتفكر في أن من يموت من الشباب أكثر، وأنه لا يضمن أن يعيش إلىٰ أن يبلغ الثمانين، بل لا يضمن أن يعيش إلىٰ الغد، فإذا أيقظ قلبه بذلك صلح عمله بإذن الله.

١٩٢- وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ، ثنا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ يُونُسَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا بَكْرِ بْنِ عَيَّاشٍ، يَذْكُرُ عَنْ أَجْلَحَ، قَالَ: قَالَ الضَّحَّاكُ بْنُ مُزَاحِمَ: اعْمَلْ قَبْلَ أَلَّا تَسْطِيعَ أَنْ تَعْمَلَ، فَأَنَا أَبْغِي أَنْ أَعْمَلَ الْيَوْمَ فَلَا أَسْتَطِيعُ.

هذه وصية عظيمة من الإمام الضحاك بن مزاحم رَحِمَهُ اللَّهُ، يقول: (اعْمَلْ قَبْلَ أَلَّا تَسْطِيعَ أَنْ تَعْمَلَ، فَأَنَا أَبْغِي أَنْ أَعْمَلَ الْيَوْمَ فَلَا أَسْتَطِيعُ)، هذا شاهد موضح لقول حفصة بنت سيرين: (يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ اعْمَلُوا، فَإِنَّ الْعَمَلَ فِي الشَّبَابِ)، لأنّ مرحلة الشباب هي مرحلة النشاط والقوة، فالضحاك يوصي يعني بعض الشباب، يقول: (اعْمَلْ قَبْلَ أَلَّا تَسْطِيعَ أَنْ تَعْمَلَ)، لأنك في مرحلة شبابك عندك قوة ونشاط فتستطيع الحركة بسهولة والقيام والنهوض والمشي...، بينما إذا كبرت ضعفت عن ذلك، قال: (فَأَنَا أَبْغِي أَعْمَلَ الْيَوْمَ فَلَا أَسْتَطِيعُ)، لأنّ الإنسان إذا كبر يضعف عن العمل، أو عن كثير من العمل الذي كان مستطاعا له في مرحلة شبابه.

١٩٣- أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ الْحُسَيْنُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْجَوَالِيقِيُّ، قال: حدثنا جَعْفَرٌ الْخُلْدِيُّ، قال: حدثنا أَحْمَدُ يَعْنِي ابْنَ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْرُوقٍ، قال: حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ، قال: حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ أَشْكَابَ الصَّفَّارُ قَالَ: حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِهِ - يَعْنِي أَهْلَ دَاوُدَ الطَّائِيِّ - قَالَ: قُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا سُلَيْمَانَ، قَدْ عَرَفْتَ الرَّحِمَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ، فَأَوْصِنِي، قَالَ: فَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ ثُمَّ قَالَ: يَا أَخِي، إِنَّمَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ مَرَاحِلُ يَنْزِلُهَا النَّاسُ مَرْحَلَةً مَرْحَلَةً، حَتَّىٰ يَنْتَهِيَ ذَلِكَ إِلَىٰ آخِرِ سَفَرِهِمْ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تُقَدِّمَ فِي كُلِّ يَوْمٍ مَرْحَلَةً زَادًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا فَافْعَلْ، فَإِنَّ انْقِطَاعَ السَّفَرِ عَنْ قَرِيبٍ مَا هُوَ، وَالْأَمْرُ أَعْجَلُ مِنْ ذَلِكَ، فَتَزَوَّدْ لِسَفَرِكَ، وَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ مِنْ أَمْرِكَ، فَكَأَنَّكَ بِالْأَمْرِ قَدْ بَغَتَكَ، وَمَا أَعْلَمُ أَحَدًا أَشَدَّ تَضْيِيعًا مِنِّي لِذَلِكَ، ثُمَّ قَامَ وَتَرَكَنِي.

هذا أحد قرابة داود الطائي العابد، استوصاه طلب منه الوصية، قال: (يَا أَبَا سُلَيْمَانَ، قَدْ عَرَفْتَ الرَّحِمَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ، فَأَوْصِنِي)، فذكّره بالرحم والقرابة، وطلب منه أن يوصيه، (فدمعت عيناه ثم قال: يَا أَخِي، إِنَّمَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ مَرَاحِلُ، يَنْزِلُهَا النَّاسُ مَرْحَلَةً مَرْحَلَةً)، وكلما نزل المرء مرحلة من مراحل عمره أدنته من الأجل..

والمـــرء يفـــرح بالأيـــام يطلبهـــا وكـل يـوم مضـىٰ يُـدني مـن الأجـل

ولهذا قال: (حَتَّىٰ يَنْتَهِيَ ذَلِكَ إِلَىٰ آخِرِ سَفَرِهِمْ)، الذي هو الأجل، فالحياة مراحل يقطعها العبد، كلما دخل يوم من أيامك فهذه مرحلة، ومعنىٰ مرحلة أي أنه مُدنٍ لك من الأجل - الذي هو نهاية السفر -، كما هو الشأن في المسافر الذي يقطع المُدُن، فإذا وصل إلىٰ مدينة قال: اقتربنا من مقصدنا أو بُغيتنا! كلما وصل إلىٰ مدينة أخرىٰ قال: اقتربنا، وهكذا الإنسان، كل مرحلة من المراحل التي يبلغها تدنيه من نهاية السفر، الذي هو الأجل.

(فإن استطعت أن تقدم في كل يوم مرحلة زادا لما بين يديها فافعل ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة:١٩٧]، فإن انقطاع السفر عن قريب ما هو، والأمر أعجل من ذلك)، فلا يغرك طول الأمل، قال: (فَتَزَوَّدْ لِسَفَرِكَ، وَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ مِنْ أَمْرِكَ، فَكَأَنَّكَ بِالْأَمْرِ قَدْ بَغَتَكَ، وَمَا أَعْلَمُ أَحَدًا أَشَدَّ تَضْيِيعًا مِنِّي لِذَلِكَ، ثُمَّ قَامَ وَتَرَكَنِي)، وهضم النفس هو من شأن من جاهد نفسه علىٰ تتميم عمله وتكميله، بخلاف المفرط.

١٩٤- أَخْبَرَنَا الْحَسَنُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، قَالَ: أَنْبَأَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ الدَّقَّاقُ، قال: حدثنا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سُنَيْنَ، قَالَ: أَنْشَدَنِي عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ:

أَنْـــتَ فِـــي غَفْلَـــةِ الْأَمَـــلِ لَسْـــتَ تَـــدْرِي مَتَـــىٰ الْأَجَـــلْ
لَا تَغُرَّنْـــــكَ صِـــــحَّةٌ فَهِـــيَ مِـــنْ أَوَجَـــعِ الْعِلَـــلْ
كُـــلُّ نَفْـــسٍ لِيَوْمِهَـــا صُـــبْحَةٌ تَقْطَـــعُ الْأَمَـــلْ
فَاعْمَـــلِ الْخَيْـــرَ وَاجْتَهِـــدْ قَبْـــلَ أَنْ تُمْنَـــعَ الْعَمَـــلْ

هذه أبيات لعمر بن محمد بن أحمد، فيها الوصية باغتنام الوقت والمبادرة إلىٰ العمل، ومجاهدة النفس علىٰ السلامة من الغفلة التي تنشأ عن طول الأمل، يقول: (أَنْتَ فِي غَفْلَةِ الْأَمَلِ)، الأمل غفلة، الذي هو طول الأمل، وطول الأمل يوجد عند الإنسان غفلة عن العمل وعن يومه الذي هو فيه، والذي يُعالج ذلك ويداويه هو قوله: (لست تدري متىٰ الأجل)، فلا تأخذك غفلة طول الأمل فإنك لا (تدري متىٰ الأجل)، متىٰ يبغتك الأجل، فإذا كنت ممتعًا بالصحة فـ

(لَا تَغُرَّنْـــــكَ صِـــــحَّةٌ فَهِـــيَ مِـــنْ أَوَجَـــعِ الْعِلَـــلْ)

لعله أراد أنّ الصحة تغر صاحبها وتشغله فيما لا نفع فيه، وفيما لا فائدة فيه، فيكون مغبونًا بها، كما قال عليه الصلاة والسلام: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس».

فإذا كان مغبون في صحته فصحته من أوجع العلل،

(كُـــلُّ نَفْـــسٍ لِيَوْمِهَـــا صُـــبْحَةٌ تَقْطَـــعُ الْأَمَـــلْ)

يعني سيأتي علىٰ الإنسان يوم يُصبح فيه بمنيته ومجيئها التي تقطعه عن الأمل، (فَاعْمَلِ الْخَيْرَ وَاجْتَهِدْ... قَبْلَ أَنْ تُمْنَعَ الْعَمَلَ)، اعمل ما دمت قادرا علىٰ العمل متمكنا منه قبل أن يأتيك ما يمنعك منه.

١٩٥- أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ رِزْقٍ، قَالَ: أخبرنَا عُثْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ الدَّقَّاقُ، قال: حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْبَرَاءِ، قَالَ: أَنْشِدْنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَشْعَرِيُّ الْمَدِينِيُّ لِمَحْمُودٍ:

مَضَىٰ أَمْسُكَ الْمَاضِي شَهِيدًا مُعَدَّلًا وَأَصْبَحْتَ فِي يَوْمٍ عَلَيْكَ شَهِيدُ
فَإِنْ كُنْتَ بِالْأَمْسِ اقْتَرَفْتَ إِسَاءَةً فَثَنِّ بِإِحْسَانٍ وَأَنْتَ حَمِيدُ
وَلَا تُرْجِ فِعْلَ الْخَيْرِ يَوْمًا إِلَىٰ غَدٍ لَعَلَّ غَدًا يَأْتِي وَأَنْتَ فَقِيدُ
فَيَوْمُكَ إِنْ أَعْتَبْتَهُ عَادَ نَفْعُهُ عَلَيْكَ وَمَاضِي الْأَمْسِ لَيْسَ يَعُودُ

هذه أبيات عظيمة جدًّا في الوصية باغتنام اليوم، ومجاهدة النفس علىٰ استصلاح العمل فيه، وأما الأمس فإن كان فيه خير وعمل صالح فليحمد الله، وإن كان علىٰ خلاف ذلك فليتب إلىٰ الله وليندم علىٰ التفريط الذي كان فيه، وأما الغد فلا يدري قد يكون فقيد في ذلك اليوم، قد يكون في عداد الموتىٰ، مثلما قال ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: **لا تدري ما اسمك غدًا!** يعني قد يكون اسمك من الأموات، في عداد الأموات، فالإنسان ابن يومه.

يقول الشيخ ابن سعدي رحمة الله عليه في كتابه العظيم «الوسائل المفيدة للحياة السعيدة» وهو يتكلم عما يُداوىٰ به الهم والقلق، يقول: مما يُدفع به الهم والقلق اجتماع الفكر كله علىٰ الاهتمام بعمل اليوم الحاضر، وقطعه عن الاهتمام في الوقت المستقبل، وعن الحزن علىٰ الوقت الماضي، ولهذا استعاذ النبي ﷺ من الهم والحزن، فلا ينفع الحزن علىٰ الأمور الماضية التي لا يمكن ردها ولا استدراكها، وقد يضر الهم الذي يحدث بسبب الخوف من المستقبل، فعلىٰ العبد أن يكون ابن يومه، يجمع جده واجتهاده في إصلاح يومه ووقته الحاضر، وهذه الأبيات تضمنت هذا المعنىٰ الذي هو أن الإنسان ابن يومه.

يقول:

(مَضَـىٰ أَمْسُـكَ الْمَاضِـي شَـهِيدًا وَأَصْـبَحْتَ فِـي يَـوْمٍ عَلَيْـكَ شَـهِيدُ)

الذي مضىٰ انتهىٰ، إن كان خيرًا فاحمد الله، وإن كان خلاف ذلك فبادر بالتوبة إلىٰ الله، والآن (أصبحت في يوم عليك شهيد)، فأحسِن في هذا اليوم واحرص علىٰ تكميله،

(فَإِنْ كُنْتَ بِالْأَمْسِ اقْتَرَفْتَ إِسَاءَةً فَثَنِّ بِإِحْسَانٍ وَأَنْتَ حَمِيدُ)

ومن الإحسان أن تتوب عن التفريط الذي كان منك بالأمس، وأصلح من عملك اليوم، تكون حينئذٍ حميدًا، (ولا ترجِ) أي لا تؤخر ﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ﴾ [الأعراف:١١١]، (ولا ترجِ) أي لا تؤخر

(..... فِعْلَ الْخَيْرِ يَوْمًا إِلَىٰ غَدٍ لَعَلَّ غَدًا يَأْتِي وَأَنْتَ فَقِيدُ)

مثل ما قال ابن عمر: **لا تدري ما اسمك غدًا!** قد يكون غدًا المرء في عداد الأموات، (فَيَوْمُكَ إِنْ أَعْتَبْتَهُ عَادَ نَفْعُهُ... عَلَيْكَ وَمَاضِي الْأَمْسِ لَيْسَ يَعُودُ)، فالحاصل أنّ الإنسان ابن يومه، وينبغي عليه أن يحرص علىٰ اغتنامه.

١٩٦- وَأَخْبَرَنَا ابْنُ رِزْقٍ، قَالَ: أَنْبَأَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ، قال: حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْبَرَاءِ، قال: حدثنا دَاوُدُ بْنُ رُشَيْدٍ، قال: حدثنا الْوَلِيدُ بْنُ صَالِحٍ، عَنْ رَجُلٍ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي النَّوْمِ فَقَالَ لِي: مَنِ اسْتَوَىٰ يَوْمَاهُ فَهُوَ مَغْبُونٌ، وَمَنْ كَانَ غَدُهُ شَرَّ يَوْمَيْهِ، فَهُوَ مَلْعُونٌ، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفِ النُّقْصَانَ مِنْ نَفْسِهِ فَهُوَ إِلَىٰ نُقْصَانٍ، وَمَنْ كَانَ إِلَىٰ نُقْصَانٍ فَالْمَوْتُ خَيْرٌ لَهُ.

ختم رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الباب بهذا الخبر عن الوليد بن صالح عن رجل، قال: (رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي النَّوْمِ، فَقَالَ لِي)... إلىٰ آخر ما ذكر، هذه الرؤية المنامية غير معتبرة، ولا يُبنىٰ علىٰ ما يُرىٰ في المنام أنّ ذلك أحاديث عن النبي عليه الصلاة والسلام، فالرؤىٰ المنامية مثل ما قال أهل العلم للبشارة والنذارة، أما للتقرير وأخذ الأحكام من خلالها فليس ذلك صحيحًا، ولهذا لا يصح إطلاقًا أن يروي الإنسان حديثًا عن النبي ﷺ أخذه في منامه، هذا ليس من المصادر إطلاقًا، أنبه علىٰ ذلك، وذكر بعض أهل العلم لمثل هذا لا يذكرونه لأخذ الأحكام منه، وإنما يذكرونه استئناسًا، ولا سيما إذا كان ما اشتمل عليه من المضامين موافقًا للنصوص المأثورة عن النبي الكريم عليه الصلاة والسلام.

ونسأل الله الكريم أن يوفقنا أجمعين لكل خير، وأن يصلح لنا شأننا كله، وألا يكلنا إلىٰ أنفسنا طرفة عين، إنه تبارك وتعالىٰ سميع قريب مجيب، وصلىٰ الله وسلم علىٰ عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المجلس الخامس عشر

١٦/ ١٠/ ١٤٤١

بَابُ ذَمِّ التَّسْوِيفِ

١٩٧- أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْمُعَدِّلُ، أَنْبَأَ الْحُسَيْنُ بْنُ صَفْوَانَ الْبَرْذَعِيُّ، ثنا عَبْدُ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الدُّنْيَا، حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ، ثنا إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِي الْجَوْزَاءِ في قوله تعالىٰ: ﴿وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف] قَالَ: تَسْوِيفًا.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللَّهُمَّ صل وسلم علىٰ عبدك ورسولك نبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين، اللَّهُمَّ علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علمًا، وأصلح لنا شأننا كله، ولا تكلنا إلىٰ أنفسنا طرفة عين.

أما بعد.. قال المصنف الإمام الخطيب البغدادي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «اقتضاء العلم العمل»: (بابٌ: ذم التسويف)، وهو آخر أبواب هذه الرسالة النافعة، و(التسويف) هو أن يكون المرء تحت السين وسوف في أموره ومصالحه، كلما عنّت له مصلحة دينية أو دنيوية جاءت هذه الأحرف (السين أو سوف) وأخرت ذلك العمل.

والتسويف منشأه عن الكسل والخمول والفتور وضعف الهمة، ولهذا جاء في الحديث التعوذ بالله من العجز ومن الكسل، وجاء أيضًا سؤال الله عَزَّوَجَلَّ العزيمة علىٰ الرشد، لأن التسويف يتنافىٰ مع العزيمة علىٰ الرشد، يتنافىٰ مع الهمة العالية ولهذا التسويف مذموم، وهو يعطل المرء عن مصالحه الدينية والدنيوية، ويعيقه عن تحصيلها، ويقطعه عن بلوغ آماله آمال الخير، لأنه كلما عرض له أمل خير وأقبلت نفسه عليه جاء هذا التسويف فعطل ذلك وأعاقه عن ذلك، ولهذا فالتسويف يعد شجرة تثمر الحرمان والخسران في الدنيا والآخرة، وينبغي للعبد أن يكون علىٰ حذر من التسويف.

أما كيفية الحذر منه فبما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت:٦٩]، وفي الحديث يقول عليه الصلاة والسلام: «**احرص علىٰ ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجزن**» [صحيح مسلم].

أورد رَحِمَهُ اللَّهُ عن أبي الجوزاء أنه قال: (﴿وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ قَالَ: تَسْوِيفًا)، ﴿وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ أي ضائعًا مُعطّلًا، ومن كان كذلك فالله نهىٰ عن طاعة من هذه صفته، قال: ﴿وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ

وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ فنهىٰ الله عن طاعة من كانت هذه صفته، وهذا يُستفاد منه أن الذي يطاع هو الذي فيه صفات الخير، والهمة والنشاط في أعمال الخير، لأنه يكون قدوة، أما إذا أطاع المرء من كان أمره فرطًا ضيعه، ويدخل في عموم قوله: (﴿ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾) أي (تسويفًا)، لأن هذا من تضييع الأمر، التسويف هو تضييع للأمر وتعطيل للمصالح، قالوا في تفسير: ﴿ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ أي: معطلًا ضائعًا، والتسويف يعطل، يعطل عن المصالح وتحصيلها، ولهذا ينبغي علىٰ العبد أن يكون علىٰ حذر من التسويف.

١٩٨- وَقَالَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا: حدثنا سَعْدُ بْنُ زُنْبُورٍ الْهَمْدَانِيُّ، أَنْبَأَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ: قِيلَ لِرَجُلٍ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ: أَوْصِ، قَالَ: احْذَرُوا سَوْفَ.

هذا رجل قيل له: (أوصِ)، فـ(قال: احذروا سوف)، وهذه حقيقة وصية جامعة نافعة، لأنّ (سوف) أو (سأفعل) هذه من الأمور المعيقة عن الأعمال، المعطلة للمصالح، فيجب علىٰ العبد أن يحذر من سوف، إذا أراد أن يعمل خيرًا لا يؤجله إلىٰ الغد، لا يدري هل يكون من أبناء الغد أو لا، ولا يدري هل يكون في الغد مستطيعًا علىٰ الأمر كما هو مستطيع اليوم أو لا، لا يدري هل يكون في الغد عوارض تعيقه عن العمل أو لا، فليحذر التسويف وليبادر، والباب الذي تقدّم في اغتنام الوقت والمبادرة والمسارعة هذه كلها من الأمور التي تعين العبد إذا عمل بها علىٰ السلامة من التسويف.

١٩٩- أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ عُمَرَ الْبَرْمَكِيُّ، أَنْبَأَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ خَلَفٍ الدَّقَّاقُ، قال: حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحِ بْنِ ذَرِيحٍ، قال: حدثنا هَنَّادُ بْنُ السَّرِيِّ، قال: حدثنا ابْنُ مُبَارَكٍ، عَنْ عَبْدِ الْوَارِثِ، عَنْ رَجُلٍ، عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: إِيَّاكَ وَالتَّسْوِيفَ، فَإِنَّكَ بِيَوْمِكَ وَلَسْتَ بِغَدِكَ، فَإِنْ يَكُنْ غَدٌ لَكَ فَكُنْ فِي غَدِك كَمَا كُنْتَ فِي الْيَوْمِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ غَدٌ لَمْ تَنْدَمْ عَلَى مَا فَرَّطْتَ فِي الْيَوْمِ.

ثم أورد عن الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ أنه قال: (إِيَّاكَ وَالتَّسْوِيفَ)، أي احذره وتجنبه، (فَإِنَّكَ بِيَوْمِكَ وَلَسْتَ بِغَدِكَ)، ولهذا يقولون الإنسان ابن يومه، لأن الغد لا يدري المرء هل هو من أهله أو لا، ولا يدري أيضًا هل هو قادر علىٰ العمل فيه أو لا، وهل ستكون هناك معيقات أو لا، فالإنسان ابن يومه، قال: (فَإِنْ يَكُنْ غَدٌ لَكَ فَكُنْ فِي غَدِك كَمَا كُنْتَ فِي الْيَوْمِ)، أي: أصلح من شأنك في غدك كما أصلحت من شأنك في اليوم، (فَكُنْ فِي غَدِك كَمَا كُنْتَ فِي الْيَوْمِ).

في نسخة (فَكِسْ فِي غَدٍ كَمَا كِسْتَ فِي الْيَوْمِ)، أي: كن كيسًا في غدك كما كنت كيسًا في يومك، (وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ غَدٌ لَمْ تَنْدَمْ عَلَى مَا فَرَّطْتَ فِي الْيَوْمِ)، أي لا يحصل لك ندامة لأنك أخذت نفسك بمأخذ الحزم والعزم

وعدم التواني، لكن من يتوانىٰ ويؤجل عمله إلىٰ الغد ثم يكون الغد ليس له، يندم، يقول: ليتني فعلت هذا الامر بالأمس!

والأقرب في الأثر أنها (فَكِسْ فِي غَدٍ كَمَا كِسْتَ فِي الْيَوْمِ)، كما هو في عدد مصادر التخريج التي خرجت هذا الأثر غير «اقتضاء العلم».

٢٠٠- أَخْبَرَنَا الْحَسَنُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، قال: أخبرنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْهَاشِمِيُّ، قال: حدثنا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدٍ، قال: حَدَّثَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قال: حدثنا صَالِحُ الْمُرِّيُّ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي الْجَلْدِ قَالَ: قَرَأْتُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ: إِنَّ (سَوْفَ) جُنْدٌ مِنْ جُنْدِ إِبْلِيسَ.

أورد عن أبي الجلد قال: (قَرَأْتُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ: إِنَّ (سَوْفَ) جُنْدٌ مِنْ جُنْدِ إِبْلِيسَ)، وهذا لا ريب فيه أن إبليس يقتل الناس عن مصالحهم وتحصيل أمورهم بهذا التسويف، كلما أرادوا خيرًا دعاهم إلىٰ التسويف، فالتسويف من جنود إبليس التي يستعملها في صد الناس عن الخير، فلا يزالون يؤخرون يؤخرون إلىٰ أن تفجأ المرء منيته! وهو لا يزال يسوِّف ويؤخر أعماله، ولهذا الواجب علىٰ الناصح لنفسه أن يكون علىٰ حذر شديد من التسويف.

٢٠١- أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ رِزْقٍ، وَعَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ الْمُقْرِئُ، قَالَا: أخبرنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخَلَدِيُّ، قال: حدثنا إِبْرَاهِيمُ بْنُ نَصْرٍ الْمَنْصُورِيُّ، قال: حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ بَشَّارٍ، قال: حَدَّثَنِي يُوسُفُ بْنُ أَسْبَاطٍ قَالَ: كَتَبَ إِلَيَّ مُحَمَّدُ بْنُ سَمُرَةَ السَّائِحُ بِهَذِهِ الرِّسَالَةِ: أَيْ أَخِي، إِيَّاكَ وَتَأْمِيرَ التَّسْوِيفِ عَلَىٰ نَفْسِكَ، وَإِمْكَانَهُ مِنْ قَلْبِكَ؛ فَإِنَّهُ مَحِلُّ الْكَلَالِ، وَمَوْئِلُ التَّلَفِ، وَبِهِ تُقْطَعُ الْآمَالُ، وَفِيهِ تَنْقَطِعُ الْآجَالُ، فَإِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ أَبْدَلْتَهُ مِنْ عَزْمِكَ وَهَوَاكَ عَلَيْهِ فِعْلًا، وَاسْتِرْجِعْ مِنْ بَدَنِكَ مِنَ السَّآمَةِ مَا قَدْ وَلَّىٰ عَنْكَ، فَعِنْدَ مُرَاجَعَتِهِ إِيَّاكَ لَا تَنْتَفِعُ نَفْسُكَ مِنْ بَدَنِكَ بِنَافِعَةٍ، وَبَادِرْ يَا أَخِي فَإِنَّكَ مُبَادَرٌ بِكَ، وَأَسْرِعْ فَإِنَّكَ مسْرُوعٌ بِكَ، وَجِدَّ فَإِنَّ الْأَمْرَ جِدٌّ، وَتَيَقَّظْ مِنْ رَقْدَتِكَ، وَانْتَبِهْ مِنْ غَفْلَتِكَ، وَتَذَكَّرْ مَا أَسْلَفْتَ وَقَصَّرْتَ وَفَرَّطْتَ، وَجَنَيْتَ وَعَمِلْتَ، فَإِنَّهُ مُثْبَتٌ مُحْصًىٰ، فَكَأَنَّكَ بِالْأَمْرِ قَدْ بَغَتَكَ فَاغْتَبَطْتَ بِمَا قَدَّمْتَ، أَوْ نَدِمْتَ عَلَىٰ مَا فَرَّطْتَ.

[آخر لكتاب والحمد لله وحده، وصلواته علىٰ محمد وآله وسلم.]

ختم المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ هذه الرسالة بهذا الأثر عن محمد بن سمرة السائح، أنه كتب بهذه الوصية إلىٰ يوسف بن أسباط، قال: (أَيْ أَخِي، إِيَّاكَ وَتَأْمِيرَ التَّسْوِيفِ عَلَىٰ نَفْسِكَ، وَإِمْكَانَهُ مِنْ قَلْبِكَ)، أي: احذر التسويف وأن تجعله أميرًا علىٰ نفسك.

بمعنىٰ أنّ مصالحك التي تُقبل عليها نفسك يكون الأمير فيها هو التسويف، بمعنىٰ أيضًا أنه كلما عرضت لك مصلحة وأقبلت عليها نفسك جاء هذا التسويف وأجّل أعمالك، ثم إذا أقبلت مرة أخرىٰ جاء هذا التسويف وأجّل أعمالك، فيجب علىٰ الناصح لنفسه ألا يمكّن هذا التسويف من قلبه، قال: (فَإِنَّهُ مَحِلُّ الْكَلَالِ، الكلال) الإعياء، مثل قوله: ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ﴾ [النحل:٧٦]، الإعياء والعجز وفتور الهمة، فهو (محل الكلال، وَمَوْئِلُ التَّلَفِ)، لأنّ ضياع مصالح المرء من أعظم أسبابها التسويف، قال: (وَبِهِ تُقْطَعُ الْآمَالُ، تقطع الآمال) أي: كلما أملت نفسك في خير تقوم به قطع عليك هذا الامل التسويف وعطلك عن القيام به، وفيه تنقطع الآجال، فيضيع عمر المرء معطلًا من مصالحه، واغتنامه في الخيرات والطاعات وأنواع القرب.

(فَإِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ أَدَلْتَهُ مِنْ عَزْمِكَ وَهَوَاكَ عَلَيْهِ فِعْلًا)، أي تجعل الدولة له والغلبة، ويكون تسلطه عليك مثل ما تقدم في قوله: (إِيَّاكَ وَتَأْمِيرَ التَّسْوِيفِ عَلَىٰ نَفْسِكَ)، (وَاسْتِرْجَع مِنْ بَدَنِكَ)، أي التسويف، (وَاسْتِرْجَع مِنْ بَدَنِكَ مِنَ السَّآمَةِ مَا قَدْ وَلَّىٰ عَنْكَ)، فيصبح بسبب التسويف يمل من العمل، ولو قام بقليل من الأعمال حدثت له السآمة التي هي الملل، (مَا قَدْ وَلَّىٰ عَنْكَ، فَعِنْدَ مُرَاجَعَتِهِ إِيَّاكَ لَا تَنْتَفِعُ نَفْسُكَ مِنْ بَدَنِكَ بِنَافِعَةٍ)، إذا كان متسلطًا عليك التسويف لا تستطيع أن تنتفع من بدنك بنافعة، لأنك كلما أردت أن تنتفع بنافعة جاء هذا التسويف الذي أمّرته علىٰ نفسك وعطلك عن هذه المنافع.

(وَبَادِرْ يَا أَخِي) أي: بالعمل، واحذر التسويف، (فَإِنَّكَ مُبَادَرٌ بِكَ، وَأَسْرِعْ فَإِنَّكَ مسْرُوعٌ بِكَ)، فهذا كما جاء في الحديث الذي تقدم: «**اغتنم خمسًا قبل خمس**»، «**حياتك قبل موتك**» فمسرع بك إلىٰ الموت، فـ(بادر) أي سارع في العمل الصالح المقرب إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، (وَجِدَّ فَإِنَّ الْأَمْرَ جِدٌّ، وَتَيَقَّظْ مِنْ رَقْدَتِكَ)، واليقظة هي أول المنازل وبداياتها، (وَانْتَبِهْ مِنْ غَفْلَتِكَ)، لا يمضي الإنسان في هذه الغفلة ومع هذا التسويف إلىٰ أن ينقضي الأجل وهو معطل عن مصالحه واغتنام أوقاته، (وَتَذَكَّرْ مَا أَسْلَفْتَ وَقَصَّرْتَ وَفَرَّطْتَ، وَجَنَيْتَ وَعَمِلْتَ، فَإِنَّهُ مُثْبَتٌ مُحْصًىٰ) ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة:٦]، كل ما مضىٰ من تقصير وتفريط وجناية تذكره، لا يكن غائبا أو ذاهبا عن ذهنك، قال: (فَكَأَنَّكَ بِالْأَمْرِ قَدْ بَغَتَكَ)، أي: فاجأتك المنية، (فَاغْتَبِطْتَ بِمَا قَدَّمْتَ، أَوْ نَدِمْتَ عَلَىٰ مَا فَرَّطْتَ)، مثل ما جاء في الحديث أن قال عليه الصلاة والسلام: «**فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه**» [صحيح مسلم].

فهذه وصية نافعة في التحذير من التسويف وخطورته علىٰ الإنسان في حياته، وبها ختم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ كتابه هذا، وهو كتاب نافع في بابه «اقتضاء العلم العمل».

وسبق أن ألقيت محاضرة بهذا العنوان، وطُبعت بعنوان (ثمرة العلم العمل) وتضمنت فوائد إن تيسر

الاطلاع عليها وقراءتها فهي تعزز من الفائدة بإذن الله التي حصلناها فيه، واستفدناها من هذا الكتاب، نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يجعل ما تعلمناه حجة لنا لا علينا، وأن يصلح لنا شأننا كله، وألا يكلنا إلىٰ أنفسنا طرفة عين، إنه تبارك وتعالىٰ سميع قريب مجيب.

وأشير قبل أن أختم إلىٰ أن ابن أبي الدنيا رَحِمَهُ اللَّهُ له كتاب في الشكر مطبوع، وحوىٰ فوائد عظيمة جدًّا، ونحن في هذا الوقت بحاجة إلىٰ الشكر والإكثار من شكر المولىٰ والثناء عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فعندنا في هذا قصور وتقصير، والشكر كما يصفه العلماء: حافظ جالب، حافظ للنعم الموجودة، وجالب للنعم المفقودة، والله تعالىٰ يقول: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ [إبراهيم].

وسيكون بإذن الله اعتبارًا من الغد قراءة في منتقىٰ من كتاب الشكر لابن أبي الدنيا، لأن الكتاب فيه توسع في ذكر الآثار والأخبار والروايات، وفي بعضها أيضًا ما هو ضعيف، فهناك منتقىٰ جيد لهذا الكتاب مجرد من الأسانيد، واقتصر علىٰ مهمات هذا الكتاب مع تجنُّب ما كان فيه ضعف، وسيُجعل في الكتاب في هذا المساء إن شاء الله في الموقع، من أراد أن يأخذ منه نسخة إلكترونية، والقراءة فيه ستكون اعتبارًا من الغد بإذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

نفعنا الله أجمعين، ووفقنا لكل خير، وأصلح لنا شأننا كله، إنه سميع قريب مجيب، وصلىٰ الله وسلم علىٰ عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

[تم بحمد الله تعالىٰ وفضله وحده]